المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والستين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٦ شعبان سنة ١٣٤٤

اللباس وارتباطه بمصالح الناس

«كل ما شئت والبس ما شئت ما خطتك اثنتان سرف او مخيلة»

ابن عباس

لما نزلنا القطر المصري منذ اربعين سنة لقينا رجلاً وجيهاً كبير السن من اقدم الاسر السورية التي سكنت هذا القطر. ودار الحديث مرة على ازياء الناس في اللباس فذكر لنا السبب الذي حمله على لبس الثياب الافرنجية من سترة وبنطلون بعد ان كان يلبس اللباس البلدي من قفطان وجبة مثل سائر التجار معاصريه. قال «كنت تاجراً في بولاق ولي تجارة واسعة بين مصر والسودان وكان عندي خادم اوربي الاصل يلبس الثياب الافرنجية ويقضي اشغالي في الحكومة. جاءني ذات يوم وقال انهُ تعذَّر عليه قضاء شغل لي في المحافظة ولا بدَّ من ذهابي بنفسي لقضائه. فركبت دابتي وسار معي الى ان وصلنا الى باب المحافظة فترجلت ودخل هو امامي وسرت وراءهُ فمنعني الحاجب من الدخول فاستغربت ذلك وقلت لهُ كيف تمنعني من الدخول وهذا الذي دخل امامي خادمي. وعاد الخادم وحاول اقناعهُ بانني سيدهُ فلم يقتنع بل شتمني بالتركية وهو يقول بالعربية المكسرة هذا خواجه وانت فلاح. فعدت ادراجي واسرعت الى محل ميرس بائع الثياب الافرنجية وجعلت اخلع ثيابي البلدية واقول لهُ هات ما عندك من الثياب»

هذه القصة على بساطتها تبين اهم الاسباب التي تدعو الى تغيير اللباس وهو اما جلب نفع او درء ضرر ماديًّا كان كلٌّ منهما او ادبيًّا

وكاتب هذه السطور واكثر الذين من سنهِ كانوا في صباهم يلبسون الثياب التي

يلبسها ابناء بلدهم في ذلك العصر ولم يغيروا لباسهم عن هوى بل لانهم رأوا في تغييره فائدة فهم مادية او ادبية ولو حاول احد صرفهم عن هذا التغيير لحسبوهُ معتدياً على حق طبيعي وهو طلب النفع من حيث لا يقع ضرر على الغير

و بعدُ فقد نشرنا في مقتطف مارس سنة ١٩٠٤ مقالة في مثل هذا الموضوع لعالم محقق وهو السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق الآن فرأينا ان نعيد بعض فقراتها هنا . قال

« لحظ بعضهم هذه الآونة في مصر والشام بنتوى استصدرها احد سكان الترنسفال في الرخصة بلبس النعلين القبّعة مجاراةً لمواطنيهم من الافرنج وتفادياً من ان يتألمهم اذًى اذا ظلوا محتفظين بشعار رأسهم حتى كاد يوقن من لا يعرف الاسلام ان لبس القبّعات من الطامات وان ما تواطأ اهل هذا العصر على ستر رؤسهم بهِ من الصوف او الفرو او القش او الحرير او القطن على اختلاف اشكالهِ هو هو عماد الدين وأسُّ اساس اليقين . على ان الامر اقل مما توهموهُ وأكبروهُ يناقضهُ ما ورد في الحديث الصحيح من ان الشارع الاعظم قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة. وقال ابن عباس كلّ ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة

« وقد ثبت انهُ عليهِ الصلاة والسلام لبس الجبة الرومية مع انها من لباس النصارى واكتسى الطيلسان الكسروي وهو لبوس مجوس الترس . وكذلك الصحابة لم يتحرجوا من لبس اهل البلاد التي افتتحوها نصارى كان اهلها ام مجوساً . وصحّ ان الناس نساءً ورجالاً لبسوا البرانس اول الفتح من غير تكبير مع انها من لبوس اهل النصرانية . وقد سئل مالك عن البرنس وكان من لباس الرهبان فقال لا بأس بهِ. قيل لهُ فانهُ من لبوس النصارى قال كان يلبس ههنا . وقال عبدالله بن ابي بكر ما كان احد من القراء الاّ لهُ برنس رواهُ بن عجر . وجاء في سفر السعادة للفيروزابادي انهُ صلى الله عليهِ وسلم لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة ومع القلنسوة بغير العمامة وكان يجعل العذبة بين كتفيهِ في اكثر الاحوال . قال وكان يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والفرو المعلم على اطرافهِ بالسندس وكان لهُ جبة خسروانية مقرّحة عليها شعف من الديباج مخيطة واما الطيلسان فانهُ كان يلبسهُ حال الحرّ كما في اليوم الذي امر فيهِ بالهجرة فانهُ جاء في نصف النهار الى بيت ابي بكر وهو مطيلس واما

حديث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيراً فحملهُ بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر

« ويروى ان ابا يوسف من اصحاب ابي حنيفة ارتأى تخصيص العلماء بزيّ خاص في الملبس ليُعرفوا فيطاعوا وتكون كلمتهم العليا اينما حلوا فتباعد على هذا الرأي بعضهم واراد ان يبرّر هذا التجوز ويجعل لهُ مأخذاً من الدين . قال محمد صديق حسن خان في حسن الاسوة في تفسير قوله تعالى « يا أيها النبيّ قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين » : واستنبط بعض اهل العلم من هذه الآية ان ما يفعلهُ علماء هذا الزمان في ملابسهم من سمة الاكمام والعمة ولبس الطيلسان حسنٌ وان لم يفعلهُ السلف لان فيهِ تمييزاً لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاواهم واقوالهم . قال السبكي ومنهُ يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضاً انتهى

« واقول ما ايرد هذا الاستنباط وما ابعدهُ وما اقلّ نفعهُ وجدواهُ لا سيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف في اللباس واطالتهِ وقد منع من ذلك سلف الامة وائمتها فاين هذا من ذاك وانما هو بدعة قبيحة شنيعة مردودة على صاحبها احدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ومن هنا قال علي القاري في معرض الذم لاهل مكة لهم عمائم كالاباريج وكمائم كالاخراج . وما ذكرهُ من ان زيّ العلماء والاشراف في هذا الزمان سنة ردّهُ ابن الحاج في المدخل بانهُ مخالف لزيهم في زمن النبي وزمن الخلفاء الراشدين و بعدهم من خير القرون فان قيل انهم بهِ يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزيّ الاول لعرفوا بهِ ايضاً لمخالفتهِ لما عليهِ غيرهم الآن اه

« وإنك لترى المغربي اليوم يلبس من الثياب ما لا عهد للمصري بهِ وهذا من الازياء الخاصة ما بين لباس العراقي والشامي . وللفارسي والطاغستاني ازياء يختلف بعضها عن بعض على قرب الجوار وكذلك البلوخستاني والافغاني والصيني والهندي والبخاري والجاوي واليماني والزنجباري والسوداني والصومالي فلكل من هؤلاء الاجناس زيّ خاص يروق وسمهم وابدانهم فمن يرنس الى عمامة خضراء او بيضاء الى طربوش اسود او احمر الى حتال وكوفية الى لبادة وقبعة قش او صوف الى قلنسوة وعرقية وكلها تدور على وقاية الرأس من لافح الحر ونافح البرد

« وقد يختلف هذا الزي في القطر الواحد نفسهِ والبلد الواحد ولا يُعلّل ذلك الا بتشتت الاهواء واختلاف التربية والمنشآت خصوصاً في اهل قطر قضي عليهِ ان يكون مزيجاً من

اجيال الناس وعناصر بني آدم. حتى ظن مرة احد سياح الافرنج وهو يجول في شوارع دمشق وقد رأى اختلاف الناس في ازيائهم وهندامهم وشاهد انواع الالبسة والاكسية ان عند القوم مرفقاً (كرتقال) ليس لهُ كلٌّ ما يغشّ بهِ صاحبهُ لتقلب سحنتهُ وسيمتهُ لما رأى من وجه الشبه بين سكان تلك الحاضرة واهل بلاده في اكتساء بعض ابنائها اكسية غريبة للاستضحاك والمزاح في ايام معلومة من السنة

« سرى داء الازياء في اهل هذه البلاد خصوصاً المسلمين منهم فكان لباسهم مدة ثلاثة عشر قرناً وربع قرن تابعاً لفواعل الزمن وعوامل الحكام والاعاظم . ومن العادة ان يتشبه المغلوب بشعار الغالب ومن العادة ان يسنّ عليّة الناس العادات ويتشبّه بهم سائر طبقات القوم اذ يعتقدون الحسن والمصلحة فيما يصدر عن الكبير و يزعمون الخير في تقليده. وقد عقد ابن خلدون فصلاً في ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيهِ ونحلتهِ وسائر احوالهِ وعوائدهِ فيما قالهُ فيهِ « وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زيّ الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انهُ اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد من امم الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت

« لا جرم ان تغيير الازياء جرى على ما اقتضتهُ حالة المجتمع والسياسة والذوق الخاص بل تصرف على قاعدة بقاء الانسب وارتقاء الازمان . فان المنصور لما رأى الحاجة ماسة الى الاتحاد في لباس الرأس وكانت بدأت الدنية تدبُّ في اعصاب أمتهِ ودولتهِ الزم الرعية على ما روى الذهبي بلبس القلانس الدنّية مشبهة بالدن في طول شبرين تعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد قريبة الشبه من الشربوش . قال ابن الاثير وسنة ١٥٣ اخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة

وكنا نرجي من إمام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلانس
نراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جُلِّلت بالاطالس

« ولما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند والعمال باللباس الاوربي والاستعاضة عن العمائم الحمراء والقواويق بالطرابيش استصدر فتوى من باب المشيخة الاسلامية

«وبعد فان تغيير العادات من شاق الاعمال لا يعمل فيها الا الأسوة والقدوة وحبهُ الزينة فلا تؤثر فيها القوانين الدينية ان وجدت ولا المدنية ان وضعت . قال منتسكيو في كتابهِ روح الشرائع اذا اراد الحاكم تغيير عادات امة وطبائعها يجب ان يكون ذلك باستبدالها بغيرها لا بقوة القوانين لان القوانين من وضع الحاكم وخاصة بهِ اما الاخلاق والعادات فهي من وضع الامة عامة . وضع بطرس الاكبر احد اعاظم قياصرة الروس قانوناً قضى بهِ على امتهِ ان يحلقوا لحاهم ويلبسوا ثياباً قصيرة كالاوربيين فاقام الجند تكمن في الطرق لتقبض على من خالف هذه الاوامر وتقصر الثياب الطويلة الى قبيل الركبة . قال مونتسكيو وتلك طريقة مجحفة لانهُ لم يكن من حاجة لهذا الملك ان يضع قانوناً توصلاً الى هذا التغيير بل كان يأتي لهُ الاكتفاء بفعلهِ هو بنفسهِ ليتخذهُ الناس مثالاً » انتهى

محمد كردعلي

***

يرى القارئ فيما تقدم كما كنا نشير الى ما فعلتهُ حكومة الجمهورية التركية من اجبارها الشعب التركي على لبس الزي الاوربي حتى في لباس الراس وما فعلتهُ الحكومة المصرية من اجبارها طلبة دار العلوم على عدم تغيير اللباس البلدي لباس المشايخ . اما الحكومة التركية فجرت مجرى بطرس الاكبر وربما كان الاجدر بها ان تفعل كما فعل السلطان محمود ومحمد علي باشا وخلفاؤهُ اي ان تقتبس الازياء الاوربية مبتدئة بالجند ورجال الحكومة وتجعل ذلك من قبيل الامتياز فيتبعها الشعب رويداً رويداً . واما الحكومة المصرية او وزارة المعارف فلها ان تسن القانون الذي تختارهُ للبس الطلبة وعلى الطلبة ان لا يخالفوا قانونها ما داموا في مدارسها وما دامت اكثر نفقات التعليم من الحكومة لا من الطلبة . ولكن لا يحسن بالحكومة ان تشترط على الطلبة الاحتفاظ بالقديم اذا كان الاحتفاظ بهِ يمنع نفعاً او لا يدرأ ضرراً كما لا يحسن بها ان تجبرهم على الاكتفاء بالآراء القديمة في الجغرافية والفلك والكيمياء والطب بل يجب عليها ان تعلمهم احدث ما وصلت اليهِ فروع العلم وتخرجهم فيها يؤهلهم لمسابقة امثالهم من الاوربيين وغيرهم من طلبة المدارس الاخرى . ولا يخفى ان ملك البلاد ووزراءهُ ورجال حكومتهِ وجمهوراً كبيراً من الاعيان رأوا من المصلحة ان يبدلوا اللباس الوطني باللباس الاوربي فهل من الحكمة ان يسن قانون يمنع الاقتداء بهم ولاسيما اذا لم يكن في ذلك اسراف ولا خيلاء

النور وفعلهُ في الاحياء

لا يرتاب احد فيما يجدهُ الناس من قوة وانتعاش في نور الشمس عند الصباح ولكننا حينما نحاول تعيين الاعضاء التي يفعل بها نور الشمس وهل هذا الفعل كيماوي او كهربائي نجد امامنا مسألة لا تحلّ الاَّ اذا تعاون علماء الفسيولوجيا والكيمياء والطبيعيات على درسها

اذا وقع خط من نور الشمس على موشور زجاجي ونفذ منهُ ظهر بعد نفوذهِ في سبعة الوان موصوفة الواحد فوق الآخر اسفلها الاحمر وفوقهُ البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي اي ان نور الشمس الابيض يُحلّ الى سبعة انواع من الاشعة المختلفة الالوان وهي التي ترى في قوس قزح من انحلال نور الشمس بنقط المطر . ويظهر لدى التحقيق ان نور الشمس لا يحل الى هذه الاشعة السبعة فقط بل الى غيرها مما لا يرى بالعين بعضها تحت الاشعة الحمراء وبعضها فوق الاشعة البنفسجية . كل ذلك امواج تسير في الفضاء بسرعة واحدة هي سرعة النور فتستطيع الموجة منها ان تدور حول الارض نحو ثماني مرات في ثانية من الزمان. فالاشعة التي تحت اللون الاحمر في الطيف تسمى اشعة حرارة لا تُرى ولكن تشعر بها اعضاء الحس في الوجه والجلد عموماً . هذه هي الاشعة التي تحت الاحمر او الاشعة المظلمة ومنها يتألف جانب كبير من القوة التي تجيئنا من الشمس . اما الاشعة البنفسجية ففوقها اشعة قصيرة الامواج جداً لا ترى تُعرف بالاشعة التي فوق البنفسجي او الاشعة الكيماوية وانما يعرف فعلها بما لها من الاثر في الواح الفوتغراف مثلاً . هذه الاشعة قليلة في نور الشمس الذي يصلنا عادة لان جانباً كبيراً منها يمتصهُ الهواء ولذلك تجدها في الاماكن العالية اكثر منها في الاماكن الواطئة. والزجاج العادي الذي يوضع في نوافذ البيوت يحجبها لذلك تجدها قليلة جداً في البيوت متى اقفلت النوافذ الزجاجية. وقد وجد العلماء حديثاً ان الزجاج المصنوع من الكوارتز المصهور لا يحجب الاَّ جانباً قليلاً منها ولذلك ينتظر ان تصنع منهُ شبابيك المستشفيات والمصاح

يستطيع الانسان ان يتعرض للاشعة المنظورة من الطيف الشمسي من غير ان يصاب بضرر ما ولكن متى زاد مقدار الاشعة التي تحت الاحمر او الاشعة التي فوق البنفسجي عن المعتاد لسبب ما طلب الظلّ لان الاشعة التي تحت الاحمر تحدث ضربة الشمس والاشعة التي فوق البنفسجي تسبب حروقاً تعرف بحروق الشمس . ويستطاع

التحليل على ان الاشعة التي فوق البنفسجي هي التي تحدث هذه الحروق بتعويض بقعة من الجلد لاشعة من مصباح بخار الزئبق في انبوب من الكوارتز . فتُحجب كل الاشعة التي يتالف منها نور هذا المصباح ببطرية من الماء ولوح من الكوبلت والكوارتز ولا تُحجب الاشعة التي فوق البنفسجي فتصوّب الى الجلد تحدث فيه حروقاً

ومن الغريب انهُ متى شفي حرقٌ احدثتهُ هذه الاشعة يتلون الجلد مكانهُ في الغالب بلون اغمق من لون الجلد. فاذا عرضت البقعة المفولة من جديد للاشعة التي فوق البنفسجي لم تحدث فيها حرقاً وانما تحدث حرقاً فيما حولها من الجلد الذي لم يتلون بلونها فكأنَّ وجود هذا التلوين يمنع عن الجلد الضرر الناجم من التعرض لتلك الاشعة . ولعلَّ في ذلك تعليلاً لنشوء الاجناس السوداء في المناطق الاستوائية . ولا يعلم حتى الآن فعل هذه المادة الملونة في دفع فعل الاشعة الكيماوية وخصوصاً لان علماء الطبيعيات اثبتوا ان الالوان المقفولة يسهل عليها امتصاص اشعة الشمس اكثر مما يسهل على الالوان المفتوحة

والاشعة التي فوق البنفسجي او الكيماوية تقتل البكتيريا وقد طُبقت هذه الخاصة تطبيقاً عملياً فصار الماء يُعقَّم في بعض الاماكن بامرارهِ فوق اسطوانات من الكوارتز فيها مصابيح بخار الزئبق . ولا يخفى ان الكوارتز لا يحجب الاشعة التي فوق البنفسجي فيسهل نفوذها واتصالها بالماء فتميت ما فيهِ من المكروبات

وقد ثبت للعلماء والاطباء ان لهذه الاشعة شأناً كبيراً في نمو الاطفال وقد تصير من اقوى العوامل التي يُعتمد عليها في معالجة داء الكساح الذي يصاب بهِ الاطفال الساكنين في الاحياء المظلمة. وتدل التجارب التي يجرونها الآن على ان الاشعة التي فوق البنفسجي اذا فعلت وحدها كان فعلها اقوى مما لو كانت ممتزجة مع الاشعة الاخرى التي يتالف منها الطيف المنظور

ومشابهة الاشعة التي فوق البنفسجي لاشعة اكس في الطيف الكهربائي المغنطيسي يجعل الامل كبيراً في حلّ ما يتعلق بفعلها البيولوجي . انما بينهما فرقان كبيران فالاشعة التي فوق البنفسجي تفعل فعلها في بضع دقائق وفعلها هذا لا يتعدى الطبقات العليا من البشرة. واما اشعة اكس فلا تفعل فعلها الاَّ في مدة اسبوع او اكثر وفعلها يخترق الجسم لا يوقفهُ الاَّ اجسام كثيفة كالعظام. والاشعة التي تنطلق من الراديوم لها فعل يشبهُ فعل اشعة اكس

ولنا مل‌ء الامل ان البحث في هذه الاشعة يؤدي الى معرفة فائدة نور الشمس على طريقة عملية عملية. ومتى عرفنا ذلك فقد بهتم اولو الشأن بازالة ما في هواء المدن من الهباء الذي يمتصُّ الاشعة التي فوق البنفسجي المفيدة لتبقى فائدة النور تامَّة

آثار سقارة المكتشفة حديثاً

لا يخفى ان هرم سقارة المدرج اقدم بناء حجري فانهُ بني قبل المسيح بنحو ٣٩٠٠ سنة مدفناً للملك زوسر اوتشوزر من الاسرة الثالثة المصرية . وقد ظهر حديثاً ان البقعة التي هو فيها كانت مسوّرة وطولها ١٥٠٠ قدم وعرضها ٩٠٠ قدم . وقد كلف المستر فرث من مصلحة الآثار المصرية منذ ثلاث سنوات ان ينقب في كل هذه البقعة فكشف فيها في السنة الماضية الهيكل الذي بني تذكاراً ليوبيل السنة الثلاثين لجلوس الملك زوسر على العرش وتمثالاً حجرياً لهُ وكشفت الآن صفاً من الاعمدة الجميلة طولهُ ٢٥٥ قدماً وعدد هذه الاعمدة ٤٨ وهي من الحجر الجيري الابيض مصفوفة اثنين اثنين وكان ارتفاع كلٍّ منها اصلاً خمسة امتار وجذوعها مضلعة كأنها حزم من نبات البردي كما ترى في الشكل المقابل لا كالاعمدة التي كشفت قبلاً فان اضلاع تلك كالاقنية. وفي آخر صف الاعمدة من الشرق ومن الغرب ابواب منحوتة في الجدار قلدت بها الابواب الخشبية

ويرجح ان ارتفاع السور كان ٢٣ قدماً وفيهِ نوافذ وكوى لرمي السهام وهناك برجان يشبهان الابراج التي تبنى في اسوار الحصون لتمكن الحامية من صب مقذوفاتها على رؤوس العدو . ووجد هناك اربعة رؤوس منحوتة شكلها مثل شكل التماثيل المنسوبة الى ملوك الرعاة (الهكسوس) مع ان المكان الذي وجدت فيهِ خاص بالاسرة الثالثة وآثار الهكسوس معدودة الآن من آثار المملكة الوسطى. وهذا الصف من الاعمدة اقامهُ المهندس احوتب وهو اول مهندس معماري عُرف وقد ألّههُ المصريون وعبدوهُ كحامٍ للطاء والكتبة

ووجد في ارض احدى الغرف الى شمال صف الاعمدة رسالة يرجح انها من عهد الاسرة السادسة اذ وجدت معها شقف فيها خطاب خاص ببناء هرمي ميرنر و بي الثاني والرسالة مكتوبة على قرطاس من البردي وفيها شكوى رفعها مكتب الوزير من الضابط المكلف قيادة الجنود في طره وقد جاء في هذه الشكوى ان رجالاً من اتباع الوزير ذهبوا الى طره لكي يستملوا ملابسهم فأهمل امرهم واضطروا ان ينتظروا ستة ايام قبلما تمكنوا من استلامها . وقد مضى على هذه الشكوى خمسة واربعون قرناً ولها امثالها في عصرنا هذا

ووجد على جدار قرب هذا المكان دفتر توكدُ زائر قبل المسيح باحد عشر قرناً وفيهِ انهُ اتى ليشاهد غرائب سقارة بعد ما قضى سنوات كثيرة في الحروب ولم يبقَ حيّاً من فرقته غيرهُ

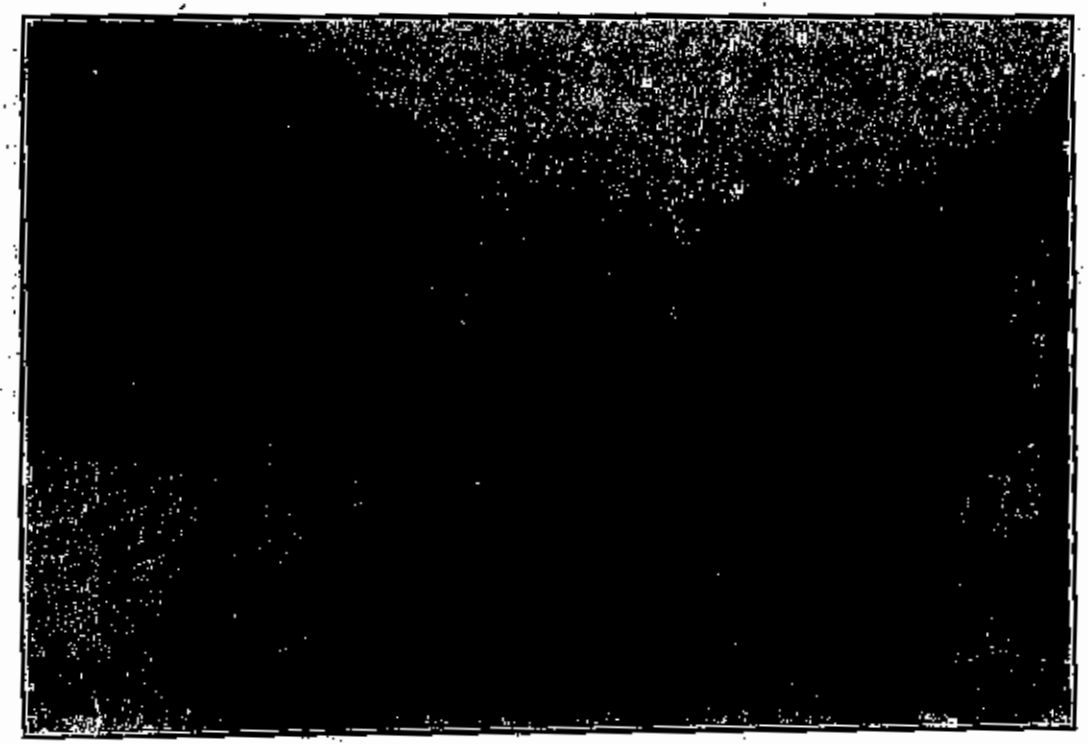

صفّا الاعمدة الكلية (الجيزية) المقلعة التي كشفت في سقارة حديثاً قرب هرم زوسر المدرّج

التقطت مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٢٤٨

اسلوب المؤرخين العرب

في كتابة التاريخ

لو دققنا النظر في دراستنا للأساليب التي يتبعها بعض المؤرخين المعاصرين من العلماء الغربيين في تآليفهم لحققنا انهم يعتقدون أنّ التاريخ سلسلةُ حركات متتابعة متصلة يأخذ بعضها برقاب بعض فلا يعتبرون السنة مركزاً لابحاثهم كما فعل الطبري وابو الفدا ولا يجعلون كلامهم على الخلفاء والامراء والوزراء والسلاطين كابن الطقطقي في كتابه الفخري او المقري او اليعقوبي ولا ينظمون عقد مؤلفاتهم في البحث على الامكنة كابن عساكر في كتابه المشهور عن دمشق او الازرقي في كتابه عن مكة ولا يجمعون الاخبار والروايات التي تصف الحادثات والوقائع والفتوح ولا يرتبون الحقائق التاريخية حول المواضيع المختلفة التي لا علاقة عقلية ولا منطقية تربطها بعضها ببعض

١ — الكتابة حول المواضيع المختلفة

فالمسعودي بينا تراهُ يصف هيئة الارض وجغرافيتها الطبيعية إذا به يُسهبُ في ذكر الآثار القديمة من الابنية والمساكن ثم يتطرق إلى البحث عن الامم السالفة من المصريين والفارسيين والاغريقيين ويستطرد خلال ذلك الى الكلام على الانبياء والرسل حتى يصل الى حياة الرسول (ص) والصحابة والخلفاء وهو يُقِرّ علناً بذلك في مقدمته فيقول

« أما بعد فانّا صنفنا كتابنا في « اخبار الزمان » وقدمنا القول فيه في هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وانهارها وبدائع معادنها وأصناف منابتها واخبار غياضها وجزائر البحار والجزيرات الصغار واخبار الابنية المعظمة والمساكن المشرفة وذكر شأن المبدإ واصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهراً فصار بحراً وما كان بحراً فصار براً وما كان براً فصار بحراً على مرور الايام وكرور الدهور وعلة ذلك وسببهُ الفلكي والطبيعي وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحي والآفاق وتباين الناس في التاريخ القديم واختلافهم في بدئه واوليته من الهند واصناف الملحدين وما ورد في ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الدهريين ثم اتبعنا ذلك باخبار الملوك الغابرة والامم الداثرة والقرون الخالية والطوائف

البائدة على مرّ سيرهم في تغيّر اوقاتهم وتضيف اعصارهم من الملوك والفراعنة العادية والاكاسرة واليونانية وما ظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم واخبار ملوكهم واخبار العناصر الى ما في تضاعيف ذلك من اخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى ان افضى الله بكرامته وشرّف برسالته محمداً نبيهُ صلى الله عليهِ وسلم فذكرنا مولدهُ ومنشأهُ وبعثتهُ ومهجرتهُ ومغازيهُ وسراياهُ الى اوان وفاتهِ واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين الى الوقت الذي شرعنا فيهِ تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله امير المؤمنين وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة »(١)

والمطالع المدقق في كتاب الكامل لابن الاثير يشهد انّ المؤلف حذا حذو المسعودي فجعل مواضيع الوقائع والحادثات نقطةَ الدائرة في ترتيبهِ لتأريخهِ وهو ينتقد الذين يذكرون الحوادث حسب السنين اذ تأتي مقطّعةً لا تُفهَم الاّ بعد الروية وامعان الفكر فيظهر لقارئهِ في مقدمتهِ الاسلوب الذي اتبعهُ في تأليفهِ فيقول

« ... اما بعد فاني لم ازل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها موثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها مائلاً الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد أخلّ بكثير مما هو آت ومع ذلك فقد تركَ كلهِ العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسوّد كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التي الاعراض عنها اولى وترك تسطيرها احرى كتولهم خلع فلان الدمي صاحب العيار وزاد رطلاً في الاسعار واكرم فلان واهين فلان وقد ارخ كل منهم الى زمانهِ وجاء بعدهُ من ذيل عليهِ واضاف التجددات بعد تاريخهِ اليهِ والشرقي منهم قد اخلّ بذكر اخبار الغرب والغربي قد اهمل احوال الشرق فكان الطالب اذا اراد ان يطالع تاريخاً احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال فلما رأيت كذلك شرعتُ في تأليف تاريخ جامع لاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينها ليكون تذكرةً لي اراجعهُ خوف النسيان وآتي فيهِ بالحوادث والكائنات من اول الزمان متتابعةً يتلو بعضها بعضاً الى وقتنا هذا . . . . . ورأيتهم ايضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين و يذكرون منها في كل شهر اشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض

(١) مقدمة مروج الذهب ومعادن الجوهر ص ٢ — ٣

ولا تُفهم الأ بعد إمعان النظر فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في اي شهر او سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد اخذ بعضها برقاب بعض وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فانني افردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فاقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل ايامهُ فانني اذكر جميع حاله من اوله الى آخره عند ابتداء امره لانهُ اذا تفرق خبرهُ لم يعرف للجهل به وذكرت في آخر كل سنة من تُوفي فيها من مشهور العلماء والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الاشكال و ينفي عن الالتباط والاشكال »(١)

وكان الدينوري صاحب « الاخبار الطوال » قد بدأ بذكر الانبياء من لدن آدم حتى توصل الى البحث عن الملوك العجم والخلفاء المسلمين وفتوحاتهم والفتن التي اشتعلت نيرانها في عصورهم فهو يبني تاريخه على كل ما جرى من الحادثات المشهورة والايام المنظورة فيفصلها تحت عنوانين الاكاسرة والسلاطين والامراء فيشبه بذلك ابن الاثير في الاسلوب الذي انتهجهُ والطريقة التي تمشى عليها ونبشنا مقدمتهُ بخطتهِ فيقول

« . . . فيه ذكر ملوك الارض من لدن آدم عليه السلام الى انقضاء ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز وذكر من ملك من ملوك قحطان وملوك الروم وملوك الترك في كل عصر واوان وذكر الائمة والخلفاء والحروب التي كانت مثل يوم القادسية وفتوح العراق وانصرام دولة العجم وحرب الجمل وصفين و يوم النهروان ومقتل الحسين بن علي عليه السلام وفتنة ابن الزبير وخروج الازارقة وحروبهم وايامهم وخبر المختار بن ابي عبيد وقصته وسبب خروجه وخروج عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج وما كان بينهما وذكر خلافة عبد الملك والوليد ابن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز الى انقضاء ملك بني امية وخبر الدولة العباسية وقصة ابي مسلم الى خلافة المنصور و بنائهِ مدينة بغداد وايام الخلفاء من بعده الى انقضاء امر محمد الامين وخبر المأمون الى آخر ايام المعتصم وخبر بابك وحروبه مختصراً من اليه مقتصراً على الاقتصاد . »(٢)

(١) مقدمة الكامل لابن الاثير ص ٢ — ٣
(٢) مقدمة الاخبار الطوال للدينوري ص ٢

اما الامام الفقيه ابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة صاحب كتاب « المعارف » « وأدب الكاتب » فكان يظن ان التاريخ يشتمل على فنون متنوعة من الآداب والمعارف فيروي لنا في كتابه (المعارف) شيئاً عن مبتدإ الخلق وقصص الانبياء وأعقابهم ومنازلهم في المغرب والمشرق وأخبار الرسول واحوال ازواجه وأقاربه ومغازيه ثم لا يلبث ان يتكلم عن الصحابة والمهاجرين وخلفاء بني امية والخلفاء العباسيين والمحدثين والحكماء والنسابين والنحويين والاخباريين ورواة الشعر واصحاب القراآت في ايامهم و يصف اشهر المساجد في الحجاز والعراق والشام و يتطرق بعد ذلك الى البحث عن جغرافية بلاد العرب وما بين النهرين والسودان وعن الفتوح العربية وأديان العرب في الجاهلية وصناعات اشرافهم واصحاب العاهات فيهم وايامهم والاقوام التي جرى المثل باسمائهم و يخبرنا اخيراً عن الاكاسرة وعلاقة العرب اللخميين بهم . فترى ان الرجل لم يكن يضع خطةً معلومة امامهُ حينما يكتب التاريخ بل يجمع ما تيسر لهُ عن كل المواضيع التي يدعونها « معارف » دون ان يكون ثمة علاقة بينها فكتابهُ اشبهُ شيء بكشكول اخبار وهو يمثل لنا الجماع في التاريخ فبينما تراهُ منهمكاً بذكر بني العباس اذا بهِ يرجع فيصبح جغرافيًّا فيصف بلاد العرب ثم اخباريًّا فيقص علينا ما شاء الله أن يفعل من قصص البرص والعرج والعمى والجدع والصلع والعور الخ حتى يتساءل قارئهُ « تُرى اي علاقة لهؤلاء بمجاري التاريخ التي تصل الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل» ولماذا لم يعطف على اصحاب الظرف والفكاهة وارباب الحيل والدعابة فيُفرح قارئهُ بأخبارهم و يسر خاطرهُ باطايب احاديثهم بدلاً من ان يحزنهُ بتذكيره بأصحاب العاهات. والحاصل انَّ ابن قتيبة أراد ان يكتب التاريخ فكتب كل شيء وقعت عيناهُ عليهِ او سمعهُ او درسهُ على مشايخهِ او ظفر بهِ حين الدرس والمطالعة فهو يمثل لنا ذلك الجماع من المؤرخين الذين يهضمون كل حقيقة و يأتون على كل شاردة وواردة

وهاك جانباً من مقدمتهِ التي يصف لك بها خطتهُ في كتابة التاريخ

« يشتمل على فنون كثيرة من المعارف اولها مبتدأ الخلق وقصص الانبياء وازمانهم واعمارهم وأعقابهم وافتراق ذراريهم ونزولهم بشارق الارض ومغاربها واسياف البحار والفلوات والرمال الى ان بلغت زمن المسيح والفترة بعدهُ . ووصلت ذلك بذكر انساب العرب مختصراً ومقتصراً على العامر ومشهور البطون ثم اتبعتهُ

أخبار رسول الله في نسبه وذكر عمومته وعماته وجداته لأبيه وأمه واخواته وازواجه واولاده ومواليه واحزابه في مولده ومبعثه ومغازيه الى ان قبض واخبار العشرة من المهاجرين ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء من لدن معاوية بن ابي سفيان الى احمد بن محمد بن المعتصم المستعين بالله والمشهور من صحابة السلطان والخارجين عليهم من الخوارج ثم التابعين ومن بعدهم من حملة الحديث واصحاب الرأي ومن عُرف منهم بالترفض والتشيع والارجاء والقدر واصحاب القراآت من اهل الحجاز ومكة والعراق والشام والنسابين واصحاب الاخبار ورواة الاشعار واصحاب النحو والمعلمين والمتهاجرين من الصحابة والتابعين وأول من احدث شيئاً بقي على مرور الايام . وذكرت المساجد المشهورة كالكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد البصرة ومسجد الكوفة ومسجد دمشق ومتى ابتنيت وعلى يد من اسست ودللت على جزيرة العرب وحدود السودان والجزيرة بين دجلة والفرات وحدود نجد والحجاز وتهامة — واخبرت عن الفتوح وما كان منها عنوة وما كان عن صلح وعمن جُمع له العراقان وعن فرق ما بين المهاجرين الاولين والمهاجرين الآخرين وعن المخضرمين وعن سبب اضعاف الصدقة على نصارى بني تغلب وعن اديان العرب في الجاهلية وعن سنات الاشراف في الجاهلية وعن أهل العاهات الذين كثرت فيهم وعن البرص والعرج والصم والجدع والجذمى والحول والزرق والعُقم والكراسيع والصلع والبخر والصور والمكافيف وعن المنسوبين الى غير عشائرهم وآبائهم وعن المسمين بكنام وعن ذكر الطواعين واوقاتها وعن الايام المشهورة مثل يوم ذي قار والفجارين وحلف الفضول وحلف المطيبين وحرب بكر وتغلب او حرب داحس والغبراء وعن قصص قوم جرى المثل باسمائهم مثل قوس حاجب و باقل وقرطا مارية وخريم الناعم وتجام سابلط وشقائق النعمان وحديث خرافة و يرجان العمى وصحبان ودائل الخطيب وطفيل القديم يُنسب اليه الطفيليون .... ومواعيد عرقوب وخفي حنين وعطر منشم وأخبرت عن ملوك الجبرة والزدافة وعن ملوك فارس ملكاً ملكاً ومددهم وجمل من سيرهم[1] »

دار المعلمين — بغداد انيس زكريا النصولي

(١) مقدمة كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ١ — ٢ — ٣ — ٤

الصراع

تتمة القصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية

٥

النيل مرخٍ سدولهُ الناعمة والطبيعة ممسكة انفاسها وماء النيل العظيم يتوارد في سكون مترقب والقمر مرهف ينصت من بين الغيوم الى حديث شاب وشابة قد اتخذا من احجار خزان اسيوط مقعداً رأيا احجارهُ الصلدة ارقَّ من قلوب البشر وطعما من صمتهِ الخالد في حارس امين على اسرار سلطان الهوى يتحكم في الارواح ويتصرف في القلوب

وكانت الشابة مثالاً للجمال الشرقي الاسمر الجذَّاب الذي يوقظ نفوسنا ويثير فينا ذكريات مبهمة عذبة جميلة عن الغواني الحسان الفواتي اللَّيْنَ سليمان حكمتهُ وضيَّعن على شمشون قوتهُ وسلبن انطونيوس تفوذهُ وسلطتهُ ..... تلك الدمى من البلّور اللدن والعاج البض المزينة بشفاه مصبوغة بدماء الحياة وخمرها واسنان بهية كصخور الشواطئ البيضاء غسلتها الامواج وسكبت تحت اقدامها كل ما كان فيها من عزم وابهة وجلال — او عيون مسكرة ترى في نعاسها ليالي ساهرة تشوى ملوءة بالنذات كليالي الف ليلة وليلة، وحواجب اشرفت على العيون فابتليت بغرامها فتراها دقيقة كالمضى بسط ذراعيهِ ليطوّق محبوبهُ ثم يرجعهُ التنزيه والتقديس ويمنعهُ الخجل والضعة فيبقيها مبسوطتين رمزاً للحب الابدي اليائس ، وفوق الجميع تاج من الشعر الاسود تسكنهُ الاحلام والاماني حالك طويل كليل الصب لدن متثنٍ كالنسيم المعطّر الراقص بين الاودية مهيب عزيز كلبدة الاسد، ورثت من امها حواء السحر والفتنة اللتين غلبت بهما ربها على امره يوم ان استلبت من يدهِ ذلك المخلوق الذي يراه على صورتهِ ومثالهِ ليجعلهُ بهجة نفسهِ وقرة عينهِ ، يوم ان استدرجت الرجل وخرجت بهِ الى العالم المسعر نار كة الجنة بجراسها ذوي السيوف النارية المتقلبة مظهر الغضب الجبار بعد ان كان بالرجل والمرأة العريانين مظهراً لحب اللطيف ورحمتهِ : فتاة من ذلك الجنس الغريب الذي ضعفهُ مظهر قوتهِ وتجنيه دليل وداده وتملقهُ برهان كراهتهِ — صوتهُ يحدثك بصوت اعلى من ضجيج العاصفة ، وحديثهُ غرار كالسراب مبهم كالصدى خوَّان كالقصة المرضوضة . وكان رأسها الجميل مستقرًّا على صدر الشاب كالامل العذب في صدر الفترة

وكانت ذراعهُ القوية تمنطق عنقها الفدن كما تمنطق التميمة الفعالة عنق الصبي المدلل — اما الشاب فقد كان رمز الرجولة .. قوام ممتلئ مشوق ، وعنق قوي غليظ ، يحمل وجهاً كتبت عليهِ آية العزم الذي لا يلين والصبر الذي لا ينفد والشجاعة التي لا تعرف الخوف يستطيع ان تستشف من ملامحهِ سماة الشعب التركي الباسل

طال الصمت وفجر القمر المنصت من بين الغيوم فبرز والقى على الحبيبين تلك الظلالة الرقيقة المحمورة التي تظهر خفايا مستحيلها ورفعت الفتاة رأسها عن صدر رفيقها ، كأنها استأنست بشبيهها ، وارسلت زفرة حرّى تقطعت لها نياط قلب الشاب ، فاختطف اصابعها اللدنة ، وابقاها بين يديهِ القويتين كأنهُ يحميها من خطر يراهُ بعيني روحهِ ، وقال وهو يتكلف رسم صورة الجلد والاستخفاف على وجههِ المتعب المضعضع — ما لك واي الناس تصغو مشاربهُ ؟

ادارت الفتاة رأسها ببطء ، وعيناها تبحثان عن عيني رفيقها ثم قالت — انت تريد ان تسل كلوم قلبي بدماء قلبك التي اسالتها السكين ، التي تطعننا معاً . وان تطفئ لهب روحي برماد روحك الذي خلفتهُ النار التي تحرقنا معاً ..... لكن الميت لا يحيي الميت والسمُّ لا يشفي من السم

وقف الشاب تمثالاً للغضب اليائس وصاح بصوت كزئير الاسد المحبوس — لو كان الرجل جزءٌ ان يرفع بصرهُ الى بهائك ، رجلاً غير أبي اذن لاعتصرت قلبهُ بيدي الى ان ازيل حتى ذكريات حبك من نفسهِ ، ولسحقت رأسهُ بقدمي الى ان امحو حتى رسمك من مخيلتهِ ... ولكنهُ ابي — ابي الذي احبني ويحبني فلا استطيع ان اكرههُ .... انهُ ابي .... ابي .... ابي !!!

— نعم هو ابوك ابوك الذي تحبهُ انا انا فا انا ..... انا المرأة التي فتحت اذنيها لصوت قلبها ، فاحبت الرجل الذي عيّنهُ ، فعلّة هذا جرمٌ عليها تعاقب من اجلهِ بان تدفع الى ذراعي الاب بدلاً ان ترتمي على صدر الابن ، وان تكره على ثم الرأس الاشمط ببياضهِ الشائع بين سوادهِ كخناجر مشهورة في الظلام مستعدة في قلبها ، بدل ان تتمتع بالتهالك على تقبيل الشفاه التي اسمعت قلبها النشيد الذي لقنهُ الله لآدم يوم ان سلهُ حواء ، الذي يردده العصفور لاليفتهِ وهما مختبئان بين اوراق الربيع ، النشيد الحلو الذي يربط الرجل بالمرأة ... فاذا هما كلٌّ لا يقبل التجزئة وبعضٌ يكملهُ الله

— هدى.... حياتي ... لا تعذبيني انت تعلمين اني احبك بجموع قلبي .. ـ ..
وهل شككتُ انا في حبكِ ؟ لا ولن اشك لكن اسمع خطتي ... فان احببتك قبلتي
سأكون عروسك او عروس القبر
ـ وسأكون عريسك او عريس الابدية
وكانت قبل خرساء وعهد مكتوب بالدموع المسجمة في اسىً صابر معتزم

٦

الساعة العاشرة مساء والليل ساجٍ ساكن لا يسمع فيهِ الاَّ صوت المقرئ الحلو يرتل آي الذكر الحكيم . وكان قصر جلال بك منتصباً في الظلام كأرد طويل يظهر النور من خلال نافذتين متجاورتين فيهِ . الاولى نافذة جلال بك والثانية نافذة ابنهِ عصام — وكان جلال بك جالساً امام مكتبهِ و بيدهِ ورقة طويلة بهـا اسماء مزارعي الناحية وامام ثلاثة اسماء منها علامات خطت بمداد احمر — هؤلاء الثلاثة هم الذين كان يخشى جلال بك ان تبلغ بهم الجسارة حدًّا يخرجون فيهِ عن ارادتهِ في الاجماع على انتخاب امين باشا ... ورفع جلال بك نظره عن الورقة وحوّلهُ الى سقف الغرفة ثم قرع الجرس قرعاً شديداً متواصلاً . . .

استدع سيدك عصاماً

وكان عصام امام مكتبهِ معتمداً رأسهُ بيديهِ وفي عينيهِ بريق مرعب وقد ارتسم على جبينهِ القنوط الميت جنباً الى جنب مع العزم المستميت

— سيدي البك يريد مقابلتك طيب

— وقف عصام ويدهُ على جبهتهِ الملتهبة وهو يقول .. أيتها السماء ادخري قوتك لي ، ايتها الارض اعيريني ثباتك واستقرارك ، ايها الجحيم اخلع عليَّ استارك وتلهبك

— ثم مساء يا ابتاه ـ نعمت مساء يا عصام .. اجلس . تهالك عصام على اقرب كرسي اليهِ وقلبه مضطرب خافق لانهُ احس بعصا القدر تسوقهُ الى مصير مجهول . رآها تقلب العاصفة لتقيمها في وجه العاصفة، وتدير رأس الموجة لتسوقها الى الاصطدام بالموجة، وتحول الاسد عن طريقهِ لتحملهُ على الاصطدام مع الاسد

وأحس عصام في تلك الساعة انهُ بطل ، لانهُ كان يدافع عن الحرية التي تعلم ان يقدسها و يعبدها ، وعن الحب الذي كرّس حياتهُ لهُ ، وعن البنوة التي تحملهُ ان

تدفع الطعنة الموجهة الى صدر امه، امه التي كان رأسهُ الملتهب ملقى على صدرها المضطرب من ساعة واحدة وينظر الى وجهها الجميل الحزين كورود الضريح ، البهي المختفي كشمس الغروب ، الثابت المتألم كايمان الشهيد ، يسمع صوتها الحلو تقطعهُ الزفرات والقبل، يهمس في اذنهِ « قلبي معك يا عصام والضربة الموجهة الى رجولتك ستمر اولاً على انوثتي . ابوك زوجي رأى فتاة هي حبيبتك فاحبتهُ ، وانت رأيت رجلاً هو ابوك يسطو على حمامتك فانت ستنقض عليهِ ويد القدر سلحت الاب بالشهوة وسلحت الابن بالغيرة وساقتهما في الظلام ليقتتلا ، واخشى ان يرفع الستار فاذا مدية الاب في قلب الابن ومدية الابن في قلب الاب وبين الام الزوجة وحدها ، تدعو لقاتل ابنها وترحم على القاتل بزوجها. انا لا استطيع ولا اريد ان اقف في وجهِ ابيك ومع ذلك فان الخمس وعشرين سنة التي قضتها روحي في التفاهم مع روح ابيك تمكنني من ان اقول بثقة ان اباك ليس شريراً. انهُ يثور حتى تحبهُ سيحرقك حبًّا ، ثم يذوب حتى لتراهُ سيغرقك رأفة ، وكثيراً ما استنزل ببهول غضبهِ دموعي، ثم مسح بقبلات ندمهِ عبراتي ..... نعم ابوك ليس شريراً وفوق ذلك هل نسيت وجود الله ؟ »

انتبه عصام فجأة من احلامهِ على صوت ابيهِ يقول في عزم :

— انك ستترافع غداً في قضية احمد محمد عمران ؟

— نعم

اذاً فلا تذهب بل كلف من يطلب التأجيل . لكن . . . لماذا ؟

وقف جلال بك و يداهُ وراء ظهره واخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً ووقف عصام صامتاً متلهفاً مستعدًّا — استدار جلال بك فجأة وقال — سينجح امين باشا في الانتخابات لاني اعاونهُ ، وانت تعلم ان عمران قد تبلغ بهِ القحة حدًّا قد يفكر معهُ في الخروج على امري في انتخاب امين باشا فانا اريد ان تكون قضيتهُ لجاناً يضمن لي تسييرهُ وفق ارادتي

— لكن هذا لا يتفق مع مبادئ الحق والعدل وانا . . . . . .

هاج هائج جلال بك فضرب المنضدة بقبضة يدهِ ثم قال — الحق والعدل !!! . . .

ثم استطرد في غضب مكظوم — اعبد حقك وعدلك كما تشاء لك تنسك الطائشة وعقلك الهج ولكن بعد هذه المرة . . . . اسمع ، اني عازم على الزواج بهدى ابنة امين باشا ومقابل ذلك سينجح امين باشا في الانتخابات . . . . وانا واثق انك لا تريد ان تقف في سبيل مسرة نفسي . . . . . ابه ؟؟؟ . . . .

أني اضحي بحياتي لاطبع ابتسامة على شفتيك ، واسفك دمي لا غسل كدراً عن قلبك ، ولكن المسرة التي تطلبها ستجتاح في وجهها حرية الوف من البشر لهم حق في الحرية ، وستسلب من زوجتك اي حباً استحقتهُ بتضحيتها ووداده واحتمالها خمساً وعشرين سنة

— ايها الكلب اخرس . . . اخرس . . .

— وفوق ذلك فعي لا تعوضك عن قلب اي قلباً آخر لان قلبي حبيبتي وانا حبيبها وقلبها في وحدي

اخرس أخرس ايها الكلب . . . اقتلك . . .

برح عصام غرفة ابيهِ رافع الرأس هائل المنظر واغلق الباب وهو يتمتم « انا لست كلباً »

٧

مرت على جلال بك ساعتان طويلتان وهو يذرع غرفتهُ جيئةً وذهاباً كالاسد المحبوس ينقل يدهُ من رأسهِ الملتهب بنار الغضب والشهوة ليضعها على قلبهِ الخافق بعواطف الابوة والحب . تركض امامهُ في الغرفة الضيقة ثلاثة خيالات غريبة الاول عصام شبلهُ برأسهِ المرتفع وعينيهِ التويتين يصيح فيهِ « سخسر قلب زوجتك وقلب ابنك وستكسب فقط كراهة الالوف من الناس ، اما قلب هدى فلي وحدي » والثاني خيال « جميلة » الزوجة الوفية بوجهها الجميل الساير المؤمن تهمس في اذنهِ « ارجع الي يازوجي » الخيال الاول يستثير فيهِ عاطفة الابوة والخيال الثاني يزكي فيهِ عاطفة الزوجية . . . . . اما الخيال الثالث فلفتاة فتانة ساحرة تحيط برسمها الغيوم الزهية يستثير فيهِ عاطفة الشهوة ان صح ان تسميها عاطفة .. فكان وجه الرجل مسرحاً لصراع الشر مع الخير . . . . . لصراع الشهوة التي ستأمر قلبهُ وستأسر من ورائهِ ارادة الرف ، مع الزوجية والبنوة وما يتلوها من سعادة وحرية ، وكان صراعاً قوياً في نفس قوية وان لم تتصارع العواطف في نفس جلال فهي اي ميدان تتصارع

— هو يقول انهُ يضحي بحياتهِ ليطبع ابتسامة على شفتيَّ ويسفك دمهُ ليغسل همّاً عن قلبي . . . . ما اكذبهُ !!! ألم يقف في وجهي انا ابوهُ . . . ألم يثُر على ابيهِ في سبيل فتاة ؟ . . . . . لكن ان كنت انا وانا انكيل قد دست في سبيل الشهوة التي موضوعها هذه الفتاة زوجتي وابوتي فلماذا الومهُ لانهُ في سبيل حبهِ للفتاة عينها وبنوتهِ لابيهِ قد ثار على ابوتهِ ؟ . . . . . لكن هل استطيع ان اصغي عن وقاحتهِ . . . . . ؟

ارتمى جلال بك على المقعد الاقرب مجهوداً وهو يغمغم «انهما متحابان» ثم وثب فجأة لفكر هائل طرأ عليه وهو يصيح زوجة ابيه ، الفاجر ، الفاجر ..... ثم ارتمى على مقعد مرة ثانية وهو يقول ولكنها ليست زوجة أبيه ..... ومن قال انه عشيقها قد يكون حبيبها فقط وهل تزوجت انا جميلة الا بعد ان احببتها اولاً ؟ ثم وقف ورأسه ملتهب طافح بالخيالات والهواجس وفتح النافذة وهو يقول

«ايتها السماء اقذفيني من هذه الافكار»

دخل هواء الليل البليل يحمل على اجنحته الخفية صوت المقرئ الرنان يرتل من القرآن الكريم

«وان خفتم الا تعدلوا فواحدة»

وهكذا استجابت السماء دعوة جلال بك في اسرع مما كان ينتظر

٨

عاد عصام الى المنزل في الساعة التاسعة مساء فنبأه البواب ان اباه ينتظره بمنزل امين باشا وكان عصام يعرف ان هذا المساء هو آخر المهلة بين جلال بك وامين باشا ولكنه مع ذلك سار الى منزل امين باشا وهو يقول «اذن سأكون شاهداً في حفلة زواج ابي بحبيبتي .... ولمَ لا ؟ ! ما دام الانتحار سيخلصني من آلامي كلها فلأشرب الكأس حتى الثمالة

وكان جلال بك قد وصل الى منزل امين باشا قبل وصول عصام فاستقبله الباشا في بشر ضعيف مصطنع

— خير ان شاء الله يا باشا — كله خير يا بك —

— عظيم لكن هل حضر العريس ؟

رفع امين باشا رأسه وهو لا يفهم ماذا يقصد جلال من التعمية ولكن قال وهو يشير اليه في انحناء خفيف

— أجل حضر محفوفاً بالتهنئ والاقبال

— اذاً اين هو ، اني لا أراه ؟

امتلأت عينا امين باشا دهشة ورأى ان هناك شيئاً غير التعمية وساءل نفسه «هل جُنَّ جلال بك ؟» ثم سأله في لهفة «عمن تتكلم ؟»

— عن العريس عصام ، عصام الذي ستزف اليه ابنتك بعد ان ارتبط قلباهما برباط الحب

— عصام !! عصام !! ولكننا .....

— نعم عصام ، هل ترفض عصاماً زوجاً لابنتك ؟ ..... اني قوي ولكن قوتي قد خانتني لما حاولت ان اسلب ابني وزوجتي سعادتهما ..... قد عدلت عن كل افكاري ..... هل ترفض عصاماً ؟

— انا ..... انا لا ارفض ولا هدى ايضاً ترفض

— اذن فليتمتع الشباب بالشباب

— ارتمى امين باشا على مقعده وهو يرتجف غبطة ثم وقف وقال « فليتمتع الناس بحرية الانتخاب » وفي تلك اللحظة دخل عصام وحيا وظل واقفاً فقال ابوه اجلس . لا ، هنا قريباً مني . مالك نافر الست راضياً عن عروسك

رفع عصام عينيه الى عيني ابيه وفيهما من الالم والغضب اكثر مما فيهما من الدهشة والذهول ثم ارخاهما في يأس حزين وهو يكرر

« ما دام الانتحار سيخلصني من كل آلامي فلأشرب الكأس حتى الثمالة ولاحتمل حتى السخرية المرة »

جلال بك ، مالك متبلد هكذا ؟ ألم تصرح لي البارحة انك تحب هدى وانت هدى تحبك وها قد قبل سعادة الباشا ان يزفها اليك فما لك تتلقى الخبر بهذا البرود ؟ ثم استطرد مداعباً : وأين حماس الامس ؟!!

رفع عصام عينيه الى امين باشا فرآه يبتسم وفي تلك اللحظة سمع تأوهاً اعقبه سقوط جسم شخص كان ينصت من ثقب الباب وعلم عصام صوت المتأوهة وادرك الحقيقة كاملة فوثب الى الباب كالمجنون وتبعه الرجلان فاذا هدى مغمى عليها بين ذراعي عصام واذا عصام يوسعها قبلاً واذا الرجلان يبكيان بصوت عال .....

وهكذا انجت الشيخوخة وبرز الشباب فانحدرت الشهوة وانتصر الحب وسقط الاستعباد وقامت الحرية

وانتهت المعركة كالاعصار .. جبار قصير الاجل

وكانت الملائكة تصفق في السماء وكان الحق يبتسم على العرش

ملوي سليم شحاته

النثر العربي في نصف قرن

الرأي الشائع بين المحافظين من اهل الادب العربي واصحاب العلم به ان النثر ايسر من الشعر وان اصطناعهُ شيء سهل لا يكلف صاحبهُ عناء ولا مشقة ، وهم من هذه الناحية يقدمون الشعر على النثر ولهم في ذلك مباحث طوال وكلام كثير تستطيع ان تلمح به اذا نظرت في كتاب العمدة لابن رشيق وما يشبههُ من الكتب . وما اظن ان رأي الادباء تغيَّر في هذا الموضوع فهم ما يزالون يعتقدون ان الشعر اعسر من النثر وابعد منهُ متناولاً ، ثم ما يزالون يعتقدون ان النثر اقدم من الشعر وجوداً ، وهم معذورون فظواهر الاشياء كلها توهم ذلك وتحمل على الجزم به . فالنثر مطلق لا قيد فيهِ والشعر مقيد بالوزن والقافية والنثر مشبه في اطلاقهِ لكلام الناس في حياتهم اليومية وحوارهم المألوف. واذن فالناس يتكلمون نثراً وهم يتكلمون قبل ان يشعروا وهم لا يجدون مشقة في الكلام وهم يجدون في نظم الشعر مشقة وعناء واذن فالنثر اقدم من الشعر وايسر وادنى منالاً . ومن هنا يقسم مؤرخو الآداب العربية كلام العرب الى منظوم ومنثور ومسجوع ، وهم يرون ان النثر كان في العصور القديمة أكثر من الشعر ولكن ما حفظ من قديم الشعر اكثر جداً مما حفظ من قديم النثر ، وتعليل هذه الظاهرة لاعسر فيهِ فالشعر اشد عسراً من النثر في الانشاء ولكن الشعر ادنى الى الحافظة واسلس لها قياداً من النثر ، اليست القيود التي تأتيهِ من العروض والقافية تقربهُ من الحافظة وتجعل في استظهاره لذة وراحة لا نجدهما في استظهار النثر ؟ فاذا كان ما تروبهِ من نثر العرب قبل الاسلام قليلاً فليس ذلك لانهم لم ينثروا بل هو لانهم لم يكونوا يكتبون ولان حافظتهم لم تكن تطاوعهم الى حفظ النثر واستظهاره فضاع نثر العرب الجاهليين الا اقله و بقي شعر العرب الجاهليين الا اقله

كذلك كان يقول القدماء وكذلك ما يزال يقول المحدثون . ولكن شيئاً من التفكير والنظر في آداب الامم المختلفة يضطرنا الى ان نعدل عن هذا الرأي القديم ، فمن العجيب ان تتفق الامم كلها على ان تحفظ من شعرها القديم اكثر مما تحفظ من نثرها في عصورها الاولى ، ومن العجيب ايضاً ان تتفق الامم كلها في ضعف الذاكرة عن النثر وقوتها على الشعر . ومن العجيب بعد هذا وذاك الاَّ تضعف ذاكرة هذه الامم الاَّ عن النثر القديم ، فاما النثر الذي يظهر بعد ان تبلغ الامة من الرقي العقلي والمدني طوراً ما فان ذاكرتها

تقوى عليهِ وتنهض باستظهارهِ كما تقوى على الشعر وتستظهرهُ . الحق ان الامم اذا لم ترو شيئاً من نثرها القديم فليس لذلك سبب الاَّ انها لم يكن لها نثر في اطوار حياتها الادبية الاولى واذا روت كثيراً من شعرها القديم فلانها كان لها شعر في اطوار حياتها الاولى هذه اي ان الشعر اسبق الى الوجود من النثر وانهُ ايسر منهُ وادنى منالاً . وانت اذا نظرت في تاريخ الامم القديمة والحديثة واذا نظرت في حياة الامم التي لم تكد تنحضر بعد فستزى انها كلها تسبق الى الشعر ولا تهتدي الى النثر ولا تظفر بهِ الاَّ بعد زمن طويل وجد غير قليل ورقي في الحضارة وتقدم في الحياة العقلية لا بأس بهما ، تجد ذلك عند اليونان وتجدهُ عند الرومان وتجدهُ عند العرب وتجدهُ عند الامم الاوربية الحديثة

وحيثما وجهت في القبائل التي لم تستقر بعد فستزى كلاماً منظوماً لهُ اوزانهُ وقوافيهِ دون ان تجد لها هذا النثر الذي يظن رجال الادب انهُ اقرب من الشعر منالاً . ذلك ان النثر ليس اقرب من الشعر منالاً في حقيقة الامر ولعل حظهُ من العسر ليس اقل من حظ الشعر ان لم يكن اكثر منهُ . فالنثر لغة العقل والشعر لغة الخيال ، والخيال اسبق الى النمو في حياة الافراد والجماعات من العقل ، خيال الصبي والشاب اقوى من عقلهِ وخيال الجماعات غير المتحضرة اقوى من عقلها فليس عجيباً ان يتكلم الخيال قبل ان يتكلم العقل وليس عجيباً ان يوجد الشعر قبل ان يوجد النثر وليس عجيباً ان يكون الشعر ايسر تعاطياً وادنى تناولاً من النثر . فالخيال ، إنْ يتقيَّد بالوزن والقافية حين يتكلم فهو لا يتقيد بشيء آخر . هو حر طلق يمضي حيث يشاء ويصور الاشياء كما يشاء لا كما تشاء الاشياء او لا كما تشاء الطبيعة ، اما العقل فقد يطلق نفسهُ من قيود الوزن والقافية ولكن ما اثقل القيود والاغلال التي تأخذهُ وتعوقهُ عن الحركة ولا تأذن لهُ بالتقدم الاَّ في بطء واناة ، هو لا يطير ولا يحسن ان يطير وهو لا يعدو ولا يستطيع ان يعدو فاذا حاول الطيران او العدو فليس هو العقل الخالص وانما هو العقل قد غلب عليهِ الخيال ، هو لا يطير ولا يعدو ولكنهُ يسعى في هدوء ، وهو لا يصور الاشياء كما يشاء ولكنهُ يقبل صورها كما هي ، هو مقيد والخيال مطلق وهو بطيء والخيال سريع ، فليس عجيباً ان يتأخر نموّه عن نموّ الخيال وليس عجيباً ان يكون انتاجهُ اعسر واقل من انتاج الخيال وليس عجيباً آخر الامر ان يكون النثر الذي هو لغة العقل احدث وجوداً من الشعر الذي هو لغة الخيال

ولكن مالي ولهذا كلهِ واين انا من الموضوع الذي اريد ان اكتب فيهِ وهو النثر العربي في هذا العصر الذي نحن فيهِ ؟ وما هذه المقدمات الطويلة ؟

ليس القارىء يحس اني اطيل عليه واثقل في غير نفع ولا جدوى ؟ بلى ، ولو كنت من اصحاب الخيال لما اطلت ولا اثقلت ولا احتجت الى مقدمات فالخيال كما قلنا خفيف حر يأتي حيث شاء وكيف شاء ولكني اريد ان اكتب نثراً اي اريد ان احمل عقلي على أن يتحدث الى عقل القارىء وقد قلنا ان العقل رزين بطيء لا يطير ولا يعدو ولكنهُ يسعى في اناة فليسع القارىء معي في اناة ايضاً ولينتقل معي من كل هذه المقدمات الى حيث اريد ان انتقل به ليلاحظ ان هناك صلة قوية جداً بين الحياة العقلية وحظ النثر من القوة والضعف ، من الرقي والانحطاط ، من البرد والحر والفتور . متى بلغ النثر اليوناني اقصى ما استطاع ان يبلغ من الرقي ؟ في عصر سقراط وافلاطون . ومتى بلغ النثر العربي اقصى ما كان يستطيع ان يبلغ من الرقي ؟ في عصر ابن المقفع والجاحظ واشباههما اي ان رقي النثر كان عند اليونان والعرب رهيناً برقي الحياة العقلية وانبساط سلطان الفلسفة على العقول وهو كذلك عند الرومان وهو كذلك في امم اوروبا الحديثة وهو كذلك في مصر

ان الذين يريدون ان يؤرخوا الآداب العربية في هذا العصر الحديث خليقون الا يقطعوا الصلة بين الادب والعلم والا يظنوا ان الحياة الادبية تستطيع ان تستقل استقلالاً تاماً عن الحياة العقلية بل هم خليقون ان يعتقدوا ان ليست هناك حياة ادبية وحياة عقلية وانما هناك حياة عقلية واحدة تظهر مرة في شكل ادبي هو النثر الفني وتظهر مرة اخرى في شكل علمي هو هذا النثر الذي نجدهُ في كتب العلم الخالص . اقول ان الذين يدرسون تاريخ الادب في هذا العصر الحديث خليقون ان يقدروا تأثير العلم والفلسفة في هذا الادب وفي النثر بنوع خاص ، فليس يمكن ان يكون من اثر المصادفة وحدها ان تطرد الصلة بين الرقي العلمي والفلسفي ورقي الآداب عامة والنثر منها بنوع خاص ، وفي الحق انك حين تقرأ هذا النثر الذي كان يكتب في الشرق العربي في اول القرن الماضي لن تشعر بالفساد الفني الادبي وحدهُ ولكنك ستشعر قبل هذا بخلو ما تقرأ من المعنى القيم وباعدام هذه العقول التي يترجم عنها هذا النثر وستشعر بعد هذا بما ينتج عن اعدام هذه العقول وفقرها من الفساد الفني الذي يتصف به النثر العربي في كل العصور التي ضعفت فيها الحياة العقلية الفلسفية

لا يخدعنك ما ترى من هذه الزينة اللفظية والبهرج البديعي والبياني من سجع وتكلف في الاستعارة والمجاز وفي التشبيه والكناية والتورية وما اليها فليس هذا كله الا تكلف المعدم الباس يريد ان يظهر مظهر الغني الثري ، انما مثل هؤلاء الكتاب

الذين يتكلفون الوان البديع والبيان في غير فائدة ولا جدوى مثل هذه المرأة اعوزها الجمال الفطري فهي تتكلف الزينة ، واعوزها حرّ الحلى فهي تخدع الناس ببهرجة زائفة. ومن هنا تستطيع ان تلاحظ ان النتيجة القيمة التي جاء بها القرن الماضي في النثر العربي انما هي اطلاق النثر من هذه القيود البديعية والبيانية وهو لم يطلقهُ من هذه القيود عبثاً وانما اطلقهُ منها لان منحهُ هذا الروح القوي الذي مكنهُ من ان يستقل بنفسهِ ويستهوي العقول والالباب قليلاً قليلاً وهذا الروح القيم الذي بث الحياة في النثر العربي والقى عنهُ هذه التآلف البالية التي كانت تثقلهُ وتعوقهُ عن الحركة انما هو المعنى وهذا المعنى انما جاء من الحياة العقلية التي انشطها العلم والفلسفة في القرن الماضي . وليس ادلّ على صدق ما نقول من انك تنظر فترى انطلاق النثر من هذه القيود و براءتهُ من هذه الاغلال لم يأتيا عفواً ولم يتما فجاءة وانما كانا رهينين بوجود الصلة ونموها بين الشرق والغرب اي بين العقل المعدم والعقل الغني . مؤلم جداً هذا الشعور الذي تجدهُ حين تقرأ الجبرتي واشالهُ من الذين كانوا يكتبون في اول هذا العصر الحديث ولكن توسط القرن الماضي واقرأ ما كان يكتب في مصر والشام فستجد شيئاً من اللذة يشوبهُ شيء من الالم كثير ذلك لانك تقرأ كلاماً يدل على شيء ويريد بنوع خاص ان يدل على شيء ولكنهُ لا يكاد يبلغ ما يريد لان حظهُ من المعنى قليل من جهة ولانهُ لم يستطع بعد ان يتخلص من تلك القيود والاغلال من جهة اخرى . ثم صل الى الثلث الاخير من القرن الماضي واقرأ ما كان يكتب في مصر والشام ايضاً فسيعظم حظك من اللذة وستشعر بشيء من الالم ولكنهُ ليس هذا الالم الذي تجدهُ حين تشهد البؤس والاعدام وانما هو نوع آخر من الالم تجدهُ حين تشهد التكلف والتصنع وحين تحس ان هذه المعاني لو اطلقت من قيودها وارسلت على سجيتها لاحدثت في نفسك من البهجة واللذة ما لا تستطيع ان تحدثهُ وهي مثقلة بما يحيط بها من لفائف البديع والبيان . كل هذا يدل على ان النثر العربي قد كان ثقيلاً بغيضاً اول القرن الماضي لانهُ كان قليل الحظ من الحياة العقلية لا اثر فيهِ لشخصية الكاتب ولا لتفكيره او قل لانهُ كان فقراً كلهُ ثم اثرى العقل الشرقي شيئاً فشيئاً فدبت الحياة في النثر بمقدار هذه الثروة العقلية واخذ هذا النثر كلما احس حياتهُ وقوتهُ يجتهد في ان يتخلص نفسهُ من قيود الفقر واغلال البؤس حتى انتهى الى حيث هو الآن من حرية وانطلاق . فالنثر اذن مدين في هذا العصر بحريتهِ وانطلاقهِ ورقيهِ الفني كما كان مديناً في غير هذا العصر بهذه الاشياء كلها للعلم

والفلسفة وما احدثا من تنشيط العقل وردهِ الى اليقظة بعد النوم والى الحركة بعد الجمود. ومن الحق على الكتاب المجيدين ان يعرفوا ما للعلماء والفلاسفة عليهم من فضل وان يقدروا ما للذين نقلوا اليهم العلم والفلسفة عندهم من يد ، فلولا المترجمون في العصر العباسي ما عرفت العربية نثر ابن المقفع والجاحظ، ولولا المترجمون في هذا العصر الحديث ما عادت للنثر العربي حياتهُ القوية النشيطة التي نريد ان نتحدث عنها بعض الحديث

اخشى ان اكون مسرفاً بعض الشيء . فان حياة النثر العربي في هذا العصر لم تأت كلها من قبل العلم الحديث والفلسفة الحديثة وانما جاءت من قبلها ومن قبل شيء آخر هو الادب العربي القديم في عصوره الراقية. فقد كان الكتاب واهل العلم في اوائل القرن الماضي يجهلون او يكادون يجهلون قديم العرب وما كان لهم من شعر جيد ونثر رائع، وكان الذين يلمون منهم بهذا الادب القديم لا يكادون يفيدون مما يلمون به على وجههِ وكانوا لا يجارون ان يتأثروهُ او يحتذوهُ. اما الآن فقد تغير هذا كلهُ وعرف الادب العربي القديم وعادت الحياة الى الشعر العربي والنثر العربي فنحن نقرأهما ونحفظهما وننقدهما ونتأثرهما ولهذا كلهِ حظ عظيم من التأثير في جودة ما نكتب من نثر وما ننظم من شعر . ولكن ما الذي ردَّ الحياة الى الادب العربي القديم وما الذي ذكَّر كتاب الشرق وشعراءهُ بهذا الادب وما الذي حملهم على قراءتهِ وروايتهِ ونقدهِ واحتذائهِ ؟ انما هو هذا الروح العلمي الذي جاءنا من الغرب ونقلهُ الينا المترجمون . هذا الروح العلمي هو الذي أنشط العقول وحملها على ان تفكر في القديم والحديث وعلى ان تغذو نفسها بهما معاً. واذن فانا لم اسرف ولم اتجاوز الحق حين رأيت اننا مدينون بحياة النثر لهؤلاء المترجمين الذين اوجدوا الصلة بين الشرق النائم والغرب اليقظ . ولقد احب ان اعرف حظ البلاد الشرقية في ايجاد هذه الصلة الخصبة القيمة بين الشرق والغرب فلا اجد في ذلك مشقة ولا عسراً . فالبلاد التي ردَّت الى الشرق حياتهُ العقلية والادبية في هذا العصر هي بعينها البلاد التي احيت الشرق في العصور الاولى حياة قوية مطردة لا عارضة ولا متكلفة. نعم لم يستمد الشرق العربي حياتهُ قديماً من شمال افريقية ولا من جزيرة العرب بل لم يستمدها من العراق وانما استمدَّ حياتهُ الصالحة الخصبة في نظام واطراد من مصر والشام . من هذين القطرين ازهرت الحضارة الشرقية الخاصة ، ومن هذين القطرين انبعثت الحضارة الى اطراف الشرق وفي هذين القطرين اثمرت الحضارات الاخرى التي نشأت من غيرهما وسيطرت على الشرق حيناً طويلاً او قصيراً كحضارة اليونان والرومان والعرب،

والى هذين القطرين لجأت الحضارات الشرقية وغير الشرقية حين ضاقت بها البلاد الاخرى فوجدت فيهما ملجأً امينًا ومأوى حصينًا . نعم وفي هذين القطرين نشأت النهضة الشرقية في هذا العصر الاخير . نشأت في مصر ونشأت في الشام اوائل القرن الماضي واستبق القطران فيها استباقًا عظيمًا حتى اصبح من العسير ان نحدد الحظ الذي ظفر به كل منهما في هذه النهضة . فبينما كان امراء مصر من الاسرة العلوية يجدّون في انهاض مصر وتقوية الصلة بينها وبين الغرب وارسال الوفود العلمية الى اوربا واستقدام العلماء الاوربيين الى مصر واقامة المعاهد العلمية المختلفة ونقل الكتب في الوان العلوم والفنون كان المسيحيون من اهل الشام يتصلون باوربا اتصالاً قويًا لاسباب مختلفة منها السياسة ومنها الدين ومنها العلم . وكانت تحدث في بلاد الشام حركة شبيهة جدًّا لهذه الحركة التي كان يستحدثها الامراء في مصر وكانت تنتج عن هاتين الحركتين في مصر والشام نتيجة واحدة هي نشاط العقل الشرقي واستئنافهُ الحركة والحياة . ولكن من الحق ان نلاحظ ان مظهر النهضة كان في مصر عمليًّا عمليًّا او اقرب الى العلم والعمل منهُ الى اي شيء آخر بينما كان مظهر الحركة في الشام اقرب الى الادب واللغة وادنى اليهما منهُ الى اي شيء آخر . فانت تستطيع ان تجد في مصر في اثناء القرن الماضي العلماء الذين تفوقوا في الطب والرياضة والطبيعة ولكنك لا تكاد تظفر فيها باديب يعدل هؤلاء الادباء الذين كثروا في الشام . وانت تستطيع ان تجد في الشام ادباء تفوقوا في الادب واللغة واستحدثوا فيهما الجديد النافع ولكنك لا تجد في الشام مثل من تجد في مصر من العلماء . ومهما يكن من شيء فقد ارادت ظروف الحياة التي احاطت بالقطرين ان يلجأ النشاط السوري في الادب واللغة الى مصر منذ اواخر القرن الماضي وان تكون القاهرة مستقر الحركة العقلية القوية في الشرق كله فانتقل ادباء السوريين وعلماؤهم الى مصر ووجد نشاطهم فيها ما لم يكن يجدهُ في الشام من القوة والتشجيع فآتى ثمرتهُ الباقية الخالدة واصبح النثر العربي الآن اصدق مزاج التأم فيهِ الروحان السوري والمصري التئامًا لا سبيل الى تفريقهِ . ولست اقول هذا الكلام عبثًا ولا اطلقهُ من غير دليل فليس من شك في ان الصحافة صاحبة الحظ الموفور في نشر الادب والعلم وانشاء النثر الحديث ، وانا حين اذكر الصحافة لا اريد بها اليومية دون الاسبوعية او دون الشهرية انما اريد الصحافة كلها والصحافة سورية مهما يكن من شيء . ولعلَّ احدًا لا يستطيع ان يناقش في ان الصحافة المصرية الخالصة حديثة العهد بالوجود وانها على ما بلغت من قوة الايد

وشدة الاثر في هذه الايام لم تستطع ان تسبق الصحافة السورية ولا ان تتفوق عليها . وحسبنا ان نلاحظ ان الصحافة المصرية ان كانت قد بلغت من القوة في هذه الايام حظاً موفوراً فهي بعد لم تستطع ان تتجاوز السياسة وهي ان اثرت في الادب فمن طريق السياسة ومن السعي الى السياسة فاما الصحافة الادبية والعلمية الخالصة التي نتناولها لنقرأ فيها فصلاً من فصول الادب او مبحثاً من مباحث العلم ليس غير فما زالت الى الآن سورية وهي ترحب بضيوفها من المصريين وغير المصريين وتجد في تقريبها ايام حياة وقوة ولكنها على كل حال سورية

والآن وقد المنا باصول هذه النهضة النثرية العربية فهل نستطيع ان نشخصها تشخيصاً صحيحاً وان نصل الى المميزات التي تفرق بين هذا النثر الذي نكتبهُ الآن والنثر الذي كان يكتب منذ خمسين سنة . اعتقد ان ذلك ليس عسيراً فقد كان النثر منذ خمسين سنة كما قلت لك آنفاً متوسطاً بين حالين فيهِ معنى قيم يحدث في نفسك ما تطمح اليهِ من لذة عقلية وفنية ولكنهُ لم يخلص من تلك الاغلال والقيود التي كان يرسف فيها النثر القديم فهو مقيَّد بالسجع متكلف للاستعارة والوان البديع والبيان ولكنهُ لم يكن يتكلف هذه الالوان بحكم الفقر والاعدام وانما كان يتكلفها بحكم العادة . ولم يكن بدٌّ في ذلك الوقت الذي احسَّ العقل الشرقي فيهِ حريتهُ وشخصيتهُ من ان تشبَّ الحرب ضروساً بين المذهبين المختصمين دائماً في النثر : مذهب اصحاب القديم ومذهب اصحاب الجديد . وقد شبت بالفعل هذه الحرب وكان السوريون هم الذين شبّوها لانهم كما رأيت اصحاب الصحافة ولانهم كما رأيت اقرب الى النشاط في الادب منهم الى النشاط في غيره ، وانت تعلم ان الصحفي مضطر بحكم صناعتهِ وما تستتبعهُ من العجلة والتحدث الى الجمهور الى ان يتحلل من هذه القيود البديعية ويتخلص من هذه الاغلال الفنية . وكذلك فعل الصحفيون من السوريين وكذلك فعل الصحفيون المصريون ايضاً واستطاع الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وعبد الكريم سلمان ان يكتبوا فصولاً لا تخلو من آثار القديم فيها السجع وفيها تكلف البديع والبيان ولكنها بعيدة كل البعد عما كان يكتب في اوائل القرن الماضي وفي منتصفهِ ايضاً ، فيها حرية لفظية ومعنوية ظاهرة وفيها اجتهاد في اختيار الحرّ من اللفظ واجتناب المبتذل وفيها طموح الى الجديد لم يكن يألفهُ الكتاب المصريون من قبل . وكثر انتشار المباحث العلمية الحديثة في مصر والشام بفضل المجلات والصحف والكتب واشتدت حركة احياء الادب العربي في القطرين وقرأ الناس العلم والادب الغربيين

فنشطت عقولهم وقرأوا الادب العربي القديم فاستقامت السنتهم واقلامهم ولم يكد ينتهي القرن الماضي حتى كان الشعر قد خلص من اغلال البديع خلوصاً تاماً وحتى كان الجهاد بين القديم والجديد في النثر قد تطور تطوراً غريباً فاصبح انصار القديم لا يستمسكون بركاكة الجبرتي ولا يحرصون على بديع ابن حجة وانما يستمسكون بقديم بغداد وغيرها من امصار البلاد العربية في العصر العباسي ، ويستمسكون بصحة اللفظ من الوجهة اللغوية وبراءته من العامية والابتذال. واصبح انصار الجديد لا ينفرون من البديع والبيان فقد استراحوا من البديع والبيان ، وانما ينفرون من الاغراق في هذا الادب العربي القديم ويطمحون الى تقليد الادب الغربي الحديث واصطناع الالفاظ الاوربية الاعجمية . واشتد هذا الجهاد بين انصار القديم والجديد في العقد الاول من هذا القرن وكان السوريون بنوع خاص من اشد الناس نصراً للجديد وكان شيوخ مصر هؤلاء الذين توسطوا بين الازهر والمدارس المدنية لانهم تخرجوا من دار العلوم من اشد انصار القديم وكان العلم يزداد انتشاراً والشباب يزداد اسعافاً في الاتصال باوروبا والتغذي بما فيها من علم وادب . ثم كانت حركة وطنية في مصر قوية عنيت بها الصحف واندفعت فيها اندفاعاً شديداً وكان الشبان قوة هذه الحركة ، ومن الذي يستطيع ان يأخذ الصحف المندفعة في حركتها السياسية بملاحظة القديم وانتقاء الالفاظ ؟ ومن الذي يستطيع ان يأخذ الشباب الثائر بان يتقيد بالقاموس او لسان العرب ؟ ولأمر ما تجاوزت هذه الحركة السياسية مصر وكانت الثورة في قسطنطينية واعلن الدستور العثماني وردت الحرية الى الاقطار العربية العثمانية فكان لهذا كله اثر قوي في الادب العربي وفي النثر منهُ بنوع خاص ، وكان هذا كلهُ صدمة عنيفة لانصار القديم من الكتاب والشعراء . ذلك لأن هذه الحركات السياسية نقلت الكتابة من بيئتها القديمة الى بيئات جديدة ما كانت لتكتب لولا هذه الحركات، فقد كانت الكتابة (كما كان العلم) حظاً مقصوراً على بيئة خاصة من الناس ثم اصبحت الكتابة كما اصبح العلم حظاً شائعاً في الناس جميعاً . ومن الذي يستطيع ان يأخذ الناس جميعاً بالتحرج فيما يكتبون والتقيد بمعاجم اللغة واساليب القدماء . وكانت الحرب العظمى فاشتد الاتصال والمخالطة بين الشرق والغرب وانتهيا الى حدٍّ لم يعرف من قبل ثم انتهت هذه الحرب ونتج عنها ما نتج من هذه الثورة السياسية العامة في الشرق العربي كله واثر هذا في حياة الناس على اختلاف فروعها فلم يكن بد من ان يؤثر في الادب ايضاً وفي النثر بنوع خاص. الحق ان الحرب وتائجها وقفت نمو الحركة الادبية في

الشرق العربي وان هذه الثورة السياسية شغلت الناس عن الحياة الادبية والعلمية حيناً وقصرت جهودهم على السياسة ولكن هذه السياسة نفسها قد تركت في النثر العربي اثاراً لن تمحى قبل عصر طويل ، جعلته حاداً عنيفاً واستحدثت فيه فنوناً مختلفة واساليب متباينة من الطعن والخصومة لم يعرفها النثر العربي من قبل . ثم لم تلبث السياسة نفسها ان استحدثت حياة ادبية جديدة في النثر ظهرت منذ حين وآتت ثمراً طيباً ولكنها لم تصل بعد الى غايتها. ومن الحق ان نقول ان مصر قد اختصت بهذه الحركة . ولكل شيء خيره وشره وقد كان للخصومة الحزبية في مصر شرورها وآثامها ولكن لها في الوقت نفسه حسناتها ومنافعها وانما نُعنى منها بالحسنات والمنافع الادبية. واول ما نلاحظ من هذه الحسنات ان الجهاد اشتد بين الاحزاب فاضطرها الى ان تتنافس في اكتساب الجمهور وكانت الصحف اجل الادوات لهذا التنافس خطراً وكان الادب من اهم الاسباب التي اتخذتها الصحف وسيلة الى التنافس . اخذت الصحف تنشر الفصول الادبية تقلد في ذلك صحف اوربا ولكنها تخدع الناس وتستدرجهم الى قراءة ما تكتب في السياسة ، وما هي الا ان اصبحت الكتابة في العلم والادب نظاماً تحرص عليه كل صحيفة تقدر لنفسها كرامة صحفية وتريد ان يحفل بها الجمهور . واصبح الجمهور نفسه لا يقدر الصحف الا اذا قدمت له مع الفصول السياسية فصولاً في العلم والفلسفة والادب والفن . والصحف تتجاوز مصر وتنبث في الاقطار العربية كلها فما اسرع ما تأثر هذه الاقطار بهذه الفصول الادبية . فالادب وحده هو الذي يجمع بين البلاد العربية المختلفة جمعاً حراً بريئاً منتجاً بعد ان فرقت بينها السياسة

ولست اذكر هذه الفنون النثرية الهزلية التي استحدثتها السياسة في الصحف الاسبوعية فلهذه الفنون قيمتها ولكنها ليست من النثر الذي نحن بازائه وهو النثر الادبي الفصيح

هذا النثر الادبي الفصيح ان امتاز الآن بشيء فهو يمتاز بأن الخصومة فيه بين انصار القديم والجديد قد انتهت او كادت تنتهي الى قدر لن يعدوه مختصمون . ذلك ان الكثرة المطلقة من الذين يقرأون الصحف والكتب حريصة كل الحرص على شيئين لا ترضى بدونهما : الاول ان يقدم اليها نثر فصيح مستقيم اللفظ نقي الاسلوب بريء من الابتذال حر من اغلال البديع والبيان . والثاني ان يكون هذا النثر على كل ما قدمنا ملائماً لذوقها الجديد وميولها الجديدة قيماً في معناه كما هو قيم في لفظه حر في معناه كما هو حر في لفظه ايضاً ، ومعنى هذا ان الكثرة المطلقة من الذين يقرأون العربية الآن تحرص في حياتها كلها على أمرين : تحرص على قديمها لانها لا تريد ان تمحو شخصيتها وتحرص على

الجديد لانها لا تريد ان تكون اقل من العرب علماً ولا أدباً ولا حضارة . وهذا النثر الذي قدمت وصفهُ هو وحدهُ الملائم لهذا الذوق الجديد وهذه الآمال الجديدة . ومع ذلك فللقديم أنصار وللجديد انصار ولكن اولئك وهؤلاء قلة ضئيلة في حقيقة الامر لا يكاد يعبأ بها احد ، اولئك لا يزالون يتمسكون بالصناعة اللفظية و يسرفون فيها اسرافاً شديداً فينصرف عنهم الناس لانهم لا يفهمونهم ولا يجدون عندهم ما يريدون، وهؤلاء يزدرون الالفاظ و يفنون شخصيتهم الشرقية العربية في كتّاب الغرب فينصرف عنهم الناس لانهم لا يجدون عندهم هذه الشخصية الشرقية العربية التي يكلفون بها و يناضلون في سبيل تحقيقها وأكراه اوربا على ان تعترف لها بالوجود

افلتك تعفيني من ان اتجاوز هذا القدر العام الى التحدث اليك عن شخصيات الكتاب الناثرين في مصر وغير مصر واثار هذه الشخصيات في اساليبهم النثرية فقد اطلت واسرفت في الاطالة ولو ذهبت احدثك عن شخصيات الكتاب واساليبهم لما فرغت الآن وما اشك في ان « المقتطف » حريص على ان أفرغ

طه حسين

كنوز البحار وغرائب اقتنائها

٢

مخاطر الغوص ومعدات الغوّاص

لولا الغوّاص لاستحالت اعمال الشل. لقد يضع المهندس ابرع الخطط الهندسية المبنية على احدث المبادئ العلمية ويهيئ لعماله آخر المبتكرات الفنية من آلات وروافع ولكن نجاح عمله مرتبط بمقدرة الغوّاص

كل رجل يستطيع الغوص الى عمق ٣٠ قدماً من غير مشقة كبيرة اذا تمرّن السباحة. وكثيرون يستطيعون الغوص الى عمق ٦٠ قدماً اذا كانوا في حالة صحية ولكن يندر بينهم من يستطيع الغوص الى عمق ١٥٠ قدماً او مائتي قدم لان ضغط الماء على الجسم حينما يكون الغواص على هذا العمق كبير يستدعي قوة غير عادية لتحمله

دع المخاطر التي يتعرض لها الغواص من حيوانات البحر كالاخطبوط وكلاب البحر وغيرها فان الغوص الى اعماق بعيدة القرار عمل شاق واذا لم يكن الغوّاص متين البنية متمرساً بعمله رزح تحت اعبائه. لذلك ينتخب الغوّاصون كما ينتخب ابطال الرياضة

البدنية في المدارس والكليات ويقرنون مثلهم ليحفظ كل منهم قلبهُ ورئتيهِ وجميع اعضائهِ في حالة صحية تامة وفي الغالب ترى الغوّاص نحيف الجسم ليس فيهِ اوقية من الدهن الزائد الذي لا فائدة منهُ وعضلاتهُ كأنها قدت من الحديد

والضغط الشديد الذي يتعرض لهُ الغوّاص على هذه الاغوار البعيدة يعادل ثلاثة اضعاف الضغط الذي تعرض لهُ عند سطح البحر او اكثر وكلما زاد العمق زاد الضغط حتى لتد يبلغ في كثير من الاحيان اربعة اضعاف الضغط على سطح البحر او خمسة اضعافهِ واعضاء الجسم لم تخلق لتتم وظائفها تحت هذه الضغط الشديد لذلك تعاني كثيراً من الجهد والتعب في عمل قد يكون من ابسط الاعمال كالمشي على دكة سفينة . وجسم الغواص في ذلك يشبه سيارة بثبت آلاتها لتجرّ ما ثقلهُ نصف طن مثلاً فحملّها صاحبها ثلاثة اطنان

ومن الاسباب التي تعرّض الغوّاص للخطر على هذه الاغوار البعيدة ان عمل قلبهِ يزداد اضعافاً مضاعفة لكي يدفع الدم المؤكسد الى مختلف الاعضاء ليبث فيها القوة والنشاط اللازمين حتى يتمكن الغوّاص من اتمام اعمالهِ . ولا يخفى ان الغوّاص يقاوم ضغط الماء على جميع جوانبهِ بما يستنشقهُ من الهواء المضغوط الذي يُرسل اليهِ من السفينة التي غاص منها. هذا الهواء المضغوط يوازن بين الضغط الذي في شرايينهِ واوردتهِ وضغط الماء خارج الجسد واستنشاقهُ يجهد قوى الرئتين ويعرض الغوّاص لمرض يعرف عند جمهور الغوّاصين والاطباء « بشلل الغوّاص» ذلك ان هذا الهواء المضغوط وفيهِ مقدار كبير من النتروجين قد تفلت منهُ بضع فقاقيع فتجري في مجرى الدم حتى اذا وصلت الى القلب قتلت صاحبهُ او سببت شللاً في الجانب السفلي من الجسم

ومن الغريب ان هذا الخطر لا يتعرض لهُ الغواص في نزولهِ الى الاغوار بل حين صعودهِ منها الى سطح البحر. فاذا اسرع في صعودهِ اخذ النتروجين الذي في دمهِ يخرج منهُ فقاقيع فقاقيع كما يخرج اكسيد الكربون الثاني من الماء الذي وضع فيهِ بالضغط . فاذا خرج النتروجين كذلك عرّض حياة الغوّاص للخطر . وسبب هذه الفقاقيع سرعة هبوط الضغط الشديد خارج الجسم فيحدث حينئذٍ ما يحدث حينما تفتح زجاجة من ماء الصودا بسرعة

ويجتنب هذا الخطر على اسلوب واحد وهو الصعود من الاعماق الى سطح البحر رويداً رويداً . فاذا هبط الغوّاص الى عمق ١٢٠ قدماً وبقي ساعة على هذا العمق وجب عليهِ ان يستغرق ٥٢ دقيقة على الاقل في صعودهِ الى سطح البحر وكلما صعد بضع عشرة قدماً وقف يحرك اعضاءهُ حتى يخرج منها النتروجين الزائد رويداً رويداً . فيسمح لهُ ان

يصعد الى عمق ٤٠ قدماً في ٨٠ ثانية اي يرتفع قدماً في الثانية ثم يبقى على هذا العمق خمس دقائق قبل ان يرتفع عشر اقدام اخرى . وحين يبلغ عمق ثلاثين قدماً عليه ان يبقى هناك نحو ١٥ دقيقة قبلما يرتفع الى عمق عشر اقدام حيث يلزم بقاؤه ٢٥ دقيقة قبل صعوده الى سطح البحر . واذا اتفق بقاء غوّاص ساعة على عمق ٢٠٠ قدم وجب عليه ان يقضي اربع ساعات كاملة في صعوده من ذلك العمق الى سطح البحر . ولا يسمح في الغالب لغوّاص ممتاز يستطيع الغوص الى ذلك العمق ان يبقى فيه اكثر من ٢٠ دقيقة فيستطيع حينئذٍ ان يصعد الى سطح البحر في ٣٢ دقيقة من غير ان يتعرض للخطر

هذا وقد اجرى الدكتور هلدين والدكتور بويكت تجارب كثيرة اجابة لطلب وزارة البحرية الانكليزية ووضعا جداول دقيقة للازمنة التي يستطيع الغواص ان يقضيها على اعماق مختلفة من غير ان يعرض حياته للخطر وما يوافق ذلك من الوقت للصعود الى سطح البحر . وقد جرى الغوّاصون على هذه الجداول في انحاء العالم فصار الغوص على كثرة مخاطره مقيداً بقيود اذا اتبعها الغوّاص اتقى كثيراً من هذه المخاطر التي تحيق بعمله . وقد صار الغوّاص قادراً على المشي في قاع البحر فلا يتعرض للاخطار التي يتعرض لها كل انسان اذا سار في ساحة من الساحات المزدحمة في المدن الكبرى باوربا واميركا

ولا يخفى ان حرارة ماء البحر تنخفض بازدياد العمق لذلك يلبس الغواص قمصاناً وجوارب من الصوف وقد يلبس ثلاثة قمصان احدها فوق الاخر ويلبس مثلها من الجوارب ليتقي بها البرد الذي يتعرض له . وبعد ما يرتدي ملابسهُ الصوفية يلبس الثوب الخاص بالغواصين وهو شبيه في بعض اجزائه بدروع الفرسان في القرون المتوسطة . ثم توضع الخوذة على رأسه وتربط ربطاً محكماً لانها واقيتهُ الوحيدة من الموت خنقاً فيها يتصل بالسفينة بانبوب يرسل فيه الهواء المضغوط فيستنشقهُ ليعادل ضغط المياه من الخارج وليحصل منهُ على الاكسجين اللازم للحياة . وهناك واسطة اخرى تصل الغواص بالسفينة التي غاص منها وهي ما يدعى حبل النجاة يفهم بهِ رفاقهُ ما يريد ان يفهمهم بتحريكهِ حركات خاصة

ومتى نزل الغوص الى الماء صارت حياتهُ في يد الرجل الممسك بحبل النجاة وانبوب الهواء وعليهِ ان يكون شديد الانتباه والحذر فلا يترك هذين الحبلين قبل صعود الغواص الى سطح الماء

وقد استنبط حديثاً تلفون يدعى تلفون الغواصات يستعملهُ الغواص ايضاً وقد قلل

كثيراً المخاطر التي يتعرض لها اذ به يتمكن من مخاطبة رفاقه في السفينة التي غاص منها فيطلعهم على احواله و يطلب منهم النجدة اذا اضطر اليها

اما الثوب الذي يلبسهُ الغواص فقد تقلبت عليهِ احوال كثيرة فكان في البدء صندوقاً من الخشب يربط بسير من المطاط حول وسط الغواص وفيهِ ثقبان يخرج منهما يديهِ ثم صار اسطوانة من المعدن . وفي سنة ١٨٣٧ استنبط المهندس سيب ثوب المطاط المستعمل الآن بعد ان جرب فيهِ تجارب مدة ١٨ سنة . وهذا الثوب لم يتغير في جوهره بل اضيفت اليهِ اضافات جمة جعلتهُ اشد اتقاناً واهدى الى الغاية المقصودة

وقد اهتم المهندسون منذ زمن بعيد بصنع ثوب للغواص يمكنهُ من الغوص الى اغوار بعيدة المدى من غير ان يتعرض لخطر ما . ولا يخفى ان اعظم الاخطار التي يتعرض لها الغواصون هي ضغط الماء الشديد كما تقدم وقد حاول المستنبطون ان يجعلوا الثوب من معدن لهُ مفاصل مرنة تزيل هذا الضغط ولكن ما صنعوهُ من هذا القبيل لم يأت بالفائدة المطلوبة لثقلهِ وصعوبة الحركة فيهِ

وقد استنبطت اثواب اخرى تمكن الغواصين من الغوص الى اعماق قريبة من غير ان يعتمدوا على انبوب الهواء المضغوط وذلك باستعمال بعض المواد الكيماوية التي تنقي الهواء بامتصاص اكسيد الكربون الثاني منهُ وتولد اكسجيناً جديداً يستنشقهُ الغواص

وقد رأيناني الصيف الماضي غواصي الباخرة اليابانية الذين نشلوا نحو مائة الف جنيه قرب منارة البرلس فاذا هم لا يستعملون ثوب المطاط العادي بل لبس الغواص منهم امامنا ثوباً ازرق ولا نعلم هل كان تحتهُ قمصان من الصوف او المطاط لحفظ حرارة الجسم . ثم لبس قفازين ابيضين وربط رأسهُ بقطعة من القماش ووضع عليهِ آلة صغيرة الحجم تغطي العينين والانف وتمتد منها الى الفم لسان مزدوج يضغط عليهِ الغواص فيفتح منفذاً يتصل منهُ الهواء المضغوط الى انفهِ فيتنفسهُ ويخرجهُ من فيهِ الذي لا يغطيهِ شيء وهذا الهواء المضغوط يزيد ضغط الجسم من الداخل فيتعادل مع ضغط الماء من الخارج وكلما زاد العمق الذي يغوص اليهِ الغواص زاد ضغط الماء من الخارج فيُزاد ضغط الهواء الذي يتنفسهُ حتى يعادل ضغط الماء

ولا يخفى ان هذا الاستنباط يختلف اختلافاً كلياً عن ثوب المطاط الشائع بين الغواصين المذكور سابقاً فهو ابسط منهُ تركيباً واسهل استعمالاً اذ تطلق فيهِ حرية الحركة للغواص فيسهل عليهِ الجولان في الباخرة الغارقة لبحث عما فيها من النفائس

طابع المدنية الحديثة

مدنية الفرد ومدنية الجماهير

يرى كل كتاب العصر الحديث الذين يجشمون مؤونة التفكير في تاريخ التقدم الانساني ان الشعب اليوناني القديم هو ارقى شعب اقلته الارض من حيث النضوج الفكري. فما من شيء أبتكر في العلوم ، وما من رأي ذاع في موضوع من موضوعات الفلسفة او نظرياتها او مذاهبها الكثيرة الاّ وتجد لهُ بداية في تاريخ الفكر اليوناني. حتى ذلك الشيء الذي يعدُّ من أكبر مفاخر القرن التاسع عشر ، ذلك الاسلوب اليقيني العلمي الذي ندّعي بان اوغست كونت اول من وضعهُ ، والحقيقة انهُ اول من شرحهُ ، تجدهُ جليًّا ظاهراً في مباحث ارسطوطاليس العلمية وفي مقدمات ثوسيديديس التاريخية . واي كبير فرق بين ما تجد في مقدمات ثوسيديديس و بين ما يدعو اليهِ اليوم اعلام السوربون في فرنسا من توخي الطريقة العلمية في بحث معضلات التاريخ ؟ بل اية ميزة يمتاز بها مباحثو العصر الحديث على ارسطوطاليس في طريقتهِ التي توخاها في شرح المنطق او التاريخ الطبيعي او الاخلاق ، وهي لا تؤمن الاّ بما يأتيها من طريق الحواس المستندة الى المشاهدة وصدق الاختبار ؟ لهذا يمضي كل الكتاب بلا شذوذ معتقدين ان الشعب اليوناني القديم هو ارقى شعوب الارض من الاسلاف الى خلائف القرن التاسع عشر

على هذا نستند اذا نحن مضينا في هذا البحث لنقرر بان الانسان لم يرتق منذ العصر اليوناني الاول حتى اليوم في الكفاءات العقلية . فالانسان في مدى خمسة وعشرين قرنًا من الزمان لا يزال يتطلع الى ارسطوطاليس وافلاطون وسقراط كاكبر العقول التي انبتتها الانسانية في كل عصور تاريخها . وفي ذلك بلاغ بيّن نستند اليهِ في ما نريد ان نذهب اليهِ في بحثنا هذا

على هذا الرأي ذاتهِ يمكنك ان تقف اذا انت اردت ان تنظر في رقي الانسان الاخلاقي . فان الامثال التي ضربها لنا بضعة افراد يجبهم الشعب اليوناني القديم لا تزال الامثال المحتذاة حتى اليوم في آداب السلوك . والسبب في هذا اننا لسنا باقل منهم معرفة بما يجب علينا من الآداب والاخلاق ، بل لاننا نعرف ولكنهم كانوا يعتقدون . كانوا ذوي يقين ثابت في ان الواجب يحتم عليهم اتباع سبيل الفضيلة عملاً لا قولاً . فهم الذين

نقدوا تعريف الاستاذ هكسلي في الدين قبل ان يأتي هكسلي الى عالم الوجود بخمسة وعشرين قرناً من الزمان ، هم الذين عرفوا ان « الدين هو اجلال المثل الاعلى من الاخلاق ومحبة العمل على تحقيقه في الحياة » كما يقول هكسلي استاذ القرن التاسع عشر . وهم الذين قال لهم شيخ فلاسفتهم الاخلاقيين ارسطوطاليس : « في الشؤون العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظرياً بالقواعد ، بل هو تطبيقها . فنيا يتعلق بالفضيلة لا يكفي ان يُعلم ما هي ، بل يلزم زيادةً على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها . ولو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على ان تجعلنا اخياراً لاستحقت ، كما كان يقول تيوغنيس ، ان يطلبها كل الناس وان تشترى باغلى الاثمان . ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيعهُ المبادئ في هذا الصدد هو ان تشدَّ عزم بعض فتيان كرام على الثبات في الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة وفيّاً بعهدها » (١)

ومنذ ان افلت شمس إغريقية في آسيا وشرق اوربا حتى اليوم لا تجد من مثال تحتذيهِ الاَّ مثال ذلك الشعب المجيد الذي اورث الانسانية تراثاً من العلم والادب والفنون لا يفخر بهِ شعب دون شعب ولا قبيل دون قبيل ، بل هو مما يفخر بهِ الانسان على انهُ انسان ضرب للكون الخالد مثلاً ان في مستطاعهِ ان يبلغ من رقي النفس ومن انكار الذات حدَّ الآداب السقراطية الوضاحة في عصور المدنية اليونانية

فاذا تركت البحث في الاسباب الخفية الكامنة التي بزَّ بها الشعب اليوناني القديم شعوب الارض قاطبة لما استطعت ان تقع على شيء ينقع غلتك الاَّ ان تلجأ الى ما يقول بهِ علماء الوراثة من النشوئيين في هذا الزمان من ان السبب في هذا يرجع الى صفات تووارثت في هذا الشعب ثم نضب معينها شيئاً فشيئاً حتى تلاشت كوحدة خصَّ بها الشعب اليوناني وتوزعت على بقية الشعوب التي تخالط دمها بدم اليونانيين القدماء او كوراثة تظهر يوادرها من حين الى حين في بضعة أفراد ما يزالون حتى اليوم اينما ظهروا وحيثما كانوا موضع اجلال الانسانية وهداها في ظلمات هذا الوجود . ولكنك اذا لجأت الى البحث في الاسباب الظاهرة التي ميزت الشعب اليوناني القديم عن كل الشعوب بلا استثناء ، وعرجت في بحثك على علم الاجتماع الحديث امكنك ان تقع على سبب واضح جلي يوقفك على سر ما تريد ان تعرف من اسباب أزاء هذه المسألة التي تظلُّ في نظرك لغزاً وعراً ومعضلة

(١) عند مقدمة بارتلمي سانت هيلير في مقدمته لعلم الاخلاق الى نيقوماخوس من الطبعة العربية

معقدة ما دمت بعيداً عن النظر في اسبابها من ناحية اجتماعية صرفة . على اننا لا نريد ان نلفّ بالقارئ حول الموضوع فسار بين لهُ الامثال مبينين لهُ الاسباب لنخلص بهِ الى النتيجة بل نذهب في بحثنا الى ضد هذه الطريقة لنقول لهُ ان الفرق ينحصر في ان الفردية الاستقلالية كانت في العصر اليوناني اقوى منها في كل عصور المدنية كما ان الاشتراكية الاجتماعية هي طابع هذا العصر الحديث ، وهي فوق ذلك نتيجة محتومة للطريق التي تمشت فيها الجماعات في الاعصر الحديثة

ان من اكبر الفضائل التي يحسد عليها القدماء وعلى الاخص الشعب اليوناني القديم هو بروز الذاتية الفردية واستقلالها فكراً وعملاً وبعدها عن التأثر بحياة الجماهير . لهذا نجد ان الفيلسوف منهم ظهر كفيلسوف علم على طريقة من الفلسفة ومضى ثابت اليقين فيما يوحي اليهِ بهِ عقلهُ وتملي عليهِ تصوراتهُ ولو ذاق الموت في سبيل مبدئهِ . الم يمت سقراط لانهُ مضى طوال حياتهِ يحاول ان يفهم الناس انهم جهلاء وان الدعوى والغرور اكبر مفاسد النفس واكبر برهان على الجهل المطبق ؟ الم تر كيف جلس ديوجينيس على باب الاكاذيمية لافلاطون مخفياً ديكاً عرّاهُ من ريشه حتى اذا عرّف افلاطون الانسان بأنهُ حيوان نبيل رمى بالديك الى وسط القاعة قائلاً «هذا انسان افلاطون» وافلاطون حينئذٍ ذلك الرجل العظيم الذي كان يبلغ حب تلاميذه لهُ مبلغ حب العباد الصالحين لمعبوداتهم غير المرئية ؟ وهل اتاك حديث ارسطوطاليس اذ ناقش استاذهُ افلاطون فاهانهُ بعض الطلبة فتركهم حتى اذا انتهز فرصة غيابهم كتب لهم على السبورة هذه الجملة « نحن نحب افلاطون ونحب الحق فاذا اختلفا فايهما اولى بالمحبة » . وهل عرفت حديث ديوجينيس اذ وقف ازاءهُ الاسكندر المقدوني وهو جالس بجوار بوميلر الذي كان يعيش فيهِ وسألهُ هل ترهبني ؟ فاجابهُ هل انت صالح ام شرير ؟ فاجابهُ بل صالح : قال وكيف اخافك وانت رجل صالح ؟ وسألهُ هل تريد مني شيئاً : فقال لا . بل تحول قليلاً لانك حلت بيني وبين الشمس . فهمّ بعض اتباع الاسكندر باذائهِ فانتهرهم الاسكندر قائلاً لو لم اكن الاسكندر لتمنيت ان اكون ديوجينيس

تظهرك هذه الامثال البسيطة على تكوين شخصياتهم الفردية وعلى ثبات عقائدهم التي ترضي عقولهم غير ناظرين الى ما يعتقدهُ غيرهم . وانت تعلم ان الكلبيين كانوا يعتقدون في انهم اكثر اهل الارض ثروة واعظمهم في الحطام جاهاً وهم بعد تلك الفئة التي

كانت تعيش عيش الفقر المدقع لتولاك شيء من العجب ولأخذتك نوبة من التفكير العميق. ولكنك لا تلبث ان تعرف تعريفهم الذي وضعوه للثروة حتى تقنع بانهم اسمى اهل الارض نفساً واعلاهم في المكارم كعباً وأشدهم كفاً واندى العالمين بطون راح كما يقول شاعرنا العربي، وان كانوا اشد الناس فقراً واشدهم عدماً وامعنهم في الخصاصة. يقولون بان ثروة الانسان تنحصر في عدد الاشياء التي يستطيع الانسان ان يعيش بغير احتياج اليها. وهو تعريف فيه كثير من الحق الثابت. وهذه الفكرة على غرابتها وعلى بعدها عن المألوف في كل المدنيات لم تعش ولم يعتنقها افراد يتبعون احكامها نعلاً لا نظراً الا في بلاد اليونان القديمة. والسبب في هذا ان الشخصية الفردية لم تبلغ تمام تكوينها الا في ذلك العصر الذهبي بحق كما يقولون

لنقل لك بعض الاسباب الخفية التي كونت شخصيتهم الفردية في معتقد ثابت كانوا يمضون عليه ماكثين. كانوا يعتقدون بانهم ابناء آلهة تولاهم نزر من الفساد وانتابهم نصيب من الانحطاط. اما نحن في القرن العشرين فنعتقد باننا ابناء قردة آخذين في اسباب الشوه والارتقاء. وبمقدار ما تجد من الفرق بين المعتقدين، تجد التباين بين نزعاتنا ونزعاتهم وبين نظاماتنا التي نبنيت فيها الشخصيات الفردية في جوف الجماهير، وبين نظاماتهم التي نبنت فيها الجماهير في قوة الاستقلال الفردي. وعلى هذا نستطيع وبكثير من الحق ان نقول بأنهُ مدنيَّة اليونان القدماء هي مدنية الافراد، كما نستطيع وبكثير من الحق ان نقول ان مدنيتنا الحديثة هي مدنية الجماهير

قلّب نظرك في مختلف جهات المدنية الحديثة، واجل فكرك في نواحيها المشبعة ونظاماتها الكثيرة، فهي ايها تقع على اثر الفرد المستقل بذاته وعقله بعيداً عن تأثير الجماهير؟ بل امضِ في بحث مستفيض لتقضيه في التأمل في تاريخ النظامات الاجتماعية اهلية وقضائية وحربية وغير ذلك، وقل بعدان تنظر فيها نظرة تأمل عميق اي منها لم تنقلب آيتهُ من العمل على حماية الفرد الى آلة تستعمل لقضاء مآرب الجماهير واشباع شهواتها الكثيرة

غريزة القتال من الغرائز الثابتة في الخلق الانساني، وهي كغيرها من الغرائز لها بداياتها في عالم الحيوان فهي من الصفات الموروثة فينا عن آبائنا الاولين - غير ان هذه الغريزة تكيفت في عدة وجوه انتقالية حتى اذا تكونت الامم في الاعصر القديمة على ان تكون امماً تسكن المدن وتجمع بين افرادها مصالح واحدة ونزعات ومشاعر واحدة، نشأت

مع ذلك فكرة تكوين جزء من سكان المدينة ليردوا عنها غارات اعدائها ويقومون حراساً على نظامها وعلى كيانها خوف ان تنتابهُ يد التخريب بطامع الفاتحين الذين لم يكونوا ليفتحوا او يدوخوا بلاد غيرهم من الناس الاَّ ارضاء لنزوات غريزة القتال الموروثة فيهم كما حركتها عواملها الخفية . ولما ان ضرب الانسان بقدمهِ الثابتة في مدارج المدنية ، واتحدت القصائل الصغيرة فكونت جماعات كبرى ، حمس وحي الغريزة في ضمير كل فرد من افراد تلك الجماعات بانهُ ملزم بان يمدَّ يد الحب والعطف ، وبكل ما اوتي من غرائز والاجتماعية ، الى كل اعضاء الامة التي هو تابع لها ، ولو لم يكن على صلة بهم — كما يقول العلامة دارون ، ولما تكونت مصالح البشر على انهُ يعيشوا جماعات داخل مدائن العصور الاولى ، حمس وحي الغريزة فيهم ان يقاوموا غريزة القتال والفتح بغريزة الاحتفاظ بالنفس فتكونت الجيوش على ان تكون اداة لحماية الافراد ، ولم تقم من حرب هجومية الاَّ وكان اساسها تخيل الخطر واقعاً من ناحية ما ، كما حصل في كثير من عصور التاريخ . وعلى الضد من هذا تجد ان اكثر ما تكون الجيوش في العصور الحديثة واكثر ما تلمع حرابها في الافق او تبرق سيوفها في ظلام المدنية انما هو خدمة للجماهير ومصالحها الموهومة ، وللاعتداء على حرية الشعوب الاخرى اعتداء لا سبب لهُ الاَّ فتح اسواق جديدة لمتاجر ومصنوعات تزيد عن حاجة الجماهير التي تنتجها . واشد ما تكون اقتناعاً بهذا الرأي اذا انت علمت ان المنتج في العصر الحديث انما هي الجماهير التي تعيش متطفلة على رؤوس الاموال لا الافراد الذين استغلوا بعملهم استغلالاً يعود بو كل الربح الذي ينتج من عمل يدعم عليهم دون غيرهم

وضعت القوانين والنظامات القضائية في الازمان الماضية لحماية الفرد المستقل بذاتهِ عن التأثر بحياة الجماهير . اما قضاء عصرنا الحاضر ونظاماتهُ الكثيرة فلم توضع الاَّ لحماية شركات الاحتكار واصحاب رؤوس الاموال حماية لا خسران فيها الاَّ على الفرد وعلى استقلالهِ الذاتي . وما نظام النقابات الحديث الذي اوسعت لهُ القوانين صدرها في العصر الاخير الاَّ محنة جديد من محن المدنية ، وما تبدل القانون منها بشيء الاَّ الانتقال من حماية جماهير الشركات الى حماية جماهير العمال . فالنتيجة حماية الجماهير والقضاء على استقلال الفرد

ثم ارجع معي الى النظامات السياسية وقارن بين نظامات العصر القديم والعصر الحديث . قارن بين مشرّع وسياسيّ كسولون ، وهو رجل جمع بين العلم والحكمة وبين

العمل على رآسة الشعوب بما تمليهِ عليهِ حكمتهُ وما يوحي اليهِ بهِ عقلهُ، و بين سياسي انتهازي من سياسيي العصر الحديث لا يهمهُ شيء في الوجود الاَّ ان يعلو منصة الحكم و يظل ما استطاع عاملاً على ان يحافظ عليها بكل طريق ممكن . ان سياسيَّ العصر الحديث لا يحتاج الى علم ولا الى حكمة اكثر من ان يقف موقف الجاهل القانع بان تسيّرهُ العناصر غير عالم الى اين تجتاحهُ ولا في اية مهواة سوف تلقي بهِ. هولا يريد أن يعلم من شيء ولا يهمهُ ان يعرف في العالم شيئاً الاَّ ان يدرس الحالات القائمة من حولهِ ليعرف من اين سوف تهب رياح الجماهير في الغد ليتقيها بما يستطيع ان يتقيها بهِ من كذب الى خداع الى مواربة الى قوة ان هيأت لهُ الظروف ان يقمع شهوة الجماهير بقوة سلاحهِ

لا يعلم سياسي العصر الحديث ان مهمتهُ الاولى ارشادية تعليمية ، ولا يعلم انهُ مسؤول عن مصالح الجماهير : ولا يفقه ان الجماهير لا تعقل بل تشعر ، ولا يعرف ان استقلال رأيهِ والتضحية بمصالحهِ اول ما يطلب منهُ كمرشد ومعلم معاً . لا يعرف شيئاً من هذا . هو بعيد عن حكمة الفلسفة ، بعيد عن ارشاد العلم ، فهو الجاهل بحق طبيعة ما عليهِ من المسؤولية

وهكذا الحال اذا ثبتت بقية نظامات الاجتماع على صورتها المدنية الحديثة ، مدنية الجماهير ، فانت تجد ان الفرد قد دالت دولتهُ لتقوم عليها دولة الجماعات المنظمة الخاضعة في نظامها لمجموعة من المبادئ الاستبدادية لا اثر لها في شيء الاَّ في القضاء على حرية الفرد، ذلك الميراث الذي ورثناهُ عن المدنيات القديمة ولم نحسن القوامة عليهِ

على أنك مهما فكرت ومهما اجهدت نفسك في البحث لا تستطيع ان تنظر في مستقبل الانسان نظرة يرضى عنها معتقدك العلمي ويطمئن اليها ضميرك كفرد لتقدس حرية نفسك وحرية غيرك ، الاَّ اذا تبدلت جماعات المدنية الحديثة في نظامها الحاضر السائدة فيهِ روح الجماهير بنظام يكفل حرية الفرد وينمي كفاياتهِ ومواهبهُ . على انني اكاد أتطير الى حد القول بأن الزمان الذي كان في مستطاعنا ان نرجع فيهِ عن استعباد الفرد لسلطة الجماهير قد انقضى امره . وكما بدأ انحطاط زرادشترا عندنشه بهبوطهِ من الجبل الموحش الى عالم المدنية الانسانية ، كذلك اعتقد ان انقلاب الحال من استقلال الفرد في المدنية القديمة الى استبداد الجماهير في النظام أول مدرج سوف تنزلق من فوقهِ قدم المدنية الى مهاوي الفساد والسقوط

اسماعيل مظهر

انتشار التعليم في فنلندا

لفنلندا موكز غريب بين دول اوربا فاذا نظرنا اليها جغرافيًّا وجدناها جزءًا من روسيا وقد كانت كذلك ما يزيد على قرن الى ان جاءت الحرب الكبرى فانفصلت عنها وانشأت حكومة مستقلة . واذا نظرنا اليها نظراً تاريخيًّا وجدناها جزءًا من بلاد اسوج لان اهل اسوج استعمروا فنلندا اولاً وعلموا اهلها وبقيت اللغة الاسوجية لغة الادب والتعليم في تلك البلاد حتى سنة ١٨٠٨ واذا نظرنا الى التعليم فيها وجدناهُ راقيًا جدًّا وساعد العلم منها ما هو اسوجي ومنها ما هو فنلندي

ففي فنلند ثلاث جامعات اكبرها في مدينة هلسنغفور العاصمة اسست في مدينة ابو سنة ١٦٤٠ ثم نقلت الى هلسنغفور سنة ١٨٢٧ وقد كان عدد اساتذها سنة ١٩٢٤ نحو ٢٧٢ استاذاً وطلبتها ٢٩٤٦ طالبًا منهم ٨٣٨ امرأة . وهي من مدارس الحكومة تنفق عليها من خزينتها . وهناك جامعتان في مدينة ابو احداهما اسوجية والاخرى فنلندية الاولى انشئت سنة ١٩١٩ والثانية سنة ١٩٢٢ وهما جامعتان خاصتان انما تعترف الحكومة بما تمنحانهِ من الالقاب لخريجيهما . والجامعة الفنلندية فيها ٢٠ استاذاً و١١٨ تلميذاً منهم ٤١ امرأة واما الجامعة الاسوجية ففيها ٣٥ استاذاً و١٤٦ تلميذاً منهم ٢٨ امرأة

اضف الى هذه الجامعات مدرسة بوليتكنيك في هلسنغفور وفيها ٨٦ مدرساً و٧٠٥ طلاب منهم ١٦ امرأة و ١٠٧ مدارس ثانوية و٦ مدارس بحرية و ١٠٨ مدارس للفنون والصنائع و٣٩ مدرسة زراعية و٣٦ مدرسة تعلم العناية بالمواشي و٧ مدارس تعلم العناية بالحراج والغابات و٦ مدارس لزراعة البساتين و٣٧ مدرسة تجارية و٨ مدارس للملاحين

وقد بلغ من انتشار التعليم في فنلندا حتى صار الاميون من الذين عمرهم فوق الخامسة عشرة اقل من واحد في المائة وكان ينشر فيها سنة ١٩٢٣ نحو ٢٧٤ صحيفة باللغة الفنلندية و٩٦ صحيفة باللغة الاسوجية و٩ صحف باللغتين معًا و٥ صحف بلغات اجنبية

وكان تعليم الزراعة اهم ما يدور عليهِ التعليم العالي في فنلندا قبل الحرب اما الآن وقد استقلت البلاد فقد افسح المجال في الجامعات ودور العلم لعلم الكهربائية والكيمياء والهندسة وغيرها مما يمهد السبيل لاستثمار ثروة البلاد وخصوصاً ما كان منها ماء منحدراً يسهل تحويلهُ الى قوة كهربائية

المتحف القبطي

خطبة نفيسة لمؤسسه

ايها السادة

(١) يسرني كثيراً ان ارحب اليوم في هذه البقعة التاريخية الهامة بنخبة من رجال التعليم الموكول اليهم تربية شبابنا وتهذيبهم — رجال الغد الذين تنتظر منهم الامة ان يسيروا بها في سبيل التقدم والرقي ليرجعوا اليها مجدها القديم

(٢) يسرني ان تعنى وزارة المعارف الجليلة عناية خاصة بامر تعليم تاريخ مصر علماً وعملاً بعد ان كان مهملاً اهمالاً يكاد يكون تاماً هذا بينما كان الاجانب من اوربيين واميركيين يهتمون به وخصوصاً الاولين منهم فانهم منذ اكثر من مائة وخمسين سنة وهم يوفدون العلماء يبحثون وينقبون حتى توصلوا بجدهم واجتهادهم الى كشف اكثر الآثار التي كانت مدفونة والى حل رموز القلم الهيروغليفي بعد ان ظل سرّاً مكنوناً اكثر من الف وخمسمائة سنة وتمكنوا من قراءة الحوادث التاريخية المنقوشة على جدران المعابد والمقابر ووضعوا مؤلفات قيمة كثيرة عن تاريخ مصر القديم وديانة المصريين في تلك العصور الغابرة

(٣) قد ولّى والحمد لله الزمن الذي كان المصريون فيه لا يعنيهم امر آثارهم التاريخية وحان الوقت الذي يمكنكم ان تبينوا فيه باحضرات الاساتذة لتلاميذكم ما وصل اليه اجدادهم من المجد والسؤدد بنبوغهم في العلوم والفنون وتحثوهم على المساعدة على الاحتفاظ بآثارهم والاقتداء بهم في تحصيل العلم واتقان الصنائع والفنون ليكونوا جديرين بأولئك الأجداد العظام

(٤) قد لا توجد بلاد اخرى في العالم تصل حلقات تاريخها بعضها ببعض بدون انقطاع من اقدم العصور الى يومنا هذا مثل القطر المصري ولا يوجد تاريخ تؤيد الحوادث الواردة به المستندات مثل تاريخ مصر . اعني بالمستندات تلك المباني الشامخة الخالدة من اهرامات وهياكل ومقابر واديرة وكنائس وجوامع في مختلف الجهات وكذلك المخطوطات والتحف والزخارف الكثيرة في متاحفنا ومتاحف اكثر بلدان اوربا واميركا

(٥) مضى على مصر اكثر من الفين وثلاثمائة سنة منذ ما فقدت استقلالها

بانتهاء حكم الفراعنة ومن ذلك العهد وهذه البلاد بسبب موقعها الجغرافي الممتاز وما خصها الله به من المناخ الجميل والتربة الخصبة والثروة الطائلة مطمح نظر الفاتحين من احباش وبونان وفرس ورومان وعرب واتراك وافرنج وقد توالت عليها الغارات والمحن فهُدم في اثناء الحروب وما يتبعها من الاضطرابات كثير من المباني الفخمة التي لولا عبث يد الانسان بها لبقيت خالدة مدى الدهور والاعوام، وضاع من الذخائر والكنوز ما لا يدخل تحت حصر. والامر المحزن هو انهُ لما خيم الجهل على البلاد قام الاهالي يهدمون ما بقي ظاهراً من آثار اجدادهم بحثاً عن الذهب والفضة وللانتفاع بانقاضها لبناء دورهم. وكم من قطعة من الحجر بما هو منقوش عليها من معلومات تاريخية تفوق قيمتها في نظر العلماء وزنها من الفضة والذهب!

(٦) ولكن العناية شاءت ان تحفظ لنا بعض هذه الآثار العجيبة فسخرت الرياح ورمال الصحارى فطمست معالم كثير منها واخفتها عن عيون العابثين من اجانب ووطنيين الى ان اتاح الله لمصر العائلة المحمدية العلوية التي استعانت بعلماء الافرنج مثل مريت باشا وبروجش باشا وماسبرو لكشف تلك الآثار وحفظها وصيانتها وانشأت المتاحف لعرض ما عثر عليهِ من التماثيل والحلى والزخارف وترتيب تلك التحف والآثار بطريقة علمية ووضعت القوانين للمحافظة عليها والضرب على ايدي العابثين بها

(٧) تنقسم الآثار المصرية كما تعلمون حضراتكم الى اربعة اقسام رئيسية (١) آثار العصر الفرعوني الذي يبتدئ من اقدم العصور المعروفة وينتهي بانتهاء حكم الفراعنة في اول القرن الثالث قبل المسيح وقد شاهدتم كثيراً من آثاره العجيبة بالجيزة وسقاره ومتحف قصر النيل واهمها بالوجه القبلي (٢) العصر اليوناني الروماني ويبتدئ من القرن الثالث قبل المسيح وينتهي بالفتح العربي في الجيل السابع للميلاد وآثاره معروضة بمتحف الاسكندرية (٣) العصر المسيحي وسأتكلم عنهُ (٤) العصر الاسلامي ويبتدئ من القرن السابع للميلاد الى يومنا هذا وقد شاهدتم آثاره البديعة في جوامع القاهرة ومساجدها في دار الآثار العربية بباب الخلق

العصر المسيحي

(٨) كان المصريون في مقدمة الامم التي اعتنقت النصرانية وكان دخولهم في دين السيد المسيح على يد القديس مرقس الانجيلي في القرن الاول للميلاد. بدأ هذا الرسول

تبشيره في الاسكندرية عاصمة البطالسة وقد تولى البطاركة رآسة الكنيسة المصرية من ذلك العهد. والانبا كيرلس البطريرك الحالي هو المائة والثاني عشر من خلفاء مرقس الانجيلي. وكانت الاسكندرية مقرّ رآستهم حتى الفتح العربي ويدعون لهذا اليوم بطاركة الاسكندرية لهذا السبب. وبعد ذلك لما تأسست مدينة الفسطاط انتقلوا الى كنيسة المعلقة [1] التي ستزورونها اليوم ليكونوا على اتصال بالولاة والسلاطين المسلمين

(٩) ولما اعتنق المصريون المسيحية ابقوا على كثير من هياكل آلهتهم القديمة وحولوا معابد آمون وازيس واوزيريس الى كنائس رفعوا فوقها الصليب واستعاضوا عن صور الآلهة الوثنية بصور السيد المسيح ورسله كما يشاهد ذلك الآن في الهياكل والبرابي الموجودة باسوان والاقصر والكرنك وابشوا يقيمون الشعائر الدينية المسيحية بها الى ان تمنى لهم تشييد كنائس جديدة على الطراز البيزنطي مثل كنيسة دندره وكنيستي الدير الابيض والاحمر بسوهاج وكنائس قصر الشمع وغيرها

اللغة القبطية

(١٠) وبالنسبة لارتباط الحروف الهروغليفية بالديانة الوثنية استعاض عنها الاقباط بالحروف اليونانية باضافة بعض حروف مصرية الاصوات غير موجودة في اللغة اليونانية وقد خدم الاقباط تاريخ اجدادهم اجل خدمة بمحافظتهم على اللغة المصرية فان اللغة التي تستعمل الى يومنا هذا في اقامة الشعائر الدينية عند الاقباط هي هي اللغة التي كان يتكلم بها الفراعنة وقد ادخل عليها طائفة من الالفاظ اليونانية

وسبب اندماج كثير من الالفاظ اليونانية في اللغة المصرية التي اصبحت من ذلك العهد تدعى اللغة القبطية هو ان المسيحية بدأت كما سبق القول بالاسكندرية وكانت مدينة يونانية فكتبت الاناجيل وكتب الصلاة باللغة اليونانية ولما انتشر الدين المسيحي في داخل البلاد اضطروا الى ترجمة الكتب المقدسة الى اللغة المصرية التي كان السواد الاعظم من الاهالي لا يفهم سواها. ولا تزال توجد الى الآن آثار هذه الكتب بلهجات اللغة المصرية الخمس (١) الصعيدية (٢) الاخميمية (٣) الفيومية (٤) البشمورية (٥) والبحيرية وقد فقدت اكثر الكتب المكتوبة باللهجات الاربع الاولى ما عدا القليل منها واكثرها في مكاتب اوربا واميركا والباقي عند الاقباط منها الآن مكتوب

---

(١) انظر وصفنا لمتحف قبر الثاني في مقالة قصر الشمع

باللهجة الصعيدية التي لا يعرف الاقباط سواها ما عدا اثنين او ثلاثة منهم الدكتور جورجي صبحي استاذ اللغة القبطية بالجامعة المصرية و يسي افندي عبد المسيح امين مكتبة المتحف القبطي . و يرجع النقل في درس اللهجات الاخرى وطبع كثير من الكتب المكتوبة بها الى علماء الافرنج وفي مقدمتهم كرم وهورنر والسير هربرت طمسون من الانجليز واميلينو و بوريان من الفرنسويين وستزن من الالمان وغيرهم من امم أخرى

(١١) ولولا محافظة الاقباط على لغتهم الاصلية لما تمكن شمبليون العالم الفرنساوي الشهير من قراءة وترجمة الكتابة المنقوشة بالحروف الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية على حجر رشيد الموجود الآن بالمتحف البريطاني بلندن . و بهذه المناسبة احب ان اذكر ان لفظ قبطي معناها مصري وهي محرفة من اللفظة اجيبتوس ولذلك فجميعكم اقباط بعضكم اقباط مسلمون والبعض الآخر مسيحيون وكلكم متناسلون من المصريين القدماء

الكنائس والاديرة الاثرية

(١٢) ولما وجدت ان الاديرة والكنائس الاثرية عرضة للهدم والتخريب طلبت من الحكومة في سنة ١٨٩٣ وضعها تحت مراقبة لجنة حفظ الآثار العربية فتكرمت واجابتني الى طلبي هذا و بهذه المناسبة ضمت الى اللجنة المذكورة عضوين قبطيين لي الشرف ان اكون احدهما . وقد قامت هذه اللجنة بترميم كثير من هذه المباني الاثرية واصلاحها بعناية تذكر لها بالشكر العظيم ومن هذه الآثار الدير الابيض والدير الاحمر بسوهاج وكنائس العذراء بحارة الزويله بالقاهرة وابي سيفين وانبا شنوده وماري مينا بمصر القديمة وابو سرجه ودير البنات والسيدة بريارة بقصر الشمع

المتحف القبطي وكنيسة المعلقة

(١٣) ولما كانت الآثار المسيحية المعروضة بالمتحف المصري بقصر النيل والمتحف الاسكندري قليلة جداً وكان اكثرها قد تسرب الى الخارج خطرت لي فكرة انشاء متحف خاص لها على مثال المتاحف الثلاثة المصرية الاخرى وهي المتحف المصري بقصر النيل ومتحف الآثار اليونانية الرومانية بالاسكندرية ودار الآثار العربية فتكمل السلسلة بوجود الحلقة الرابعة الناقصة . ولما عرضت هذه الفكرة على غبطة الاب البطريرك في سنة ١٩٠٩ لقيت منهُ قبولاً وارتياحاً فكرم ووضع تحت تصرفي غرفتين في كنيسة المعلقة التي دعيت بهذا الاسم لانشائها باعلى الحصن الروماني و يرجع تاريخها الى القرن

الخاص للمسيح وقد اهتم بترميمها والمحافظة على ما بها من الآثار النفيسة المرحوم مخائيل بك اليارقي ومن ذلك الوقت اخذت في زيارة الاديرة والكنائس في انحاء القطر المصري وجمعت ما استطعت الحصول عليه من الكتب المخطوطة والاقمشة المزركشة والستور الحريرية والاواني الذهبية والفضية والنحاسية والاخشاب المنقوش عليها صور بارزة والمطعمة بالعاج والاحجار المنقوشة الخ

(١٤) ثم شرعت في البناء غرفة بعد غرفة الى ان وصل المتحف القبطي الى الحالة التي هو عليها الآن وقد زينت هذه المباني بالسقف الاثرية المنقوشة والمشربيات القديمة النظير والاعمدة الرخامية التي جمعتها من الخرائب التابعة لاوقاف الاقباط بمصر والجهات

(١٥) وقد صادفني كثير من العقبات ولكني تغلبت عليها بمعونة الله وبالصبر وطول الاناة وفي ذلك درس وعظة اذ بالمثابرة والاجتهاد يتغلب الانسان على اكبر الصعاب — وان كنت نجحت فالفضل الاكبر في ذلك عائد الى المحسنين من جميع الطبقات مسلمين ونصارى وكثير من الاجانب أغنياء وفقراء وفي مقدمة الجميع صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم وساكن الجنان السلطان حسين وامراء العائلة الملكية وبالاخص سمو الاميرين الجليلين البرنس عمر طوسن والبرنس يوسف كمال وعبطة الاب البطريرك وبقية مطران الاسكندرية اللذين وجدت منهما كل تشجيع. وقد حصلت على تبرعات مالية من كل مذهب اخص منهم بالذكر المرحوم داود بك نكلاوقد وجدت كل مساعدة في عملي من القمص يوحنا شنوده رئيس كنيسة المعلقة وشقيقه القس مرقس شنوده والدكتور جورجي صبحي ووديع افندي حنا سكرتير المتحف وبدى افندي عبد المسيح امين المكتبة وكثيرين غيرهم اذكر منهم الدكتور بطلر والمستر سومرز كلارك والمستر باترسون المستشار المالي والمسيو باتريكولو والمسيو فوكار والمرحومين المسيو ماسبيرو وهرتس باشا

المكتبة

(١٦) وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم ايد الله بالعدل دولته واتم على هذه الامة في ظل عهده الميمون نعمته فجعل حفظه الله للمتحف القبطي حظاً كبيراً من عنايته المالية اذ تكرم بزيارته في شهر دسمبر سنة ١٩٢٠ وفي معية جلالته الوزراء وكبار رجال الدولة واشار جلالته باضافة مكتبة الى هذا المتحف تضم كل ما كتب

عن الاقباط وتاريخهم ولغتهم بسائر اللغات وتبرع حفظهُ الله وانجاله الكرام لهذا المشروع المفيد بمبلغ خمسمائة جنيه مصري وقد تم بمعونة الله وبحسن رعاية جلالته انشاء هذه المكتبة . واهدى اليها مجموعة كتب قيمة ورثةُ المرحوم ميخائيل بك شاروبيم وكذلك دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني والارسالية الفرنسوية الاثرية بمصر ومتحف نيويورك وقد وضعنا في مدخلها لوحاً من الرخام نقشت عليه العبارة الآتية

« انشئت هذه المكتبة العامرة تخليداً لذكرى تشريف حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم هذا المتحف بزيارته الميمونة في يوم الثلاثاء المبارك ٢١ دسمبر سنة ١٩٢٠ الموافق ١٢ كيهك سنة ١٦٣٧ قبطية » وقد تكرم وساعدنا في ترتيب الكتب بها وانشاء سجلاتها حضرة توفيق بك اسكاروس الموظف بدار الكتب الملكية المصرية

الحصن الروماني

(١٧) انتخبت هذه النقطة البعيدة عن مركز المدينة لانشاء هذا المتحف لجملة اسباب اولاً — لان الآب البطريرك لم يسمح بنقل التحف والذخائر النفيسة التي ستشاهدونها فيه من الاديرة والكنائس التي هي موقوفة عليها واكثرها من الاواني المكرسة للخدمة الدينية الا شرطاً ان تكون في داخل كنيسة وفي عهدة قسوسها ثانياً — ليكون في وسط اهم الكنائس الاثرية كالمعلقة والبي مرجه والسيدة برباره — ثالثاً ليكون داخل الحصن الروماني الشهير الذي شيدهُ الامبراطور تراجان حسب زعم البعض وهرقل حسب زعم البعض الآخر من القلعات و به الباب الذي دخل منهُ عمرو بن العاص ومن كان معهُ من الصحابة واصبحوا من وقتها اسياد البلاد المصرية

وقد تمكنت بمساعدة لجنة حفظ الآثار العربية من ترميم هذا الباب العظيم والابراج التي تزينها

(١٨) وفي الختام اريد ان اقول اني عضو في لجنة دار الآثار العربية ولا يقلُّ اهتمامي بها عن اهتمامي بالمتحف القبطي كما اني اول الساعين في توسيع نطاقها. وقد وافقني حضرات زملائي اعضاء لجنة حفظ الآثار العربية على طلب مسراي بكتاش الكائنة الى جنوب جامع السلطان حسن لتعرض بها الآثار الحجرية والرخامية حتى يتسنى تسهيل ترتيب الآثار الاخرى المكدسة الآن بعضها على بعض في دار الآثار العربية

مرقص سميكة باشا

السر هنري دتردنج
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٢٨٧

ملوك البترول

السر هنري دترديغ وشركة الدتش رويال

سبق لنا في هذه الفصول ان ذكرنا ثلاثة من ملوك البترول روكفلر الاميركي ودارمي ولورد بيرستد الانكليزيين وسنخص هذا الفصل برجل هولندي يعرف في الاندية المالية بنبوليون البترول او روكفلر اوربا وهو مدير شركة الدتش رويال اكبر شركة بترويل في العالم. وتاريخ ارتقائه انما هو تاريخ اتساع اعمالها وامتداد نفوذها في كل اقطار المعمور

لما تحرر الهولنديون من نير الاسبان في القرن السادس عشر حاول بحارتهم ان يكتشفوا طريقاً بحرياً الى الشرق الاقصى فوصل احدهم كرنيليوس هوتمان الى صومطرى حيث رفع العلم الهولندي وضم اول قطعة ارض من تلك البلاد الى حكومة هولاندا ومن ثم اخذت مستعمرات هولاندا في الشرق الاقصى تتسع وهي تعرف الآن بجزائر الهند الشرقية الهولندية ومنها جاوي وجانب من بورنيو وغرب غينيا الجديدة وجزائر اخرى صغيرة. ومصادر الثروة الطبيعية في تلك الجزائر كثيرة الا ان البترول اعظمها كلها الآن

وكان الهولنديون على اول عهدهم في مستعمراتهم الجديدة لا يعرفون ما فيها من البترول فحولوا انظارهم الى زراعة التبغ والبن. وفي اواخر العقد التاسع من القرن الماضي اكتشف زلكن احد زراع التبغ في صومطرى آثار البترول على مقربة من ارضه فنال امتيازاً من السلطان الحاكم حينئذٍ باستخراج البترول واقنع الحكومة الهولندية ان تمده بالمهندسين فحفروا بئراً خرج منها ٥٠ برميلاً من البترول النقي في ثلاثة ايام ثم صار ينتج منها ٣٠٠ برميل في اليوم. وكانت سبل المواصلات ووسائل النقل صعبة فمهد طريقاً من البئر الى القرب مرفأ لنقل البترول وكانت هذه البئر النواة التي انشئت حولها الشركة الهولندية الملكية (رويال دتش) كما سيجيء. وكان اناس آخرون قد عثروا على البترول في جاوي وبورنيو فانشئت شركات لاستخراجه وتكريره

واهتمت الحكومة الهولندية باستخراج البترول فبعثت برجل الى الولايات المتحدة ليتعلم الاساليب المستعملة فيها لاستخراج البترول وتكريره ولما عاد حاول ان يمنع الحكومة بحفر الآبار على حسابها فاخفق فجعل يشتغل لحسابه

ولما هل هلال القرن العشرين كان استخراج البترول في جزائر الهند الشرقية

الهولندية متأخراً جداً عما كان عليهِ في الولايات المتحدة . لان الشركات كان تعمل منفرد احدها عن الآخر ولم يحاول احد ان يوحّد العمل بينها حتى تتمكن من التوسع فيهِ

وكان في باتافيا يجاوي رجل يدعى كسلر من اصل المانى هولندي يمثل بيتاً من البيوتات التجارية الالمانية استرعى نظرهُ امر البترول فبحث فيهِ ما استطاع وعرف انهُ مستقبلاً عظيماً في التجارة والسياسة فذهب الى لاهاي عاصمة هولندا سنة ١٨٩٠ وانشأ فيها شركة دعاها الشركة الهولندية الملكية لاستخراج البترول من آبار الهند الشرقية . وجعل رأسمالهُ الاسامي نحو مائة الف جنيه . فاشترت هذه الشركة اسهاز زلكن في سومطرى بثلاثين الف جنيه فكانت صفقتها هذه بدء سلسلة من صفقات مالية تمّ اكثرها على يد دتردنج جعلتها الآن اكبر شركة بترول في العالم ينضوي تحت لوائها ١٢٥ شركة رأسمالها معاً مائتا مليون جنيه

جُعل كسلر مديراً للشركة الجديدة وبدأ للحال ينفذ خطتهُ التي تتلخص في كلمة « الضمّ » يراد بذلك ضمّ كل شركات البترول التي تعمل في جزائر الهند الشرقية حتى يوحّد العمل و يتوسع فيهِ

وكانت السنتان الاوليان من حياة الشركة الهولندية الملكية كثيرة المصاعب لان جانباً كبيراً من رأس المال انفق على مدّ الانابيب لنقل البترول وانشاء محطات التكرير . ولكن كسلر رأى ان المجال امامهُ مفسحٌ جدًّا فلم تقعدهُ المصاعب عن المضي في عملهِ

كذلك كانت الحال في شركة الدتش رويال لما انضم اليها دتردنج . ذلك ان كسلر اخذ يبحث عن رجل همام يشترك معهُ في العمل فقال لهُ احد معارفهِ ان في باتافيا في بلدة يبتافيا شاباً يدعى دتردنج وهو ذكي همام لهُ مستقبل باهر يجب ان تتعرف بهِ

فارسل يستدعيهِ ووجد انهُ كان مساعداً لمدير شركة تجارية هولاندية . ومن غرائب الاتفاق ان دتردنج كان قد اهتمّ بالبترول واخذ يدرس دقائقهُ . والسبب الذي حملهُ على الاهتمام بهِ انهُ كان يبيع مصابيح البترول في مساءٍ وكان يعتقد ككسلر ان البترول اعظم ما تدور عليهِ التجارة في الشرق الاقصى . فاتفق مع كسلر على ان يشتغل معهُ ناظراً في قسم المبيع وكان ذلك سنة ١٨٩٢ . وللحال ظهرت مقدرتهُ فكان الطبيعة كانت تسوق اليهِ التوفيق في جميع اعمالهِ ولم ينقض زمن طويل عليهِ حتى صار في مقدمة المديرين في قسم البيع . وفي سنة ١٨٩٦ طُلب اليهِ ان يتولى ادارة قسم المبيع في سنغافورة فبدأ في منصبهِ هذا المناظرة القوية مع الشركات المزاحمة لهُ في استخراج البترول وبيعهِ في الشرق الاقصى

واعظمها حينئذٍ شركة الستندرد اويل الاميركية التي مرَّ ذكرها حين الكلام على ركفلر و بترول شل. وكانت هذه الشركة لا تزال في اوج قوتها ونفوذها في اميركا وخارجيا ولها متاجر واسعة في الشرق الاقصى وخصوصاً في الصين . ذلك ان الصينيين كانوا يستعملون للانارة مصباحاً مؤلفاً من فتيلة مغموسة في زيت السمك او زيت غير مرغباء رجال الستندرد اويل ووزعوا على سكان الصين الوفاً من مصابيح البترول باثمان بخسة لكي يمهدوا الطريق لبيع البترول ولذلك دعيت شركة الستندرد اويل « نور اسيا » وصارت كلمة « ماي فوي » وهي اسم هذا الشركة بالصينية من الكلمات المألوفة عند كل صيني حتى انهُ لما قبض بعض قطاع الطرق من الصينيين على سيدة اميركية من اقرباء ركفلر جعلت هذه تصيح « ماي فوي » وهي العبارة الصينية الوحيدة التي تعرفها فاطلق سراحها. ذلك كان مقام الستندرد اويل في الصين حينما عزم دتردنج ان يناظرها هناك . لكن شركة الستندرد كانت قديمة العهد بالعمل ولها نظام دقيق وخطة محكمة تجري عليها فكان من الصعب على دتردنج مناظرتها لولا انهُ رأى ما تكبدهُ من المشاق في نقل البترول التي تبيعهُ في الصين من اميركا وهو على الضد من ذلك كانت منابع البترول الذي في حوزته اقرب الى الصين من بنسلفانيا او كليفورنيا . وكانت تعوزهُ وسائل النقل اللازمة فاتفق مع لورد بيرستد مدير شركة « شل » (انظر مقتطف فبراير الماضي) على نقل بترولهِ من سومطرى وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان الشرق

وكانت شركة شل تبيع بترول آل روتشيلد الروسي في الشرق الاقصى فادرك دتردنج ان شركة شل التي يستعمل ناقلاتها لنقل بترولهِ من مزاحميهِ في المبيع، فرأى فائدة الاتحاد فأنشئت شركة جديدة تدعى شركة البترول الاسيوية في ٢٩ يوليو سنة ١٩٠٣ لتتولى بيع البترول في الشرق الاقصى وقسمت اسهمها الى ثلاثة اقسام متساوية نالت شركة دتش رويال احدها وشركة شل القسم الثاني وشركة روتشيلد القسم الثالث . فساعد هذا الاتفاق دتردنج على تجديد المناظرة مع شركة الستندرد اويل لان انضمامهُ هذا اضاف قوةً الى قوتهِ فصار في امكانهِ ان يعتمد على معاضدة بيت روتشيلد المالية ونفوذ الحكومة الانكليزية المعنوي . ولم تمضِ سنة على الاتحاد الجديد حتى ظهر نفوذهُ القوي وصار بترول الدتش شل يباع في جنوب افريقية وشرقها وفي استراليا وزيلندا الجديدة واليابان والفيليبين على ان دتردنج كان يرمي الى ما هو ابعد من ذلك . رأى ان اتحاد هذه الشركات

على المنوال المتقدم ازال كل مناظرة بينها في بيع البترول ولكنهُ لم يزل المزاحمة بينها في انتاجهِ. لذلك اراد ان يوحد بين هذه الشركات في الانتاج والتوزيع فأنشئت شركتان تسيطران على اعمال الشركات المتحدة احداها هولندية دعيت شركة بترول بتافيا وحصر عملها في استخراج البترول وما يتركب منهُ . والثانية انكليزية دعيت شركة البترول الانجلوسكسونية وعهد اليها في نقل البترول وخزنهِ وتوزيعهِ . وجعل رأس مال هاتين الشركتين ٢١ مليون جنيه . وجعلت السيطرة لشركة الرويال دتش. وقد جرى دتردنج في عملهِ هذا على الخطة التي جرى عليها مديرو شركة الستندرد اويل الاميركية وغايتهُ السيطرة على تجارة البترول خارج الولايات المتحدة

ومن الغريب ان لاتحاد شركة الرويال دتش والشل منابع بترول في الولايات المتحدة يستخرج منها ٧٠ الف برميل يومياً. وهكذا تمَّ لدتردنج ان ينشىء هذه السلسلة المحكمة من شركات البترول التي تستخرجهُ وتكررهُ وتنقلهُ وتوزعهُ على احدث الاساليب واحكمها وقد امتد نفوذها الى كل البلدان التي فيها منابع بترول الاَّ بلاد فارس حيث تسيطر شركة الانجلو پرشن تعضدها في ذلك الحكومة الانكليزية التي اشترت جانباً من اسهمها سنة ١٩١٤ لتضمن مقداراً كافياً من البترول لتموين بوارجها

هذا وقد نال دتردنج لقب سر من الحكومة الانكليزية مع انهُ لا يزال محتفظاً بجنسيتهِ الهولندية ومكتبهُ الآن في لندن يديرهُ هذه الاعمال المالية العظيمة

قابلهُ حديثاً احد مكاتبي الصحف فسألهُ هل غايتهُ السيطرة على تجارة البترول في العالم حتى لا تخرج سفينة عباب البحر الاَّ وتشتري جانباً من بترولها منهُ فقال «نحن نتجر بالبترول ومن الطبيعي اننا نريد التوسع في تجارتنا الى اقصى حدٍّ يستطاع . فالاراضي التي نستخرج منها البترول في جزائر الهند الشرقية نقل رويداً رويداً وليس عندنا اراضي بترول غيرها هناك . لذلك نستعمل اموالنا ومعداتنا ونظامنا المحكم في اماكن اخرى وعلماء الجيولوجيا الذي في خدمتنا يطوفون الارض للبحث عن اراضٍ فيها بترول . فاذا اريد بهذا السيطرة فانها غايتنا »

العرب في التاريخ

٤ هل السمريون ساميو الجنس (١)

لما جاء ذكر السمريين لاول مرة في كلام المؤرخين نقلاً عن الرقم المسمارية الكتابة ذهب العلماء مذهبين: مذهب يقول بسامية اصلهم، ومذهب يذهب بخلاف ذلك. واليوم قد ثبت لدى المحققين ان السمريين ليسوا بساميين ، انما هم جيل من الناس كان موطنهُ الاصلي الديار الواقعة في شمالي العراق في نحو ما تسميهِ اليوم بلاد كوه قاف (وكما يقول بعضهم قفقاس او قوقاز ، نقلاً عن الافرنج) ، او فارس ، او تركستان ، او الصين ، من غير ان يعرفوا الموطن الحقيقي

وقد هبطوا العراق وهم لسان راقٍ وكتابة مسمارية محوّلة عن كتابة مصوّرة ، وآداب خاصة بهم ، نقلوها معهم الى العراق حين نزولهم فيهِ ، فتلقّاها عنهم بعد ذلك الساميون حينما جاوروهم ، وهم الذين بنوا معبد القمر الذي كشفتهُ البعثة الاميركية في مدينة « أُور » (المعروفة في العراق بالمقيّر) سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ . والسمريون من نفس عنصر البابليين اذ هؤلاء نشأوا من بقايا اولئك ثم امتزج الكل بالساميين واكثرهم من اشور بقاياً من مزيجهم العراقيون . وقد ذكرنا هنا السمريين لان بعضهم حسبوهم من العرب ، حتى زعموا ان اهالي « شمّر » الحاليين يرتقون نسباً الى « السمريين » الاقدمين

وقد ذكرنا العرب في العراق لان الاقدمين اعتبروا العراق جزءاً من جزيرة العرب ولان اجدادنا كانوا مبثوثين في ارجاء العراق في كل عصر مما تقادم عهدهُ ، بخلاف ما زعمهُ مؤرخو العرب بعد الاسلام ، اذ زعموا ان الناطقين بالضاد لم ينزلوا العراق الا قبيل الدين الحنيف . وهذا الزعم ضعيف غاية الضعف ، تفسدهُ ، المكتشفات العصرية التي ظهرت في ربوع العراق

---

(١) الرس كلمة معروفة عند عوام العراق فضلاً عن ادبائه ويريدون بها الاصل . وهو ما سماهُ الانكليز والفرنسيون Race ويظهر لي ان هذا الطرق من طلبة الالمانية العديثة Reizd . والذي نراه انه من اصل عربي فصيح هو الرس وهو الحدق اي الاصل الذي يبتدأ منه . كما صرح به اللغويون . على ان علماء اللغة الفرنسيين قالوا ان كلمة race مأخوذة من اللاتينية radix وكل ذلك محتمل الا ان العربية تؤيده احسن تأييد لما تركب على هذه المادة من المفردات العديدة المثبتة لهذا الاصل

عربة في زمن الفطحل (١)

مما يسوغ ذكرهُ ، قبل الخوض في البحث، ان سكان جزيرة العرب لم يأذنوا للافرنج دخول ديارهم دخولاً يمكنهم من التجول فيها والتنقيب في ارجائها ، وكل من حاول تحقيق هذه النكرة ، اخفيل ، ولهذا لم نرَ من فصّل ذلك في القديم والحديث (٢)

نعم ، ان بعضهم تمكن خفية من نقل بعض رُقَم لكن ذلك لا يجلي شيئاً من تاريخ تلك الربوع في قديم العهد . وقد عثرت جماعة من الباحثين على بعض نصوص تعلو انصابًا بيد انها كلها من عهد غير بعيد ولا شأن لها بالنسبة الى القرون الترامية في القدم

فعربة جزيرة كما يقول العرب ، او شبه جزيرة على ما يقول المحدثون ، قائمة في قلب العالم العتيق ، تتربع في ارجوحة مطلقة اطرافها بآسية من جهة وبافريقية من جهة اخرى ، فهي كالجسر تجمع بين بلاد وبلاد

عربة بجوانبها واتجاه جبالها وهوائها تعود الى افريقية ، وهي باوديتها تتصل بالعراق وتعتبر مقدرهُ الجنوبي. وتكاد الابحر تحاصرها من كل جهة . ويدفع عنها في الشمال فلوات لا تقطع الاَّ بشق النفس وبوسائل ترهق الارواح، ولهذا عدّت دائمًا منعزلة عن بقية الدنيا ، واصبحت هي بنفسها عالمًا مستقلاً لا صلة لهُ بما حوله ، الاَّ بواسطة اناس أفلاَّء يترددون الى الثغور للتجارة لا غير. ولذلك بقيت تلك الربوع قائمة بنفسها وبانهارها وبعاداتها وبخَلقها وبخُلقها

عربة تخيفك اذا نظرت اليها من السواحل التي تتردد اليها سفن البحر ، لانها جرداء وصخورها البحرية حارة جدًّا، ان جئتها من جهة خليج فارس، او بحر عمان او البحر الاحمر (٣)

عربة من جهة منظرها التضريسي (الجغرافي) الطبيعي تنقسم الى بلادين متميزتين : في الجنوب الغربي نجد عريض يمتد على طول البحر الاحمر و يساوي عرضهُ على التقريب النصف الثاني من الجزيرة كلها، و يمتد في الجنوب على ساحل بحر الهند و يتصل في الشمال

---

(١) زمن الفطحل عند العرب = زمن نوح النبي (عن لسان العرب) فهو ما يسميه الافرنج بما معناه الزمن السابق لتاريخ Temps préhistorique (٢) حكى لي بعض من اثق بصدقه قال : كنا نخاف هؤلاء الناس اذ كثيراً ما يأتوننا بحجة حج او صداقة واذا هم جواسيس او اناس غايتهم معرفة اسرار التملك على البلاد . ولهذا كنا نأمر بقتل كل من يأتينا من الفرنجة او ممن نعتقد به الجاسوسية من الاتراك الذين نسميهم في بلادنا « الروم »

(٣) اختلف العلماء في اسباب تسمية هذا البحر بالاحمر ولا حاجة الى ان نقف عليها والذي عندي انه سمي بذلك لشدة حرارته على مدى السنة كلها . ومادة ح م ر في اللغات السامية تدل على اللون الذي يلي البرتقالي من الوان قوس قزح وعلى شدة الحر لانهم تصوروا ان الحرارة مولدة من النار وان لون هذه النار الحمرة او لون الجمرة . ولهذا قرنوا حمارة الحر بزرقة صبارة البرد

بهضاب تجاور خليج العقبة و بسلسلة جبال سورية . وارتفاع هذا النجد يتردد بين الالف والالفين من الامتار ، ويكون قاعدة لاطواد الحجاز واليمن وحضرموت . وفي هذه الديار جبال يرتفع راسها الى ثلاثة آلاف متر . وفي الشمال الشرقي صحراء عظيمة تكاد تنصف عربة ، فيها بعض ميل الى خليج فارس والعراق وما فلواتها الا ذيل فلوات جزيرة العرب . وفي نحو آخر هذه المنطقة بجوار سقط ما يكاد يشبه جزيرة من الجبال يستنزل الندى بعلوّه فتجذب تلك الرطوبة اناساً يتطلبونها

اوَ كانت عربة يابسة قاحلة على مدى الدهر ؟ كلا . ان شدة تكاثف الهواء لم تنقطع فجأة بعد الامطار المغرقة التي وقعت في عهد الفيضانات الرابعية . لا جرم ان السهول المنخفضة داهمتها المياه وهي التي حضرتها ، كما انها هي التي استأصلت ما كان ينبت فيها ، واغرقت الحيوانات والبشر التي كانت قد اوت اليها . ولم تنقطع الرطوبة دفعةً بل بقيت فيها متمادية في عدة قرون بل في مدة مئات من القرون . والشاهد على ذلك الاودية التي تخترق تلك الصحاري ، وهي لم توجد الا لان المياه خدّدت تلك الارض وجرت الى منخفض بلاد كلدية وخليج فارس . وفي ذلك العهد المترامي في البعد ، ربما بقيت الجبال جرداء لاجتحاف المياه ما كان عليها ، الا ان الفجوات بقيت خصبة تفيض بالبركات والخيرات . وكانت حيوانات البر تنتابها ، وطيور الجوّ تنزل على اغصان اشجارها الغيناء ، فكان ابن آدم يتبعها ليصطاد منها ما يتمكن منهُ ليسد بهِ رمقهُ

بيد انهُ لا ينكر امر وهو ان القحولة بدت باكراً ، ولم ترَ نتائج ضررها الا بعد ذلك بكثير ، ولم تكن تلك اليبوسة فجأة ، بل شيئاً بعد شيء على ما تحكم بهِ الطبيعة . ولقد نقل الينا الخلف عن السلف تدرج هذه اليبوسة . فلقد روى سنكن بثن ما ذكرهُ اوسابيوس المؤرخ بما هذا معناهُ . « في الجيل الثاني كان الناس يسمون « جنًّا او جانًّا » وكانوا يطوون بساط ايامهم في ضيقة ، الا انهُ داهمتهم يبوسة شديدة فرفعوا اكفّهم الى الشمس التي كانوا يعتبرونها مولى السماوات الوحيد . » اه

جرت هذه الطواري في عنق الدهر ، ولقد تجددت امثالها فاضطرت القبائل الى هجر ديارها والظعن الى ربوع يرعون فيها ماشيتهم ويجنون من اشجارها ثماراً طيبة

يثبت لنا بليني «ان الرقعة الواقعة بين خليج العقبة ومدينة خارك في اصقاع كلدية كانت آهلة وكان سكانها يعرفون باسم العاتيين (غير اهل عُمان الحاليين) وكان لهم فيها مدن عامرة وبلدان مهمة ، الا انهم اضطروا الى مغادرتها لفيض الماء . وهذه الرقعة هي

اليوم فلوات واسعة الاكناف تسفي الرياح رمالها ويبدو فيها الرسل اسحاب البرد من العرب وهم يذهبون من بغداد الى الشام في تسعة ايام يوجفون فيها ركابهم ولا يرون فيها الا ماءتين والا فهي خراب يباب . » اه كلام بلينيوس

ولنسألن نفسنا عن ماضي عربة في عهد الثلوج . لا غرو ان جبالها الضخمة الجليلة ، كان لها زمن كثرت فيها المثالج على حدّ ما كثرت في لبنان وديار الحبشة ، الا انها لم تقدم زمناً مذبذاً لقربها من خط الاستواء فكان ابن آدم يأوي الى هذا الحوض الواسع حوض بلاد العرب والعراق ، على ما يرى من الادوات من العهد الشلّي (١) وهي ادوات تعثر في الصحراء الخمسة الممتدة بين سورية وعربة ، على حدّ ما تشاهد في ديار مصر وسورية وربوع الصمالي

من اين جاء الانسان تلك البلاد ؟ — فلنتدبر المواطن ليصح حكمنا فيه

٦ اول امريء سكن بلاد العرب

هل هبط عربة قادماً اليها من الشمال ؟ ام طرأ عليها من افريقية ام نشأ في قلبها ؟ قال العلامة جاك دي مرغان مجيباً عن هذا السؤال (٢)

« ان فرضنا ان الانسان الاول الذي هبط عربة جاءها من الشمال السيبري ، تعذر علينا التمسك بهذا الفرض والسبب هو لانهُ لم تكن صلة ممكنة تصل سيبرية بآسية المتقدمة منذ الازمان الكثيرة الحيازة (البليوسين) الى نهاية حقبة المثالج . فلو كان اجداد الساميين انحدروا من الشمال لكانوا في حالة البشر الثالثيين ، ولو وجد هؤلاء البشر ، لما نقلوا الى مقامهم الجديد ذرء اللسان السامي ، على ما يحكم به الطبع عفواً . فوجب

(١) العهد الشلي وبالفرنسية Chelléen نسبة الى شل Chelles من اعمال سين ومارن في فرنسة حيث رئيت — على ما يظن — بقايا صادقة لا ريب فيها تدل على انها اعمال من صناعة البشر وهي غير مختلطة بشيء آخر من مرتبطة احسن ارتباط بالحيوانات المخامة ببدء العهد الرابعي من طبقات الارض . وهذه البقايا هي ظران او صوان نحتت نحتاً على مثال شظايا عظمية متطايرة وقد زلت من اطرافها الحادة ومن رؤوسها

وضعت لفظة « الشلي » بدلاً من كلمة « آشولي » acheuléen التي كان قد اطلقها العلماء في بادىء الامر على هذه الحقبة لان آثار الانسان التي وجدت في سنت آشول (في صوم من اعمال فرنسة) — واليها نسبت الآشولي — كانت بعد تاريخ البقايا التي عثروا عليها في شل

والخلاصة ان الطور الشلي في علم الانسان يفيدنا اليوم عن بدء الحقبة الرابعية في علم الطبقات (الجيولوجية) كما ان الآشولي ينبئنا عن ختام الطور الشلي وكادهما يسبق مباشرة الطور السفري الذي كثيراً ما يصعب تمييزه عن الطورين السابقين ذكرهما

(٢) J. de Morgan. — Revue de Synthèse Historique T. XXXIV. No. 101 — 102

أن لا يكونوا — وهم في جاري الزمن الكثير الحدائة — الا خلائق في نهاية الاولية محاورات في ظاهرها الحيوانات العجم . هذا فضلاً عن انهُ لم يكن فيهم دافع يدفعهم الى الظعن الى عربة دون الاقامة في تلال اجدادهم

« في مجرى تلك الازمنة المتمادية بشاطيء كانت جبال البنطس وجبال قاف (قوقاس) ونجدا ارمينية وايران خالية من كل انيس الى ذلك العهد . تراكم عليها من الثلوج ، فلم يسكنها الناس الا بعد ان مضت عليها ادهار وكان من اللأواء مجاوزتها

« ولعل قائلاً يقول : ان الناس المحدرون اليها من هضاب آسية المتقدمة الشمالية ؟ ان هذا الامر لا يصدق الا قليلاً ، لانهم لو فعلوا ذلك لاضطروا الى قطع ارض الفراتين ، ويومئذٍ لم تجز تلك الرقعة ، ولاسيما كلدية ، اذ ليس ما يدلنا على عبورهم تلك الاصقاع . وعليهِ كان هذا الرأي خاطراً من الخواطر لا اساس لهُ

« وان قال قائل : ان أول سكان عربة جاؤوها من لوبية . قلنا هذا الرأي لا يرضينا ، لانهُ لا يرى في قسم افريقية المقابل لعربة ادنى امارة تشير الى عبور الساميين . فالقبائل الرابية كانت مخيمة في الارجاء التي يرى فيها الى هذا الوقت اثارها من القدموس اي الحجارة القليلة (الباليوليثية) وكانت الاهالي متفرقة بلا ادنى ريب وكان لكل من القبائل ما يرزقها في ارضها بكل سهولة ويُسر . زد على ذلك نشوء المثالج على جبال الحبشة كان قليل الشأن ، فلم يكن ثم سوغ ليضطروا الى مغادرة ديارهم والتطويح في المجاهل . والذي نراهُ وقوع ما هو بعكس هذه القضية ، فلقد ذكر لنا التاريخ المدوَّن ان الساميين شطوا عن مرابعهم ارتياداً لمنازل يستعمرونها وهي واقعة في ما وراء البحر الاحمر في متنجم غير سامي . واذا اردت مزيد تحقيق عارض اللغات اللوبية باللغات السامية فانك لا ترى فيها ما يمتّ بعضها الى بعض بنسب ما . كما لا ترى فيها ما يصل بعضها ببعض في قديم الزمن ولو عكست الامر لكان الخلاف هو الاقرب الى الواقع

« فلم يبقَ معنا الا القول بان عربة هي الموطن الحقيقي للساميين وذلك « بعد العهد الاحدث » المعروف عند الافرنج باسم [illegible] في ذلك الربع نشأت القبائل ونمت ونشت من غير ان تؤثر عليها طارئة من الطوارئ الغريبة عن اصلهم

« ويتكهن بعض علماء المصر يأت ان ديار مصر سكنها اقوام جاؤوها من بلاد فنط . وبلاد فنط هذه في نظرهم في عربة ، ولم يكونوا من جذم سامية . ولا اظن ان هذا الرأي قائم على سند مكين ، لاسباب منها : ان اول من دفع بلاد مصر الى الحضارة كان

من الآسوريين (لعلهم من الشعوبيين الاكديين) وكان الساميون عهدئذٍ قد تجروا في عمرانهم قبل ان يهبوا في وادي النيل . ومن تلك الادلة ايضاً ان صناعة الحجر في ديار الفراعنة ذات تشابه وتناسب بحيث اذا دخل عليها عناصر افريقية او آسوية غير سامية فلا يكون ذلك الاَّ في عهد مجاور لقدوم الشعوبيين الاكديين

« وعندي ان الديار المجاورة لوادي النيل بقيت زمناً مديداً خالية من السكان بعد الفيضانات الرابعية وقد بلغت تلك الفيضانات درجة حتى انهُ لم يستطع احد ان يعيش بعدها ، لانك اذا زرت اليوم اعلى ضهور جبالها رأيت عليها غرْيلاً وليس في ربوع مصر كلها معقل يلجأ اليهِ الانسان هرباً من الغرق بخلاف ما وقع على جبال پريغور Périgord والپرانس Pyrénées وپروڤنسة Provence وزد على ما ذكرهُ من الادلة ان موقع الفُنْط Pount لم يعرف الى اليوم على التحقيق ، كما انهُ من الجُرْأة ان يوضع في جزيرة العرب اناس غير ساميين ، حين ليس لنا من البراهين لمناصرة هذا الرأي القائل الاَّ اشارات مبهمة وردت في نصوص ربما لم تفسر تفسيراً حسناً (ولا اقول لم تفسر حسناً من باب القطع) بما يتعلق ببلاد فُنْط

« فيؤخذ من هذه الاعتبارات انهُ لم يعش بعد الفيضانات التي اهلكت سكان مصر والصعال وسقي الفراتين في انحائهِ الشمالية والوسطى الاَّ جماعات قليلة العدد او كثيرتهُ لجأت الى اودية شواطئ ديار الغرب فتناسل القوم وعادت البلاد آهلة . ولا جرم ان البلاد المجاورة للبحر الاحمر وجبال حضرموت كان لها ما وقع للهضاب الاوربية ، ولا أشك في ان يكشف يوماً في مغاور البلاد المذكورة آثار مصنوعة في عربة على مثال ما وُجد منها في غربي اوربا وتونس والجزائر من عهد الحجر الاول او القدموس [1] (العهد الارخيوليطي) ، اه كلام الجغالة الفرنسي فهر الجابري

(١) القدموس في العربية : القديم من كل شيء . واظن ان الوضع الاصلي كان للقديم من الحجر ثم توسعوا في معناه . والكلمة منحوتة من « قديم » و « لطاس » بتقديم حجر . والحجر اللطاس (بتشديد الطاء) هو ما تكسر به الحجارة . ولطاس مشابه لليونانية ليطوس اي حجر . فيكون معنى قدموس الحجر القديم . وكان من سبب اتخاذ الانسان الحجر هو كسر حجر آخر دونه صلابة وهذا معنى اللطاس في العربية

وقدموس موافق لقول الافرنج « ارخيوليطي Archéolitique » وهي مركبة من ارخايوس اي قديم وليطوس اي حجر . ومحصله الحجر القديم كما هو معنى القدموس . وللافرنج لفظة اخرى ترادف المذكورة وهي « paléolithique پاليوليطي » المنحوتة من اليونانية پاليوس اي قديم وليطوس اي حجر . ومحصل معناها يؤدي ما ادته من المعنى كلمة « ارخيوليطي » اليونانية وقدموس العربية والمراد بذلك عند الناطقين (بالجيولوجيين) اقدم عصر من اعصار الحجر

آثار البتراء

مدينة منحوتة في الصخر

كانت البتراء الى عهد قريب مدينة مطوية في صدر البيداء لصعوبة الوصول اليها. اما الآن فقد صار في مستطاع السائح ان يصل اليها بالسكة الحديدية و بسيارة فورد. يسافر من القدس الى نهر الاردن بالسيارة ثم يجتازه على جسر (كبري) يدعى جسر اللنبي الى عمان عاصمة امارة شرق الاردن. ومنها يسافر بسكة الحديد الى معان فيصلها في ثماني ساعات الى عشرة. ومن معان يمتطي جملاً او حصاناً الى البتراء فيصلها في نحو ٦ ساعات. وقد زارها حديثاً المستر شيستون عضو الجمعية الملكية الجغرافية ببلاد الانكليز فكتب عنها فصلاً شائقاً في مجلة الدسكتري قاعدنا بعض ما كتبناه عنها في المقتطف منذ ٣٠ سنة وشفعناه بمقتطفات من مقالته في وصف اعظم آثارها ليرى ابناء الشرق ان اطراف بلادهم المحسوبة الآن قفاراً ومفاوز كانت غاصة بالسكان وكان فيها مدن ضخمة تردّ غارات اليونان والرومان وانما صلحت لهُ منذ مئات الاعوام تصلح لهُ الآن اذا بذلت المعة في اعادة العمران اليها. قلنا:

«على منتصف المسافة بين ايلة وبحيرة لوط قبر هرون وعين موسى حيث يقال ان هرون اخا موسى مات ودُفن وان موسى ضرب الصخرة فشقها وخرج الماء منها لسقيا بني اسرائيل. وهناك منفرج بين جبال الشراة فيه آثار مدينة قديمة كانت محط القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وهي التي سميت في التوراة سالع وسمّاها اليونان والرومان بترا ولعلها البتراء الواردة في ما ذكرهُ ابن هشام عن غزوة النبي لبني لحيان حيث قال انهُ سلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه الى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء. وظن بعضهم انها هي الرقيم التي ذكرها ابو الفداء حيث قال: ومن الاماكن المشهورة بالشام الرقيم وهو بُليدة صغيرة بقرب البلقاء وبيوتها كلها منحوتة من الصخر كأنها حجر واحد». ولكن ذلك بعيد ليعد البلقاء عن جبال الشراة

«ومعنى البتراء باليونانية الصخر او الجندل وهذا معنى سالع اسمها بالعبرانية. ومعنى سالع بالعربية الشق في الجبال. ومن الغريب ان منفرج الجبل الذي يوصل به الى اطلالها يسمّى الآن شقّاً كأنهُ مرادف لاسمها العبراني

« وكانت البتراء للادوميين ثم تغلَّب عليها النبط جاؤوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفية والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قوَّاد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمهُ اثينيوس فهاجم بتراء سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجالها غائبون عنها في سرق عمومية وغنم منها غنيمة وافرة من المر واللبان وخمس مائة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حلَّ بهم اقتفى اثرهُ ثمانية آلاف منهم وبيَّتوهُ وقتلوا اكثر رجالهِ . والحملة الثانية بقيادة ابنهِ ديمتريوس وبلغ خبرهُ النبط فاستعدوا عليهِ ولم ينلهم منهُ مكروه

« وذكر سترابون المؤرخُ النبطَ في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بتراء وقد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساتينها . واكثر الارض حولها قفار ولاسيما في ما يلي اليهودية . وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاختطوا طريقاً لها من ايلة إلى بتراء فدمشق وطريقاً اخرى من بتراء الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام

« واتى الفيلسوف اثيناودورس صديق سترابون الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

« وذكرها بليني في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بتراء في وادٍ اقل من ميلين اتساعاً تحيط بها جبال لا تُسلك وفيها نهر جارٍ

« وقال يوسيفوس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عُبَيْد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام لهُ كيناً في وعر عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجالهُ ولم ينج منهُ الاَّ بشق الانفس

« ثم ذكر كيفية استيلاء ملوك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجهه اولاً الى حيث تمكنهُ البلاد من مناجزته ثم إنقلب عليهِ بغتةً بعشرة آلاف فارس من فرسانهِ فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لمّ شعثهم وتشديد عزائمهم فاصابتهُ ضربة قضت عليهِ وتفرق شمل رجالهِ بعدهُ وانهزم الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهالي دمشق يكرهون بطليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوهُ عليهم

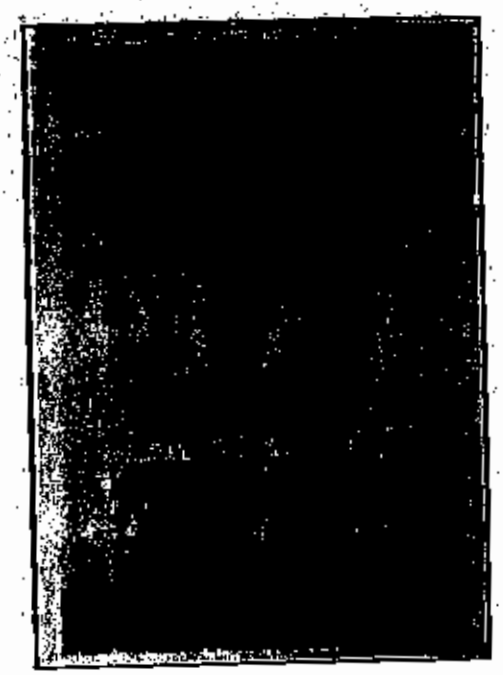

الفراغ المعماري كما تراهُ في مقبرة الامير ميخو باسوان
والعمد اسطوانية الشكل
مقتطف مارس ١٩٢٦
انظر الصفحة ٣٠٢

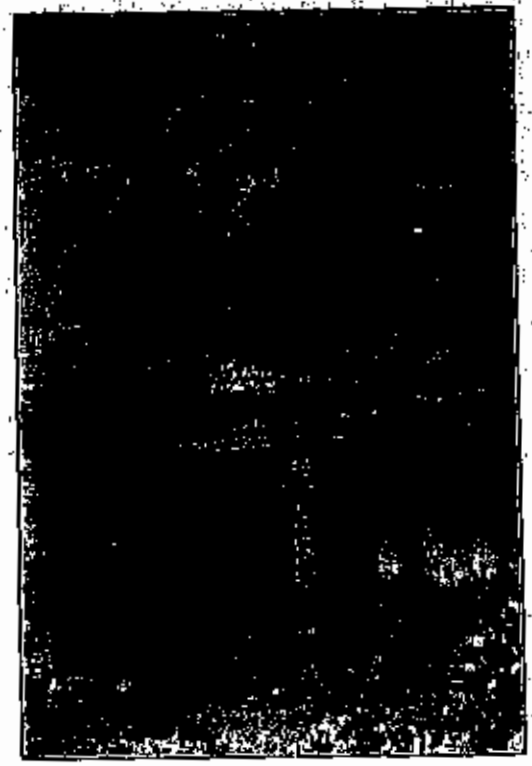

خزنة فرعون في البتراء
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٢٩٩

« وخضعت بتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها باسم ادريانس اكراماً لهُ وضربوا نقودهم باسمه. ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس المجمع السلوقي سنة ٣٥٩ . ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٥٣٦ ولم يبق منها الآن الاَّ شيء من مدافنها وهيا كلها وكلها منحوتة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعهُ الناس »

وقال المستر شبستون: آثار البتراء فريدة بين عجائب الشرق وبقايا الحضارات البائدة. تجد في خرائب بعلبك وتدمر اتقاناً من الآثار الفخمة ولكنك تجد في البتراء « الساكنة في محاجيء الصخر » على ما جاء في سفر النبي عوبديا هياكل ومسارح ومقابر ومنشآت لم تمتلها يد الفناء باذى وهي لا تزال حافظة للرونق الذي كانت عليهِ يوم نحتت من الصخر

هذه الآثار تدهش السائح بتعدد ما يراهُ فيها من اساليب البناء عند القدماء فترى في الآثار القديمة منها مزيجاً من الفن البتراوي والفن المصري واما المنشآت التي تتلوها في القدم فتبدو آثار للفن اليوناني والفن الروماني

المرتق من معان الى البتراء شاق فيمر السائح تحت جبل هرون الذي سمي كذلك لانَّ هرون مات هناك حسب خرافات البدو وقبل الوصول الى الآثار يمرُّ في مضيق يدعى الشق يختلف ارتفاع جانبيهِ من ٢٠٠ قدم الى ٥٠٠ قدم ثم يدخل وادياً هو موقع مدينة بتراء فتحييهِ من كل جانب منشآت عظيمة معمدة منحوتة في الصخر

هذا الوادي طولهُ نحو ثلاثة ارباع الميل وعرضهُ يختلف من ٥٠٠ ذراع في الطرف الواحد الى ٢٥٠ ذراعاً في الآخر . والجبال المحيطة بهِ تجعلهُ كمش النسر في شاهق التقسم متبع الجوانب لا تطالهُ غارات الاعداء. هذه المناعة وكون المدينة التي نشأت هناك من اكبر محطات القوافل السائرة بين البحر الاحمر وشمال سورية جعلاها من اعظم المدن في ذلك العهد

تجد عند مدخل الوادي ما سمي خزنة فرعون وهي من عجائب المشرق ومن احدث منشآت البتراء اذ يقال ان الفضل في انشائها يعود الى الامبراطور هدريانوس الذي زار هذه المدينة سنة ١٣١ ب . م وانشأ فيها هيكلاً للآلهة ازيس . والصخر الذي نحتت منهُ وردي اللون وهي لا تزال سليمة قائمة بجدرانها واعمدتها ونقوشها . تتألف واجهتها من صفين من الاعمدة احدهما فوق الاخر في كل صف منهما ستة اعمدة بينها عمادع تحوي تماثيل منحوتة من الصخر ايضاً. والعمودان اللذان يتوسطان الصف العالي

مثال مصغر لهيكل في اعلاهُ قارورة يقول العرب انها تحوي كنوز فرعون . وارتفاع خزنة فرعون هذه سبعون قدماً ولها باب مزخرف بالنقوش يدخل منهُ الى غرفة مساحتها نحو مائة قدم مربعة خالية من الزخارف . وهناك ثلاث غرف اخرى اصغر منها

ويرى السائح على الجانب الايسر من الوادي مسرحٌ مدرجٌ في نصف دائرة منحوتة درجاتهُ في الصخر يكفي لجلوس ثلاثة آلاف وعلى مقربة منهُ كثير من الاعمدة والمدافن التي تختلف في حجمها كما تختلف في اساليبها الفنية

واكبر خرائب البتراء اذا صحَّ ان ندعوها خرائب هيكل يعرف « بالدير » وهو يشبهُ خزنة فرعون في هندستهِ علوهُ نحو ١٥٠ قدماً وطولهُ كذلك تقريباً ويؤلف من صفين من الاعمدة احدهما فوق الآخر

وفي جانب الوادي الايمن او الغربي آثار قصر يدعى قصر فرعون ولا ريب في انهُ كان هيكلاً لاننا رأينا فيهِ مذبحاً ووراءهُ سلم منحوتة في الصخر تؤدي الى قمة الكمة حيث مكان الذبائح فترى مذابح وبركة للماء وفناءً فسيحاً كلها نحوت في الصخر

اما المدافن في البتراء فلا يقل عددها عن ٨٠٠ مدفن . وقد اكتشف السر الكسندر كندي مدافن جديدة لم تكن معروفة قبلاً وعندي انهُ اذا جرى البحث في هذه البقعة على اسلوب علمي دقيق وُجدت مدافن اخرى . بعض هذه المدافن نحتهُ الانباط والبعض الآخر نحتهُ اليونان والرومان ومن اهمها مدفن يدعى « مدفن القارورة » وهو عشر غرف كلها فارغة الآن ومساحة اكبرها ٦٠ قدماً مربعة . وهناك مدفن يعرف بمدفن الحاكم دُفن فيهِ سكستس فلورنتينُس احد حكام البتراء من الرومان . وهو اشبه بهيكل منهُ بمدفن فيهِ اعمدة مستديرة واخرى مربعة وتماثيل ويطوهُ نسر باسط جناحيهِ

وقد كان يجري في هذا الوادي نهر ولكنهُ غاض الآن ولا تزال آثار الجسور (الكباري) التي كانت تصل بين ضفتيهِ ماثلة للعيان . وهناك آثار نفق نُحت في الصخر عند مدخل الشق كان سكان البتراء يجرون فيهِ مياه النهر حين فيضانهِ . وقد كان طول هذا النفق ٣٣٠ قدماً وعلوهُ ١٩ قدماً ونصف قدم وعرضهُ ١٦ قدماً ونصف قدم . كذلك يستطيع الباحث ان يرى آثار قناطر المياه التي كانت تُجرُّ بها مياه الشرب وقد كان لهذه القناطر مدخل مزخرف كقوس نصر نقشت عليهِ تماثيل وصور تجعلهُ من ابدع الآثار واتقنها

الفنون الجميلة والبناء

عند قدماء المصريين

١

قبل عهد الاسر الفرعونية — (اي قبل سنة ٣٤٠٠ قبل الميلاد) : —

بنى اهالي ذلك العصر منازلهم بسعف النخيل المخلوط بالطين والراجح انهم استعملوا اللبن للفرش نفسه . اما اثاث تلك المباني فكان بسيطاً سليم الذوق ومنهُ الملاعق العاجية ذوات الايادي المزخرفة ورغم جهلهم آلة الخراف الحديثة زانوا اوانيهم الخزفية بالرسوم الهندسية البديعة وصور الحيوانات والسفن والناس والطيور والاسماك والاشجار . وكانوا يطلون خزفهم بمادة زجاجية مع انهم لم يصنعوا الآنية الزجاجية مطلقاً. وقد عثر على تماثيل كثيرة خشبية وعاجية وحجرية من تلك العصور غير متقنة الصنع تمثل سيداً فن الحفر الذي بلغ شأواً بعيداً في مبدأ حكم الاسر التاريخية . وبمرور الزمن ابدلت الصناعة الخزفية بالحجرية فاخرج الحفارون اواني حجرية بديعة . وينسب الى هذا العصر اقدم الآثار الحجرية المصنوعة من الصوان

عهد الاسر الاولى — (من سنة ٣٤٠٠ الى سنة ٢٦٨٠ قبل الميلاد) : —

ارتقى فن الحفر والنقش كثيراً في هذا العصر كما يستدل من الالواح الاردوازية التي وجدت في جهة مدينة الكاب حيث ثبتت مهارة الاقدمين في الرسوم البارزة

ولما حكمت العائلة الثالثة القطر بدأ الحفارون يتقيدون تدريجاً بنظام واحد اضطر في آخر الامر ان يراعيهُ كل حفار ولا يحيد عنهُ . والفضل في اكتشاف اخبار تلك الاسر يرجع الى حفائر الاستاذ بتري في جهة العرابة

عهد الدولة القديمة — (التي حكمت القطر المصري من سنة ٢٦٨٠ الى سنة ٢٤٧٥ قبل الميلاد) : —

بلغت الفنون الجميلة في هذا العهد مبلغاً عظيماً وهي تمتاز عن امثالها في العهد اليوناني بمطابقتها للواقع واقتصارها على الادوات المنزلية والاحوال المعاشية . من ذلك كثرة رسم زهرة اللوطس (النيلوفر) على ايدي الملاعق وكؤوس الخمر وصنع ارجل السرر

والمضاجع في شكل سيقان الثيران وتزيين السقف بالنجوم تشبيهاً لها بالسماء واستعمال العمد التي على شكل جذوع النخيل وسوق البردي وحزم البشنين وزخرفة اراضي القصور بمناظر المستنقعات الخاوية للثيران وانواع الاسماك والطيور

وعليه فالفنون الجميلة وقفت مقتصرة على الاشياء النافعة لان المصري لم يهتم بالفن الجميل او الشكل من اجل الجمال والرونق فقط وهذا الامر يشاهد ايضاً في تماثيل تلك العصور فانها لم تصنع لعرضها في الاسواق بل لنصبها في القبور لما لها من الفائدة في العالم الآخر وهذا من اهم الاسباب التي حدت الى تقدم فن الحفر في تلك العصور . وتمتاز رسوم المعابد والنقوش التي على جدران هياكل المملكة القديمة ببروزها وهو امر يقتضي مهارة عظيمة في تقدير درجة البروز وتناسب الحجوم — وهما امران تحتم مراعاتهما في رسم الاشياء الكروية او البارزة فوق مسطح مستوٍ . وبالرغم من تقدم الرسم عند المصريين ومعرفتهم خطأهم فيه فانهم لم يغيروا النهج الذي جرى عليه اجدادهم وهو تلخيص في رسم اوجه الاشخاص واكتافهم كما تشاهد من الامام اما باقي الجسد فيرسم كما يرى من الجانب . وبالرغم من هذا الخطإ فان الرسوم جاءت غاية في الجمال

كان الحفار المصري حينئذٍ الوحيد في تمثيل جسم الانسان على الاحجار ولما كان اهل زمنه قليلي الملابس يرع هو بطبيعة الحال في تمثيل العراة . وما يشاهد من الاتقان في ظاهر تماثيل المملكة القديمة سببه انها لم تصنع لتمثل امراً خاصاً . لذلك لا يرى الانسان عليها ملامح الانفعالات النفسية التي تختلج في نفوس اصحابها

ولم يعثر حتى الآن على اثر منازل كبيرة او صغيرة من تلك العصور سوى المصاطب الحجرية الضخمة . واهم ما بلغهُ فن البناء في ذلك الوقت اقامة المصاطب والاهرام والمعابد

اما هندسة المعابد فتتلخص في تخاطيط عمودية وأفقية متقاطعة غاية في البساطة

ومع ان بناء القبو كان معروفاً الاَّ انهُ لم يستعمل كثيراً . اما السقف فكانت تقام على عمد من الحجر انبت بعضها على الشكل البدائي الشكل والبعض الآخر اسطوانيهُ . وتعتبر هذه العمد اقدم العمد التي من نوعها في فن البناء . وارتقت صناعة العمد في عهد الاسرة الخامسة فصنع منها كثير على هيئة النخيل او سوق البردي مع تناسب تام الاجزاء . ولم يتوصل اهل بابل الى استعمال العمد رغم تقدمهم الكثير في تشييد المباني الضخمة

وهكذا يعود الى مصر فخر السبق في حلّ لغز تشييد الفراغ المعماري كما ترى في شكل ١

افي اضربت عن الاكل تُطعَم غصباً

بيشون افريقية تبتلع طائراً كبيراً
مبتدئة من رأسه

بيشون هندية تضغط على فريستها
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٣٠٥

الدولة المتوسطة — ويبدأ تاريخها من سنة ٢١٦٠ وينتهي في سنة ١٧٨٨ قبل الميلاد : —

لم يحفظ لنا التاريخ من آثار الدولة المتوسطة الاَّ القليل . لكن يستدل من مقابر ذلك العصر ان صناعة البناء حينئذٍ بلغت كما كانت في المملكة القديمة . ويلحظ ان المعبد المدرّج الذي شادهُ احد ملوك العائلة الحادية عشرة بالدير البحري في ناحية الاقصر اتخذهُ احد كبار مهندسي البناء في عهد الامبراطورية انموذجاً للباني واستنتج من البقية الباقية التي وجدها الاستاذ بتري مكان قصر الفعز (اللابرنث) ومن وصف سترابون لذلك القصر ان ذلك البناء كان غاية في العظمة والابهة بصرف النظر عن حجمهِ وضخامتهِ اما بناء المنازل فانعدمت آثارهُ كلية . وقد عثر الاستاذ بتري على خريطة لمدينة اللاهون بالقرب من هرم سيزستريس الثاني تظهر رسم احياء العمال واتصالها بعضها ببعض وتكديسها بعضها فوق بعض . والحق يقال اننا لم نهتد للآن الى منازل سراة القوم لذلك تجد معلوماتنا عن عمارتها نزرة

ولقدمت الفنون الجميلة في هذا العصر عما كانت عليهِ ايام المملكة القديمة . فبلغ حفر الاحجار درجة كبيرة من الاتقان وضخامة الحجم . من ذلك تمثالا اُضجعت الثالث المنصوبان على بحيرة موريس بالفيوم فان ارتفاع كلٍّ منهما يبلغ احد عشر متراً . ثم اخذت التماثيل تكثر في كل انحاء البلاد وهي تشهد للمصريين بالمهارة في فن الميكانيكا والتصوير . ويلاحظ من مقارنة تماثيل العائلة الثانية عشرة بتماثيل المملكة القديمة ان الاولى أقل مشابهة للحقيقة واضعف تأثيراً في النفوس لان المثّال (النقاش) اصبح مضطراً لمراعاة بعض القواعد القديمة دون ان يحيد عنها . لذلك اخذ الملوك والامراء يرجعون في صناعة تماثيلهم الى الاحوال والاشكال القديمة فتأخر بذلك فن الحفر من حيث الزهو والمطابقة للواقع عما كانت عليهِ ايام المملكة القديمة . لكن عثر بعض الباحثين على تماثيل او اجزاء تماثيل لا تظهر عليها اثار التكلف في الصنع وتجسم فيها معالم الحياة ونقاسيم الوجه وتفاصيل العضلات وتؤخذ هذه التماثيل برهاناً ساطعاً على مهارة صناع تلك العصور وطول صبرهم . وبديهي انهُ كما لانت مادة الحجر الذي يصنع منهُ التمثال زادت مقدرة المثّال على اظهار براعتهِ في النقش والتمثيل . خذ مثلاً تمثال الامير (اوب رع) الذي في المتحف المصري بالقاهرة ففيهِ يتجسم جمال الحيّا ولطافة معالم الجسم

الدكتور حسن كمال

الرحالة دوتي

Charles Montagu Doughty

توفي الرحالة الانكليزي تشارلس منتاغيو دوتي عن ٨٢ سنة قضاها في البحث والاستكشاف والتأليف . وكان رحلة بالغريث في بلاد العرب وقعت من نفسه موقعاً عظيماً فشد مطاياه اليها سنة ١٨٧٦ . ترك دمشق الشام مع قافلة من قوافل الحج وعرّج على الحجر وهي محط صحي للحجاج وغايته البحث في المدائن المنحوتة في الصخور في مدائن صالح والعلا . وبعد ما صوّر المدائن ونقل الكتابات المنقوشة عليها ارسل نسخاً منها الى النيلسوف رنان بباريس وعزم ان يضرب في الصحراء . وكان شيخ قبيلة الفقرا قد حماه فتمكن من الجولان في البلاد الواقعة بين الحجاز ونجد وزار تيماء حيث عثر على حجر نقشت عليه كتابات قلم بخية ، اخذهُ الرحالة ومر بها بعد الى باريس وهو في متحف اللوفر الآن

وفي الصيف التالي ذهب الى حايل ثمَّ الى خيبر حيث وجد الحاكم ورجالهُ السود من المتعصبين فاساؤوا معاملتهُ وهددوهُ بالقتل . فعاد الى حايل واتفق ان عودتهُ اليها كانت في غياب اميرها فاكرمهُ الحاكم بمغادرتها على انهُ وجد من يحميهِ في منازل عنزه حيث قضى شهوراً وبعد ما لقي ضروباً من المخاطر والمصاعب وصل الى جدة

وبعد عودتهِ الى بلاد الانكليز نشر وصف رحلتهِ في كتاب سماهُ Arabia Deserta اي صحراء بلاد العرب في مجلدين كبيرين يحسب الآن عند اهل العلم من المراجع التي يُرجع اليها في درس جغرافية بلاد العرب واخلاق سكانها . طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٨ فلم يسترعِ انتباه العلماء وكان ذكرهُ اخذ يشيع بين اصحاب الاسفار والرحلات ومحبي الادب فنفدت نسخ الطبعة الاولى فاعيد طبعهُ سنة ١٩٢١ وجعل ثمن المجلدين نحو ٩ جنيهات ونصف جنيه . ولما شاع اسم دوتي بين رجال الرحلات منحتهُ الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩١٢ وسام ذهبها المعتاد . وقد كتب كتباً اخرى ولكن شهرتهُ قامت على كتابهِ هذا عن بلاد العرب . وقضى الشطر الاخير من حياتهِ في نظم الشعر والروايات التمثيلية الشعرية منها « الفجر في بريطانيا » شعر من نوع الابيك في ٦ مجلدات طبع سنة ١٩٠٦ و« الفيوم » طبع سنة ١٩١٢ و« الجبابرة » طبع سنة ١٩١٦ و« منسول او لغز العالم » طبع سنة ١٩٢٠

طبائع الافاعي الكبيرة

وبعض الاوهام الشائعة عنها (١)

الشائع عند العامة ان كل افعى كبيرة من نوع البواء والحقيقة انه وجود البواء مقتصر على مناطق امريكا الاستوائية . وهي كثيراً ما تكون اصغر جداً من الافاعي التي توجد في اسيا وافريقية ويطلق عليها اسم البيثون . والبواء يندر ان يزيد طولها على عشرين قدماً وفي الغالب تكون اقل من ١٥ قدماً

وتعرف اكبر افاعي البواء بالانكوندا وهي تستطيع ان تعيش في الاشجار وماء النهر على السواء واكبر مثال عرفهُ العلماء لهذا النوع جلد واحدة منها محفوظ في المتحف البريطاني بلندن طولهُ ٢٩ قدماً وقد ذكر بعض اهل الاسفار في كتاباتهم انهم شاهدوا افاعي من هذا النوع طول الواحدة منها ٣٠ قدماً . والراجح ان متوسط طول هذا النوع الخاص من البواء ٢٠ قدماً

والبواء تختلف اختلافاً كبيراً عن افاعي افريقية الضخمة طولاً وشكلاً وتركيباً . فاكبر الافاعي التي درس العلماء طبائعها واحدة تعرف بالبيثون وهي مرقطة ترقيطاً يشبهُ الشبكة ويطلق عليها ايضاً اسم الافعى الملكية لكبر حجمها وافعى قوس قزح لما يرى على قشورها من مختلف الالوان . وقد بلغ طول الواحدة منها ما يزيد على ثلاثين قدماً ولا يستغرب وجود افاعٍ منها طولها بين ٢٥ قدماً و٢٩ قدماً وهي من اجمل الافاعي الكبيرة شكلاً ولوناً وتوجد في سيام وسومطرى وبرما وبورنيو وجزائر الفيلبين وشبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية

هذه الافاعي الضخمة كشكل الافاعي تسلخ جلدها في اوقات معينة و يتفاوت الزمن بين سلخة واخرى يتفاوت عمر الافعى وصحتها وحرارة المكان الذي هي فيه وهل هي سريعة النمو او بطيئتهُ وهل تعيش عيشتها الطبيعية او هي اسيرة في قفص

فاذا كانت الافعى صغيرة السن سريعة النمو سلخت جلدها مراراً اكثر مما تسلخهُ افعى طاعنة في السن بطيئة النمو . والغالب ان الافاعي التي تسوء صحتها تسلخ جلدها اكثر مما تسلخهُ الافاعي التي تتمتع بصحة جيدة . والافاعي التي تحفظ في اماكن دافئة تسلخهُ اكثر من التي تحفظ في اماكن باردة

(١) للاستاذ هنري شيك في مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية

واذا كانت الافاعي مطلقة الحرية تعيش عيشتها الطبيعية سلخت جلدها كاملاً وأما اذا كانت اسيرة في قفص فالغالب انه يُسلخ جلدها قطعاً قطعاً وفي كثير من الاحيان تحتاج في سلخه الى مساعدة من يعهد اليه العناية بها سواء كان ذلك في حديقة حيوانات او شركة غايتها الانتقال من بلد الى الآخر لعرض الحيوانات . وقد حاولت ان اسلخ جلداً كاملاً من افعى اسيرة من نوع البيثون فلم افلح انما افلحت في سلخ أفعى هندية اسيرة بعد ما وُضعت في ماء فاتر نحو ١٢ ساعة ثم امسك بها خمسة رجال تولى احدهم سلخ جلدها فقضى اربع ساعات قبل انجاز عمله . وهذا الجلد ليس الجلد الحقيقي بل هو الطبقة السطحية من البشرة . واما الجلد الحقيقي الذي تصنع منه احزمة السيدات والمحافظ التي يحملنها فلا يستطاع الحصول عليه الاَّ بعد موت الافعى

من المعتقدات الشائعة انهُ يجب حفظ الافاعي الاسيرة على الجليد . والحقيقة على الضد من ذلك اذ يجب حفظها في اماكن دافئة . وهذا يصح بنوع خاص على الافاعي الاستوائية . فاذا وضعت الافاعي الاستوائية في اماكن حرارتها اقل من ٧٠ درجة بميزان فارنهيت اي نحو ٢١ درجة بميزان سنتغراد تعسّر عليها هضم طعامها فيبقى في معدتها و يختمر فيها. وقد رأيت مرة افعى من الافاعي الاسيوية الكبيرة منتفخة ولما بحثتُ عن سبب الانتفاخ وجدتهُ ناجماً عن برد الافعى فلم تستطع ان تهضم طعامها . وكثيرون من المشتغلين بعرض الحيوانات يستعملون مصابيح البترول لتدفئة اقفاص الافاعي

وليس في مقدرة انسان ما سواء كان رجلاً او امرأة ما يمكّنهُ من التأثير في الافاعي فيجعلها تنقاد لهُ صاغرة. فلست تجد افعى لها من العقل والادراك ما يمكّنها من التمييز بين شخص وآخر. والعامل الوحيد الذي يمكن بعض الناس من التسلط على الافاعي قائم في معاملتها بالحسنى وتعويدها ذلك. كذلك لا تستطيع افعى من الافاعي ان تؤثر في الطيور او غيرها من الحيوانات . فقد قيل ان اكثر المخلوقات ومنها الانسان يولد وفيه خوف طبيعي من الافاعي الاَّ ان التجارب اثبتت فساد هذا القول والطيور ترتع بالقرب منها امام الحيات لا خوفاً منها بل لتصرفها عن عشاشها وصغارها

ومن الاوهام الشائعة ان لسان الافعى المشقوق يستعمل للسع وهو خطأ لان لسان الحية لا يضرُّ احداً بوجه من الوجوه وتراهُ في افواه الافاعي السامة وغير السامة على السواء . وكل ما فيه ان الافعى تستعملهُ للذوق كما يستعمل الانسان لسانهُ . والراجح ان حاسة الذوق فيه قوية حتى لتستطيع الافعى ان تشمّ به بعض الروائح القوية في الهواء

وليست الافاعي الافريقية والاسيوية المعروفة بالبيثون ولا البوّاء سامة . فهي قادرة على ان تعضّ حتى لتمزق لحمَ من تعضهُ ولكنها لا تسمّهُ . والجرح الذي يحدثه عضتها يندمل سريعاً في الغالب لان اسنانها ملساء لا يعلق بها شيء من فضلات الطعام التي تدخل الجروح وتخمر فتسبب التهابًا فيها وتسمماً في الدم . وهذه الافاعي الكبيرة تستعمل اسنانها لتمسك فريستها بها لا لتمضغها كما يُظن ولذلك تراها ملساء بسيطة التركيب متجهة رؤوسها الى الخلق ومتى اطبقت فكيها على شيء تعذّر اخراجهُ من غير تمزيقهِ

والغالب ان الافعى من هذه الافاعي تعضُّ فريستها حيث يتفق لها ثم تلتف عليها مرتين او ثلاث مرات وتضغطها حتى تميتها وبعض الافاعي الصغيرة تبتلع فريستها حية ولكن الكبيرة القوية تقتلها اولاً

ويصعب على افعى من هذه الافاعي ولو كان طولها ثلاثين قدماً ان تبتلع فرخة حية . ولذلك تميتها لا لتقلل حجمها كما يعتقد كثيرون بل لان الفريسة الحية تتحرك فيصعب ابتلاعها ومتى اماتت الافعى فريستها بدأت تبلعها مبتدئة من رأسها . وفي بعض الاحيان تشرع احدى الافاعي بابتلاع فريستها من مكان آخر غير الرأس ولكنها لا تسير في عملها طويلاً حتى تجدهُ مستحيلاً اذا لم تكن الفريسة صغيرة الحجم جدًّا

ولا تغطي الافعى فريستها باللعاب قبل ابتلاعها ولكن حالما تدخل الفريسة الفم يسيل فيها سائل يبللها حتى يجعلها سائغة . وتستطيع هذه الافاعي ان تبتلع فريسة قطرها اربعة اضعاف قطر حلقها . وذلك لان مفاصل الفكين مرنة يمكن تمديدها . وقد رأيت مرة فكي من الافاعي الكبيرة ينفصلان احدهما عن الآخر نحو ٩ بوصات

تحكى حكايات كثيرة غريبة عن مقدرة الافاعي على ابتلاع الحيوانات وقتلها بالضغط عليها . ولا شك عندي في ان افعى يختلف طولها بين ٢٥ قدماً وثلاثين قدماً تستطيع ان تميت حيواناً حجمهُ حجم الحصان او الثور فقوة الضغط فيها تفوق التصوّر . وقد حدث لي انهُ لما كنت اطعم حية منها في احد الايام لفّت ذنبها على كاحلي ولما حاولت ان اتملص منها اضطررت ان استعمل يدي الاثنتين وكل قوتي

حدثني احد الجنود الانكليز الذين قضوا زمناً طويلاً في الهند قال انهُ رأى افعى ضخمة تلتف على حصان ولما ضغطت عليه تكسرت عظامهُ ووقع ميتاً في الحال . ولكن ما من افعى تستطيع ان تبتلع حيواناً كبيراً كهذا . على اني لا ارى سبباً يمنع احدى هذه الافاعي من ابتلاع انسان عادي وقد قال لنا الرجل الذي ابتعنا منهُ اكبر الافاعي

التي كنا نعرضها على الناس وطولها يزيد على ٣٢ قدماً ان لدينا صورة لهذه الافعى وهي تبلع ايلاً وزنهُ ٧٦ رطلاً . وقد ابتلعت وهي في ادارتنا خنزيراً وزنهُ ٤٥ رطلاً

والغالب ان الافاعي لا تهاجم الانسان او الحيوانات الثديوية الاَّ اذا دفعت الى ذلك لكنها تهاجم الحيوانات التي يسهل عليها ابتلاعها كالطيور والحيوانات البرونة التي يتراوح وزنها بين ٢٥ رطلاً و٤٠ رطلاً او اقل من ذلك . ومتى قُبض على احدى هذه الافاعي تحارب حرب الابطال للتخلص من الاسر وقد تبطش بكل ما يعترض سبيلها حينئذٍ تفعل ذلك خوفاً من ان تصاب باذى فاذا عرفت ان من يسعى لاسرها لا يريد بها ضرراً استأنست به في الغالب . ولا يخلو الامر من ان بعض الافاعي التي تبقى خبيثة تتحين الفرص للبطش بصاحبها

ومن الاوهام الشائعة ان هذه الافاعي لا تأكل الاَّ فريسةً حيةً وقد يكون ذلك صحيحاً متى كانت في حالتها الطبيعية فلا تأكل الاَّ ما تقتلهُ بنفسها ولكن بعد ما يمضي عليها مدة وهي في الاسر تستأنس بمن يعهد اليهِ في العناية بها وتأكل ما يقدمهُ لها

اما اذا كان ما يقدم لها فيهِ اثر ما للفساد فانها ترفض ان تأكلهُ . وقد رأيت مرة افعى تتقيأ لانها ابتلعت طعاماً طعمهُ فاسد . فحاسة الشم والذوق في الافاعي حادة جداً

ويتألف طعام الافعى الكبيرة في الغالب من الكتاكيت والارانب وتستطيع الواحدة منها ان تأكل ستة او سبعة في طعام واحد ثم تبقى نحو اسبوع من غير ان تطلب طعاماً. ذلك لان هضم الطعام يستغرق هذا الوقت وهي تهضم الطعام كلهُ حتى العظام. واما ريش الطيور وشعر الارانب فلا يهضم. ومتى اكلت الافعى كفايتها وشرعت تهضم طعامها قلّت حركتها . وعلى الضد من ذلك فان حركتها تزداد حينما تجوع فتسير وراءها مرفوع تطلب فريسة تلتهمها . وقد ذُكرت افاعي بقيت من سنة الى سنتين من غير طعام

ويحدث من آن الى آخر ان افعى ترفض ان تأكل . وهذا الرفض لا ينجم عن عزمها على الاضراب لانها لا تنزل الى هذا الحد ولكن اذا سافرت سفراً طويلاً من بلاد الى اخرى كسفرها من الهند الى اميركا فقدت شهيتها . في حالة كهذه تدخل الى معدتها بيضاً مخفوقاً مع اللبن بواسطة انبوب من المطاط . وبعضهم يدخل خنزيراً من خنازير الهند او صوصاً في حلق الافعى وفي القالب تعود شهيتها للطعام بعد ما تضعها على الاكل وتجري بعد ذلك جرياً طبيعياً في طعامها

مجلان

اول من طاف حول الارض

وُلد في البرتغال سنة ١٤٨٠ وكان ابوهُ من اشراف البلاد فنشأ في حاشية الملكة لنور زوجة الملك يوحنا الثاني ملك البرتغال . ثم اتصل بحاشية الملك مانويل خلف الملك يوحنا ولما كان في الرابعة والعشرين من عمرهِ انضمَّ الى المتطوعين الذين سافروا في ركاب اول نائب عن ملك البرتغال الى بلاد الهند . وخاض في الهند معارك كبيرة ابلى فيها بلاءً حسناً وجرح في معركة كنانور وشهد افتتاح مدينة ملقا وسافر شرقاً لاكتشاف جزائر الافاويه فمرَّ من شمال جزيرة جاوى فبينها و بين جزيرة مدورا ثم قطع ارخبيل سليبس حتى وصل الى جزيرة بندا فوجد فيها من الافاويه ما يفوق الوصف فقفل راجعاً الى ملقا . وفي هذه الرحلة شهد امامهُ انباط الاوقيانوس الشرقي الذي دعاهُ بعدئذٍ بالباسفيكي اي الهادئ وهو اسمهُ الى الآن

عاد الى البرتغال سنة ١٥١٢ بعدما نال لقب قبطان جزاءً لهُ على شجاعتهِ ومهارتهِ وفي سنة ١٥١٣ رافق الحملة البرتغالية التي سارت الى شمال افريقية لافتتاح مدينة في المغرب الاقصى فجرح في الحصار ولكن البرتغاليين افتتحوها عنوةً . واتهم بعد ذلك انهُ خان وطنهُ بمحاولتهِ الاتفاق مع البربر لكنهُ نفى هذه التهمة بوثائق ايدت اقوالهُ . على ان مليكهُ كان قد اخذ يصرف نظرهُ عنهُ لسبب مجهول واتهمهُ انهُ لا يريدهُ في بطانتهِ فغادر بلادهُ الى اشبيلية فوصلها في ٢٠ اكتوبر سنة ١٥١٧ ومنها ذهب الى بلاط ملك الاسبان في بلادوليد فتخلى عن جنسيتهِ البرتغالية وتقلد الرعوية الاسبانية بواسطة رجل برتغالي الاصل ذي نفوذ كبير في بلاط ملك اسبانيا

وتزوج مجلان ابنة هذا الرجل فساعدهُ في ان يعرض على الملك المشروع الذي اعدَّهُ للطواف حول الارض ويتلخص هذا المشروع في محاولة الوصول الى جزائر الافاويه بالسفر غرباً وكان مجلان يأمل ان يكتشف عند طرف اميركا الجنوبية مضيقاً يتصل منهُ الى الجانب الآخر من اميركا وقال انهُ مستعد للسفر جنوباً الى ان يبلغ الدرجة ٧٥ من العرض الجنوبي لاكتشاف هذا المضيق . وساعدهُ في اعداد خطتهِ ملكي برتغالي تفي من بلادهِ يدعى فاليرو وفي ٢٢ مارس سنة ١٥١٨ وقع مجلان وفاليرو وثيقة رفعت الى

ملك اسبانيا وُعدا فيها بان يكون لها ⅓ من كل الغنائم التي يصيبانها والباقي يعود لحكومة اسبانيا لقاء مساعدتها المادية والادبية . وهُما ايضاً اتفقا في اقامة حكومة في

مجلان أول من طاف حول الارض

كل البلدان التي يكتشفانها يتولاها ابناؤهم واحفادهم بالوراثة . وفي العاشر من اغسطس سنة ١٥١٩ اقلع الاسطول الذي اعدتهُ لهُ الحكومة الاسبانية وهو مؤلف من خمس سفن أكبرها سفينة تدعى سانت انطونيو محمولها ١٢٠ طناً والثانية ترنداد ومحمولها

١١٠ اطنان وكانت هذه السفينة امثن السفن كلها فجعلها مجلان « سفينة العلم » ثم الكونسبسيون ومحمولها ٩٠ طنًا والفتوريا ومحمولها ٨٥ طنًا وسنتياغو ومحمولها ٧٥ طنًا . ولم يعد الى اسبانيا من كل هذه السفن سوى الفتوريا كما سيجيء . وكان عدد الرجال الذين سافروا معهُ ٢٧٠ رجلاً او ٢٨٠ اكثرهم اسبان وبينهم ٥٧ على اقل تقدير من البرتغاليين و٣٠ من الطليان من (جنوى) و١٩ من الفرنسويين وانكليزي واحد والماني واحد رجع منهم في السفينة فتوريا ٣١ رجلاً . اما فاليرو الفلكي فتخلف عن السفر لانهُ استطلع مصير الرحلة بوسائله الفلكية فزعم انها صائرة الى الاخفاق ورجاها الى الهلاك . وجملة ما انفق على تجهيز هذا الاسطول بلغ ٥٠٣٢ جنيهًا وقيمتها حينئذٍ تساوي نحو ١٥٠ الف جنيه من نقودنا الآن

اقلعت السفن في ١٠ اغسطس متجهة الى الجنوب الغربي وفي ٢٩ نوفمبر لمح مجلان جنوب اميركا عند رأس سانت اغسطين ومن ثم سار محاذيًا لشواطئ اميركا الجنوبية حتى وصل الى مصب نهر لابلاتا فوقف فيهِ يبحث عن منفذ منهُ الى الجهة الاخرى من اميركا . وفي آخر مارس من السنة التالية وصل الى بورت سانت جوليان وهي على الدرجة ٤٩ والدقيقة ٢٠ من العرض الجنوبي فقضى فيها الشتاء . ووطد علائق الصداقة مع اهلها واطلق عليهم اسم الباتاغونيين اي ذوي الاقدام الكبيرة

وغادر مرفأ سانت جوليان في ٢٤ اغسطس سنة ١٥٢٠ وبعد مسيرة شهرين تقريبًا كشف رأس الاحد عشر الذي عذراء عند مدخل المضيق المعروف الآن بمضيق مجلان في طرف اميركا الجنوبية . وطول هذه المضيق ٣٦٨ ميلاً وهو حافل بمخاطر البحار فقضى ٣٨ يومًا في اجتيازهِ بعد ما انفصلت عنهُ سانت انطونيو اكبر سفن الاسطول . وفي ٢٨ نوفمبر عقد مجلان من ضباط السفن وربانيها لينظروا في مداومة السفر الا انهم بلغوا منتهى هذا المضيق الخطر في ٢٨ نوفمبر واطلقوا على « البحر الجنوبي العظيم » فدعاهُ مجلان بالباسيفيك اي الهادي . لهبوب ريح لطيفة ساقت المراكب في تؤدة وطمأنينة

وقضى مجلان ورجالهُ ٩٨ يومًا في اجتيازهذا الاوقيانوس الزاخر الذي « يفوق التصور في اتساعهِ » ولم يكتشفوا في هذه المدة سوى جزر برتين . وكان الطعام معهم قد قارب النفاد فلم يبق معهم سوى ماء قليل آسن وبسكويت عفن واخذ داء الاسكربوط يفتك بهم وعضهم الجوع بنابهِ حتى صارت الجرذان وجلود الثيران والشارة اكلاً يُحسَد عليهِ من

يستطيع الوصول اليهِ . اخيراً وصلوا جزائر لادرون في ٦ مارس سنة ١٥٢١ وقد دعاها مجلان كذلك لتفشي القصوصية بين سكانها والراجح ان المرفاء الذي رسوا فيهِ كان مرفأ جوام . هناك اخذ الاسطول عدتهُ من الماء والطعام وبعد راحة ثلاثة ايام اقلعوا منها متجهين الى الغرب فساروا سبعة ايام شاهدوا في نهايتها جزيرة سامار وهي من جزائر الارخبيل المعروف الآن بالفيلبين . وفي ٧ ابريل وصلوا الى جزيرة سيبو في قلب الارخبيل فتصادق مجلان مع اميرها المشهور بالغدر وكان يدّعي انهُ مسيحي ليستخدم مجلان ورجالهُ في قضاء مآربهِ . وجهز مجلان حملة لاكتساح جزيرة سكتان ليضيفها الى امارة صديقهِ وليبشّر فيها الدين المسيحي فقتلهُ بعض سكانها في ٢٧ ابريل سنة ١٥٢١ فاتفق امير سيبو مع نفر من رجال الاسطول ليغتصبوا اليهِ ولما صاروا في قبضتهِ ذبحهم ذبح الاغنام ويبنهم جوان سرانو احد اميري البحر الذين انتخبا ليخلفا مجلان في قيادة الاسطول. فاحرق الباقون احدى سفنهم وغادروا الفيلبين الى ملقا وبورنيو . وظهر خلل في السفينة ترنداد فتخلفت عن المسير في جزيرة تدور . فتولى قيادة السفينة الباقية «فتوريا» رجل يدعى جوان سباستيان دل كانو واقلع بها متجهاً الى اوربا في ٢١ دسمبر سنة ١٥٢١ ولقي من المشاق والمصاعب في رحلتهِ حول رأس الرجاء الصالح ما يفوق الوصف . ولما بلغوا جزائر الرأس الاخضر امر البورتغاليون ثلاثين من رجالها فلم يصل الى اشبيلية من رجال الاسطول الاصليين سوى ٣١ رجلاً وكانت الفتوريا السفينة الاولى التي طافت حول الارض

ومع ان مجلان لم يصل الى جزائر الافاويه التي كانت غايتهُ لانهُ قتل في الفيلبين لكن غرضهُ كان قد تحقق لانهُ في رحلتهِ الاولى كان قد قطع خطّ الطول الذي وصلهُ قبيل قتله وكانت طريق البحر من ملقا الى اوربا معروفة لدى البحارة الاسبان والبرتغاليين. ومع ذلك لم ينل اسمهُ ما يستحقهُ من الظهور في التاريخ الاّ ان العلماء يرون انهُ واحد من الروّاد العظام الذين نذكر في مقدمتهم كولمبس ومار كو بولو . فانهُ حقق الخطة التي خيّلها كولمبس وطوافهُ حول الارض يوازي اكتشاف اميركا ، كلا العملين في الطبقة العليا بين اعمال المكتشفين والروّاد

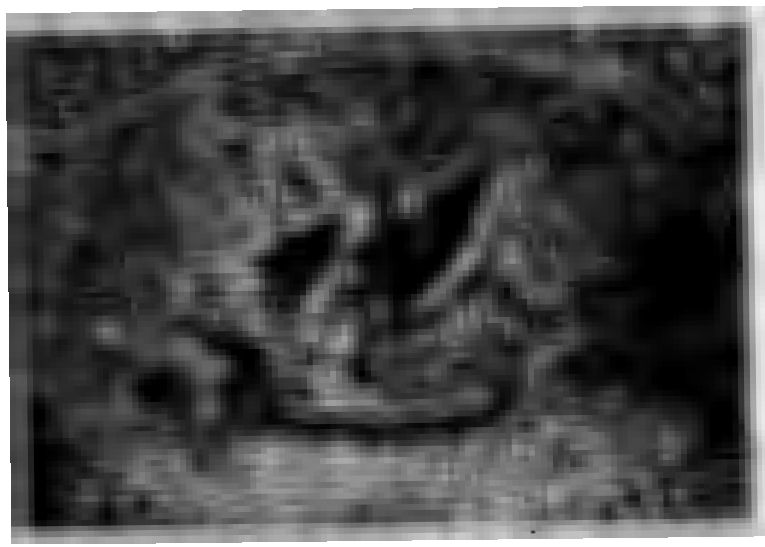

الفنوريا اول سفينة طافت حول الارض

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٣١٢

مذهب تناسخ الارواح

يحدثنا التاريخ ان هذا المذهب قديم آمن به قدماء اليونان من اصحاب المذاهب الفلسفية ، كفيثاغورس وافلاطون صاحب القول المأثور ان التعلم تذكر ، وانما اخذ فلاسفة اليونان هذا المذهب عن قدماء المصريين ، على حين ان هؤلاء ايضاً تعلموا هذه التعاليم من الهنود، فالمذهب على هذا الاعتبار هندي وقديم قد تطور مع الزمن ككل شيء

ولقد اتى على هذا المذهب حين من الدهر ذاع عنهُ في اصقاع المعمورة ان النفس البشرية اذا لم ترقَ في تجسدها الى درجة اسمى تتأهل بها ان تتجسد تجسداً يتناسب مع الناموت العام ، امكنها ان تتقمص جسد حيوان . جاء اعرابي يطلب الى آخر ممن كانوا على هذا المذهب ان يقرضهُ مبلغاً يردهُ اليهِ اذا التقيا في تجسد مقبل ولكن الاعرابي كان خفيف الروح وصاحب لكنة اذ اجابه على الفور — اني اقبل هذا الصنف من المعاملة على شريطة ان تضمن لي بان لا تتقمص جسد حيوانٍ في تجسدك المقبل ، وهذا ما يدل ايضاً على ان هذا المذهب كانت تعرفهُ العرب

على حين ان هذا الرأي ليس من الوجاهة ولا من الصواب في شيء ، لان القول بان النفس البشرية تعود القهقرى في تجسداتها فتتقمص بجسد حيواني — بدعة ابتدعها رجال الكهنوت القدماء ، وكان غرضهم من ذلك تخويف الكافة حتى يكفوا عن ارتكاب الآثام ، واتيان الخطايا خيفة ان يُردوا الى هذا العالم بهائم تُعذَّب. ذلك بان ناموس الترقي العام وتكمل الجسم الروحاني ووظائفهُ الفزيولوجية تنقض هذا الرأي وتجتثهُ من اساسهِ

والآن نريد ان نعرض بعض التأملات والاسباب التي تحمل اصحاب هذا المذهب على اعتقاداتهم هاتهِ فنقول انهم يعللون التناسخ ويزكون رأيهم فيهِ واعتقادهم بهِ بما تنطق بهِ حوادث التاريخ وهاك بعض ذلك

(١) ولد في لوبيك (من اعمال المانيا) ولد يدعى « الريكوس اينيكيم » سنة ١٨٧١ بدأ يتكلم بكل فصاحة في الشهر العاشر من عمرهِ و بعد شهرين تعلم اسفار موسى الخمسة وفي الشهر الرابع عشر تعلم العهدين (القديم والحديث) وفي العام الثاني من عمرهِ الفن تاريخ الاقدمين وقيل انهُ كان يعادل شيشرون في فصاحتهِ باللاتينية و يظهر غلطات في مؤلفات اكبر ادباء فرنسا

(٢) ان « هيرموجين » علم « مارشيلاوس قيصر » علم البيان والمعاني وكان هذا الاستاذ في الخامسة عشرة من سني حياته

(٣) رُوي عن فتاة افرنسية انها بلغت الرابعة عشرة من سني حياتها ولم تكن تعرف الاَّ البسيط النادر من لغتها ولما نوموها تنويماً مغنطيسياً كانت في نومها تكتب وتتكلم اللغتين الانكليزية والالمانية بفصاحة ولياقة ورشاقة تأخذ بمجامع القلوب ، فمن اين جاءها ذلك ان لم يكن قد ارتكز في فطرتها من تجدد سابق ثم حجبتهُ المادة وكثافتها الى ان حان حين التذكر؟

(٤) زوي عن « يوحنا فيلبس باراتيه » انهُ كان في الرابعة من عمره يتكلم ويكتب الفرنسية والالمانية واللاتينية وفي السنة السادسة اتقن اليونانية ، وفي السابعة العبرانية فترجم التوراة الزبانية الكبيرة في اربعة مجلدات ضخمة واضاف اليها مجلداً آخر من الحواشي والمباحث

(٥) روت الجرائد الانكليزية والفرنسية سنة ١٨٦٨ عن فتاة انكليزية بقيت خرساء حتى الثالثة عشرة من عمرها لم تتعلم الاَّ كلمتي (ابتاه) (اماه) وانها لكذلك اذ شرعت تتكلم في يوم ما بلغة مجهولة لارابط بينها وبين الانكليزية وليثت جاهلة اللغة العائلية بتاتاً حتى اضطرَّ اخوها ان يتعلم لغتها الغريبة كيما يمكنهُ ذلك من التفاهم واياها . فمن اين كان لها ذلك

(٦) ان الفتاة « تريزيا ميلانوتلو » ادهشت هواصم اوروبا بضربها بالكمان — حتى قال عنها الموسيقار الشهير (بايو) يظهر انها ضربت بالكمان قبل ان تولد

(٧) اتقن (موزار) الموسيقار الطائر الصيت ضرب الارغن في الرابعة من عمره وفي الثانية عشرة من سني حياته الف روايتهُ الموسيقية الاولى

(٨) لماذا نجد في بعض الناس استعدادات شتى مجردة عن الخواطر التي اقتنيوها بالتعليم والتلقين والتهذيب ؟

(٩) لماذا نجد في بعض الفتيان استعداداً فائقاً لصناعة من الصنائع او علم من العلوم يتبحرون فيها نبوغاً عظيماً ؟ (١٠) لماذا نأنس في بعض الفتيان من ارقى الطبقات واعظمها في الامم المتمدينة ومن ذوي الحسب والنسب ميولاً ساقطة وخيمة يعجز التهذيب عن استئصالها ، وفي بعض فتيان من الوضعاء ومن احطّ الطبقات بل ومن الرعاع ، عواطف شريفة ، وميولاً خيرة ونزعةً الى النبل والخير ؟

(١١) لماذا نجد في بعض الناس افكاراً غريزية لم يتلقنوها من احد ولم يوفق اليها غيرهم ؟ (١٢) ما هي ضرورة وجود المتوحشين قبل المتمدنين ؟ والهمجية ازاء التمدن والعمران ؟ واذا اخذت طفلاً من اطفال الهمج في اواسط افريقية وربيته في اشهر مدارس اوربا ، هل هو من بعد ذلك يصل الى درجة ارسطو او نيوتن ؟

هذه جملة اراء تعنّ لاصحاب هذا المذهب جئنا بها نعرضها امام القرّاء من غير ان نتحمل تباعتها — وهم يزيدون على ذلك فيقولون : اذا نحن كفرنا بمذهب التناسخ وقلنا بوحدة حياة الانسان الجسدية اضطررنا الى الاقرار بخلقة الروح مع الجسد ، وكان لزاماً على خصوم مذهبنا ان يحلّوا لنا هذه المسائل حلاً معقولاً يتسق ومذهبهم . قالوا :

فاما ان الله يخلق الروح مع الجسد فهو ما يؤدي الى الاعتقاد بان الانفس في الخلقة متساوية او مختلفة ، فان خلقها مختلفة كان وحاشاهُ ان يكون — تنزهت قدرتهُ وتعالت حكمتهُ يزين بعض الانفس بصفات ويترك غيرها في ظلام الجهل . وان قلنا ان الله خلق الانفس متساوية وانما جاءت الاختلافات من الاختلافات الكائنة في التراكيب العضوية كان هذا الجواب اعقد للمسألة من الاول لانهُ يبقي المشكلة من غير حل . اذ نعود الى السؤال — لماذا يهب العليم القادر الحكيم جلّ شأنهُ لنفس جسماً صحيحاً معافى قوياً كامل الصفات وللاخرى جسماً ضعيفاً ناقصاً يقيد قواها العقلية

على ان رأياً كهذا يوافق ضلال الماديين ويجعل الانسان آلة مادية تتلاعب بها الاهواء وينتفي عنهُ مسؤولية اعماله فلا حساب ولا عقاب لما في بنيتهِ من نقص

اما اذا عاد المجيب الى انهُ قد ترك للانسان جهة الاختيار فهو بما فيهِ من حرية مسئول عن اعماله — فان اصحاب مذهب التناسخ يعودون يسألونهُ لماذا يمنح الله البعض جسماً مطواعاً لا ميل فيهِ الى الرذيلة ويقيد غيره بجسم متمرد يضطرّ النفس الى جهاد وجلاد وتعب وعناء ينتهي بها الى الفشل والسقوط . قالوا : وما نحن ينكرين ما للجسم من القوة التأثيرية على النفس وعلاقة الحالة العضوية بالحالة النفسية وتأثر الثانية بالاولى وانما نحن نذهب الى القول بانهُ ليس كل ما في الانسان من فضيلة او رذيلة ، وذكاوة او غباوة ، ليس كل هذا ناتجاً عن تأثر الحالة النفسية بالحالة العضوية . آية ذلك اننا نرى ولدين من اب واحد وام واحدة يتباينان تبايناً كلياً الواحد عن الآخر في الصفات والمواهب والقوى حتى يحق لك ان تسمي الواحد ملاكاً طاهراً والآخر شيطاناً رجيماً — مع انهما يكونان قد تربيا في مدرسة واحدة واعتنقا مذهباً واحداً حسن حسين

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحصاه ترحيبا في المعارف وانهاضا لهمم وتشحيذا للاذهان . ولكن الهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره مظهرا كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير للكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحار على المطولة

نزوح الدروز الى حوران

وحربهم ضد ابرهيم باشا

نشر حضرة البحاثة عيسى افندي اسكندر معلوف في مقتطف شهر دسمبر سنة ١٩٢٥ مقالة عنوانها « دروز حوران وحرب ابرهيم باشا » ضمنها حقائق جمة لا يستغنى المشور عليها الا لمن كان مثله كثير البحث والتنقيب مولعا باخبار السلف حريصا على حفظ آثارهم . ونظرا لتعدد الروايات التي تناقلها الرواة والكتّاب في موضوع بحثه فاني اضيف بعض ما اطلعت عليه منها الى بعض ما ذكره الاستاذ المفضال

نزوح الدروز الى حوران — اختلفت الاقوال في تاريخ نزوح الدروز الى حوران . اما الروايات المرجح صدقها فمتفقة ان بني الحمدان هم اول من انتقل اليها من الدروز وان انتقالهم حصل بعد خراب بلدتهم كفرا من مقاطعة الغرب الاعلى في لبنان الواقعة بالقرب من عيناب . وقد قال الاستاذ عيسى افندي في بدء مقالته مشيرا الى بني الحمدان « فتاوأهم الامراء التنوخيون وخربوا قريتهم فساروا الى حوران منذ قرنين ونصف او اكثر » . فالامراء التنوخيون انقرضوا سنة ١٦٣٣ م وكانت قد ضعفت شوكتهم قبل ذلك . فاذا كانوا قد تاوأوا بني الحمدان فيجب ان يكون قد حصل ذلك منذ ثلاثة قرون او اكثر . على اننا لم نقف على خبر خراب كفرا الا بعد عهد التنوخيين اي في سنة ١٧١١ على اثر انكسار اليمنيين في موقعة عين داره فالمرجح انهم ذهبوا حينئذ الى حوران واليك البيان :

ان بني الحمدان كانوا يمنيين و يستدل من اخبارهم انهم كانوا ذوي بأس شديد . وكان يسكن قرية الفساقين المتاخمة املاكها لاملاك كفرا بنو حمزة الذين كانوا قيسيين فدب بين الاسرتين دبيب العداء وفتك بنو الحمدان ببني حمزه حتى كادوا يفنونهم وانتقل الباقون منهم من الفساقين الى عبيه حيث لا يزال اعقابهم موجودين الى الآن . وتكررت الحوادث العدائية في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر بين العائلات المتنمية الى الحزبين فاشتد في النفوس حب الانتقام حتى اذا ما حصلت موقعة عين داره وانكسر اليمنيون انكساراً لم تقم لهم قائمة بعده اخذ القيسيون ينكلون باليمنيين المنتشرين في البلاد . وكان آل نكوق قيسيين فحضروا يوم عين داره مع زعيم حزبهم الامير حيدر الشهابي وابلوا بلاء حسناً فنزع الامير حيدر مقاطعة الغرب الاعلى من يد الامير يوسف ارسلان اليمني واقطعها آل نكوق فلما رجع احدهم الشيخ بشير الى وطنه بعد هذه الوقعة حرق شملان وعيشاب وكفرا وقتل اكثر رجالها لانهم كانوا يمنيين[1]

فما تقدم يتضح ان خراب كفرا حصل سنة ١٧١١ وبما انهُ مشهور ان بني الحمدان نزحوا الى حوران عند خراب بلدتهم هذه فتكون سنة ١٧١١ هي تاريخ نزوحهم اي منذ ٢١٥ سنة

حرب ابرهيم باشا — ورد في المقالة التي نحن بصددها في صفحة ٤٩٩ من المقتطف ان طلب النجد دروز حوران ونشوب الحرب ضد ابرهيم باشا حدثا في سنة ١٨٣٥ غير انهُ ذُكر في السطر الاول من صفحة ٥٠٠ ان الحرب استمرت تسعة شهور وفي صفحة ٥٠٣ ان ابرهيم باشا تسلم اللجاه في تموز سنة ١٨٣٨ فمن هذين القولين الاخيرين يعلم ان طلب النجد ونشوب الحرب بسببه حصلا في خريف سنة ١٨٣٧ لا سنة ١٨٣٥ وان الحرب انتهت في صيف سنة ١٨٣٨ ويؤيد ذلك روايات الكتّاب المعاصرين

قوّاد الحملات المصرية — ورد في صفحة ٥٠٠ ان قائد الحملة الاولى الكبرى كان محمد بك المصري على انهُ ورد في مخطوطة[2] لاحد الدمشقيين الذين عاصروا ابرهيم باشا ان قائد الحملة كان « محمد باشا مفتش الجهادية » وفي مخطوطة حورانية محفوظة عند

(١) اخبار الاعيان ص ١٥٦ و ١٥٧ (٢) توجد نسخة منها في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت وهي غير « تاريخ حوادث الشام ولبنان » المنسوب الى مخائيل الدمشقي والذي نشر الاب لويس معلوف اليسوعي

كاتب هذه الرسالة ان قائد الحملة كان « محمد باشا باشت النزام » (١) ورواية البارون دومنياك يأور سليمان باشا الفرنساوي تعزز هاتين الروايتين (٢)

وجاء في صفحة ٥٠٠ ايضاً ان الحملة الثانية كان يقودها طيفور بك اما المخطوطتان المذكورتان قبلاً فنيهما ان الحملة كانت تحت قيادة احمد باشا. وروى البارون دومنياك ايضاً انها كانت تحت قيادة « احمد منيكلي باشا وزير الحربية » وورد في قصيدة حورانية للشيخ ابي علي الحنادي من مشاهير ابطال الدروز الذين حاربو ابرهيم باشا ما يؤيد رواية المخطوطتين السابقتين ويستنتج منهُ ان طيفور بك كان مع احمد باشا وهذا هو قولهُ الذي ورد فيهِ ذكرهما

احفظ المدافع والجباخانات والذُخَر والشيخ (٣) ما تحصي لهُ مقدار
احمد باشا راح محمول نعشهُ وطيفور بك ومثلهُ اوزار (٤)

قوّاد الدروز وعدد رجالهم — ورد في صفحة ٥٠٠ ان دروز حوران « كانوا يسيرون تحت راية الشيخين حسن جنبلاط وناصر الدين العماد من كبار دروز لبنان الذين انضموا برجالهم فصار عددهم عشرة آلاف مقاتل من فرسان ورجالة » اما المشهور فهو ان دروز حوران كان يقودهم شيوخهم وكان كبيرهم هؤلاء يحيى الحدان واكثرهم شهرة حسين درويش وحسين ابوعساف واشترك معهم اشتراكاً فعّالاً شبلي العريان من راشيا. اما الشيخان حسن جنبلاط وناصر الدين العماد فلم نطلع على ما يثبت انهما اشتركا في حرب اللجاه وفي قيادة الدروز هناك لكن توجد روايات متواترة عن محاربتهما ابرهيم باشا في وقعة وادي بكّا بقرب قرية بنطا وكان ذلك عند انتقال ميدان القتال الاكبر من اللجاه الى وادي التيم . من ذلك ما رواهُ صاحب « اخبار الاعيان » في صفحة ٥٨٥ و٥٨٦ و٥٨٧ وهو « وفي غضون ذلك حضر الشيخ ناصر الدين العماد يلتمس من الامير (بشير) صفو الخاطر لينال مكرمة منهُ فطيب قلبهُ وامر لهُ بصلة فقبضها وسار الى العريان (٥) . وفي

(١) اعني النظام وهي هنا بمعنى الجيش والبارون يدعوه السنة التي جند فيها ابناؤهم في الجيش المصري « سنة النظام »

(٢) صفحة ١٤٦ من كتابه Nézib et Beyrout (٣) القتلى (٤) وزراء

(٥) هو شبلي العريان كبير دروز وادي التيم في ذلك العهد وقد كان اشد زعماء الثورة بأساً واصعبهم مراساً يوجد شبه كبير بينه وبين « دي وت » بطل حرب الترنسفال . فكان يشترك في الوقائع الكبرى ثم يهدد خط المواصلات ويستولي على الذخائر والمؤن ويلتقي الجنود المرابطة في اللجاة بالهجمات الليلية ولا يكاد يفعل ذلك حتى يسمع بأنهُ ثار الثورة في حاصبيا او راشيا لشغل الجيش المصري على توزيع قواته

ذات يوم بلغ عسكر الدروز انهُ قادم من دمشق الى عيحا علايك لعسكر ابرهيم باشا فارسل الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد نحو ثلثمائة رجل لأخذها فلما وصلوا الى وادي يسمى وادي عمي وجدوا العلايف قادمة فتبعوها جيراً واذا بمصطفى باشا قادماً بعسكره فاشتعلت نار الحرب بينهم فلما بلغ الشيخين ذلك انطلق اليهم الشيخ ناصر الدين بثلثمائة مقاتل وتبعهُ الشيخ حسن بار بعمائة وخمسين مقاتلاً ولما اقبلوا . . . . على الارتاوط شبوا عليهم نيران الوغى و بلغ ابرهيم باشا ذلك فحمل عليهم بشطر من عسكره»

ثم ذكر المؤلف خبر اعتصام الشيخين باماكن صعبة المسالك في وادي بكا واستبسالهم في مقاتلة العدو حتى كادوا يهزمونهُ واخيراً فرغت ذخيرتهم . ثم استطرد في كلامهِ قائلاً : « هذا والشيخ ناصر الدين مسلل سيفهُ يفري بهِ من يصل اليهِ حتى قتل خلقاً كثيراً من حواليهِ ثم قتل ولم ينجُ من اصحابهِ سوى خمسين نفراً واما الشيخ حسن فلما ايقن ان لا نجاة لهُ ولقومهِ الاَّ بالهرب فرَّ بمن نجا منهم الى شبعا »

وعلى اثر هذه الوقعة حصلت وقعة شبعا التي انتهت بتسليم الدروز وانتهاء حرب ابرهيم باشا

اما بلوغ عدد الدروز الذين حاربوا ابرهيم باشا عشرة آلاف فربما يكون لدى الاستاذ ما يؤيدهُ لكن يظهر لنا انهُ اكثر كثيراً مما هو مشهور

في مخطوطة [1] الدكتور مخائيل مشاقة ان عدد رجال دروز حوران كان عند نشوب الحرب الف وستماية وفي مخطوطة الكاتب الدمشقي التي سبقت الاشارة اليها ان عدد الدروز وعز بان الجاه الذين اتفقوا معهم كان نحو الفين وحسب رواية اركوهرت كان عدد الدروز اقل من الفين[2] . فما زاد عن هذا العدد يجب ان يكون اتى من لبنان ووادي التيم لكن لا يمكن ان تكون النجدة من البلدين المذكورين بلغت ثمانية آلاف . لان دروز لبنان ادخل منهم نحو ١٢٠٠ شاب في سلك الجندية المصرية والباقون نزع منهم سلاحهم واحتالت الحكومة اليها مواطنيهم المسيحيين وسلحتهم وكان موقفهم عدائياً نحو الدروز في هذه الحالة لم يبق في وسع دروز لبنان ان يرسلوا نجدة كبيرة الى اخوانهم المحاربين وربما كان كل ما انسلَّ من دروز لبنان لمساعدة الثائرين هو تلك

(١) موجودة نسخة منها في مكتبة الجامعة الاميركية

(٢) صفحة ١٦٣ جزء ١ من كتاب Urquhart, The Lebanon

القوة التي قادها الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد في وادي بكا وعددها الف وخمسون رجلاً

اما الذين ثاروا في وادي التيم فكانوا تحت قيادة شبلي العريان وقد ورد في مخطوطة الكاتب الدمشقي التي اشرنا اليها قبلاً ان عدد الذين اتصلوا به يبلغ نحو اربعة آلاف على اننا نعتقد ان بين هؤلاء كان القادمون من لبنان . وعليه فالمرجح ان جملة قوات الدروز لم تتجاوز ستة آلاف او سبعة . واما ازداد عددهم الى هذه الدرجة بعد ما طال امد الحرب اما في وقائع اللجاء التي بطشوا فيها بالحملات الاولى والثانية والثالثة فتواترت الروايات بانهم لم يزيدوا على الفين

تسليم شبلي العريان — كان لتسليم شبلي العريان شأن كبير في نظر ابرهيم باشا لانهُ كان مقداماً سريع الحركة واسع الحيلة كثير المباغتات لحملات المغيرة والذخيرة والفرق السيارة والقوات المرابطة هنا وهناك فكان يشغل بال كل قائد من القواد على السواء . وربما كان شأنهُ هذه سبباً في اختلاف الروايات عمن توسط في تسليمه لابرهيم باشا

وقد ذكر الاستاذ عيسى افندي انهُ سلم عن يد امين شحرور واورد ذكر حادث كان بينهما قبل التسليم . على ان راوياً آخر ذكر حادثة تقرب منها عن طي انها اليميلي وان شبلي سلَّم عن يد هذا الاخير . لكن في مخطوطة الكاتب الدمشقي ان التسليم جرى عن يد نقولا ضامر

وآخر ما نذكر من هذه الروايات ما ذكرهُ البارون[1] دومياك وهو ان شبلي ذهب الى ابرهيم باشا مباشرة فجاء الى احدى نقط الجيش الامامية وطلب ان يسيروا به الى القائد العام ففعلوا . وقد روى البارون حصول الحديث الآتي بين ابرهيم باشا وشبلي العريان

شبلي — ياصاحب الفخامة ها انا اتقدم اليك واضعاً رأسي بين يديك

ابرهيم باشا — ومن انت ؟

شبلي — شبلي العريان

ابرهيم — ماذا ؟ اذاً انت الذي اوقعت بمحمد باشا واحمد باشا

(١) صفحة ١٥٢ من كتاب Nézib et Beyrout

شبلي باشا العريان المتوفى سنة ١٨٧٤
ارسل الينا هذه الصورة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٣٢٠

شبلي — نعم ياصاحب الفخامة

ابرهيم — طيب . فانت تستحق الموت

شبلي — اني اعلم ذلك

ابرهيم — لكن مع هذا فاني اعفو عنك لانك شجاع وانا احب الشجعان ومنذ الآن انت في خدمتي واعينك قائداً لألف رجل غير نظامي فاجمع فلول اخوانك الدروز فانهم جنود أكفاء وانا ارتب لهم المرتبات وسيكونون نواة فرقتك الجديدة

شبلي — انك عظيم رحيم يامولاي . واني شديد الاسف لاني اطلت مقاومة ابرهيم الذي لا يُقهر . اما الآن فاراني سعيداً بان أكون مملوكك باذلاً دمي في سبيلك

بيروت سليمان ابو عز الدين

اعظم موارد الثروة في فلسطين

حضرة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء

قرأت ما جاء في مقتطف يناير سنة ١٩٢٦ تحت عنوان « الاحوال في فلسطين » فشاقني الى كتابة هذه السطور وعسى يكون منها فائدة للاغنياء وتذكرة للفقراء

يختتم في ذلك المقال عن ثروة فلسطين الزراعية واليكم الآن بعض الوصف لثروة ثانية لا تقل عن تلك شأناً اذا كانت لا تفوقها وهي لا تزال مدفونة في التراب لا يعيرها احد اهتماماً

اسعدني الحظ ان اكون في زمن الحرب العالمية برفقة عالمين من علماء الالمان احدهما جيولوجي مشهور اسمهُ الدكتور ولف او ثولف Dr. Wolff والثاني مهندس معادن اسمهُ الدكتور بايشلاغ Dr. Beyshing حنيد اللاهوتي الالماني الشهير بايشلاغ وابن العلامة الدكتور بايشلاغ مؤسس المعهد الملكي البروسي الجيولوجي في برلين ومديره

انتدبت حكومة تركيا هذين العالمين في زمن الحرب للبحث عن وقود في العراق وسوريا . غير ان الانكليز كانوا قد احتلوا الجانب الاكبر من العراق فلم تتمكن من السفر الى تلك البلاد فاقتصر بحث هذين العالمين على بلاد سوريا الشمالية والجنوبية

وبعد تجوال ثلاثة اشهر ونصف شهر في اماكن مختلفة في لبنان وفلسطين قرر احدهما الدكتور فولف ان المعادن كالحديد والكبريت والفحم الحجري والحر موجودة في لبنان غير ان نفقات تعدينها تفوق قيمتها كثيراً وعلى الاخص الفحم الحجري منها وذلك لان الفحم في لبنان مؤلف من طبقة رقيقة لا يزيد معدل سمكها عن ٢٠ — ٣٠ سنتيمتراً و٤٠ او ٥٠ ٪ منها مركب من الكبريت غير النقي والقصور المؤكسد

انتقلنا من لبنان الى فلسطين لاتمام البحث . فوقف بنا القطار في محطة « تل شهاب » المشهورة بشلالاتها الغزيرة العظيمة المبوط . وقد اشارا على الحكومة — وجمال باشا رأسها اذ ذاك — باستثمار هذه الشلالات ولولا انهزام الاتراك والالمان بعد حين من فلسطين لكان تمّ ذلك المشروع واصبحت تلك السهول المرتفعة الواسعة الخصبة التربة والقاحلة تقريباً بين الشام ودرعا وتل شهاب جنات خصبة تعود بالغلال الكثيرة على الاهلين والحكومة . هذا عدا القوى الكهربائية الممكن توليدها من تلك الشلالات اذ انها ولا شك اعظم او من اعظم الشلالات في الشرق الادنى

وقف بنا القطار بعد حين في وادي اليرموق في محطة المقارن بين حوران وعجلون . خرجنا من عربتنا الخصوصية وفي يد المهندس مطرقة صغيرة كعادة الجيولوجيين . واقتربنا من الجبل القائم امامنا وضرب المهندس بمطرقته على الصخر الذي يتركب منهُ ذلك الجبل فوجدنا حجراً اغبر اسود اللون طرياً ذا طبقات رقيقة كاللوح الحجري فظنهُ بادئ ذي بدو من ذلك الصنف غير انهُ ما كاد يشمُّ رائحتهُ حتى قال للجيولوجي : انظر ما هذا وابتسامة الظفر تعلو شفتيه . رائحة البترول (الكاز) قوية في هذا الحجر . نحن نفتش عن وقود وهنا كنز عظيم منهما . ثم نظرنا الى الجبل المقابل فرأينا قبة عالية كالقبب التي تقام عادة فوق آبار البترول فذهبنا اليها . ومن الآثار الظاهرة والمعدات المتروكة هناك علمنا ان القصد منها البحث عن البترول . وبعد حين علمنا ان شركة انكليزية اميركانية المانية ابتدأت عملها قبل الحرب بثلاث سنوات وصرفت مبالغ طائلة لاستخراج البترول ولكن لم يسفر عملها عن نتيجة ما وجاءت الحرب فاوقفت اعمالها . قال المهندس وهو كما سبقت حفيد لاهوتي مشهور جاء في سفر من اسفار التوراة — واذا كانت الذاكرة لا تخونني في نبوة اشعيا او حزقيال — « واستخرج من الصوان زيتاً » ثم قال اذا كان القدماء استخرجوا من الصوان زيتاً فلماذا لا اعصر انا من هذا

الحجر زيتاً وانا ابن القرن العشرين . وكان والدهُ قد فعل ذلك قبل اشهر في المانيا من اللوح الحجري

رجعنا الى المحطة وايرق حالاً الى الشام انهُ مستعد ان يسيّر القطار بواسطة هـذا الحجر بدل اشجار الصنوبر والتوت والسنديان والزيتون التي كادت الحكومة تأتي عليها كلها لولا هذا الرجل الذي كان يتألم كثيراً كلما نظر الى تلك الاشجار الثمينة تقطع وتحرق . لبّت الحكومة طلبهُ وفعلاً استطاع ان يسير القطار بواسطة هذا الحجر الذي يشتعل بعود الثقاب . لكنهُ لم يقف عند هذا الحد بل قال يجب ان استخرج زيتاً معدنياً لا بترولاً من هذا الحجر اذ لا ينابيع بترول هنا . وبعد اسابيع استطاع هذا النابغة ان يستخرج مقادير صغيرة من الزيت المعدني على طريقة بسيطة اولية . — وهنا ليعذرني القراء اذا احتفظت بهذا السرّ لانهُ سرّ الرجل لا سري . ثم ارسل المهندس نموذجاً من هذا الحجر الى معهد ابيو في برلين لتحليلهِ وبعد اشهر جاء الجواب بان الحجر يحتوي على ١٢ — ١٥ ٪ من الزيت المعدني عدا البترول والبنزين والبنزول الخ . ثم امر المهندس ببناء بعض الافران وكان يستخرج في اليوم ما يزيد على الطن من الزيت الجامد بنفقات لا تذكر . ثم استقدم من المانيا ثلاث ماكنات كبيرة لاستخراج الزيت ولولا الانهزام الاخير لكان بامكانهِ ان يستخرج بواسطتها ما يزيد على ١٦ طنّاً من الزيت المعدني كلّ يوم ولكن ابى الدهر الاّ ان تدرس تلك الآثار التي اقامها وتمحو اثراً بعد عين اذ ما كدنا نترك ذلك الوادي حتى هدم البدو تلك البنايات وحطموا الآلات كلها وهذا شأن الجهل اذا حل مكان العلم والاجتهاد

هذا شيء قليل مما فعلهُ ذلك الرجل العظيم — وهو الآن صاحب معملين لاستخراج الزيت من الحجر في المانيا — ويظهر من رسائلهِ اليّ انهُ لا يزال مشتاقاً للرجوع الى ذلك الوادي اي وادي اليرموق المعروف عند الاهلين «بوادي جهنم» لشدة الحر فيهِ

اما هذا الحجر فمن النوع الكلسي واسمهُ العلمي : Bitumen اي القار

وموقع هذا الوادي بين جبلين عظيمين لا يقل ارتفاع كل منهما عن ٥٠ — ٦٠ متر فوق سطح الوادي ويمتدان من تل شهاب الى وادي الحمة — حيث المياه المعدنية الحارة بالقرب من مناخ وطبرية — اي مسافة ٩٠ — ١٠٠ كيلو متراً . ويؤلف هذان

الجبلان من هذا الحجر الثمين ولا يعلم الا الله عمقهما في الارض وامتدادهما عرضاً

سألت الرجل على اثر تقارير جمة قُدِّمت الى الحكومة وبعد ما صرَّح لي بشوق عن رغبته بالبقاء في ذلك الوادي بعد الحرب هل يستطيع ان يضارب شركات الزيت والبترول في اميركا واوروبا بعد الحرب فاجاب « اني بعد الفحص الدقيق والحسابات الكثيرة استطيع ان اقول اني لو وهبت الزيت للحكومة من غير لقاء وبعت لترالاموفياك بليرة تركية واحدة لتمكنت بمساعدة شركة غنية من ان اربح ما يقارب المليون ليرة في السنة . هذا عدا الجير — الكلس — والسمنت الذي كنا ابتدأنا نصنعهُ والبنزين والبنزول والغليسرين الممكن استخراجها بسهولة . قد يظن البعض ان في هذا التصريح مبالغة ولكن متى عرف كثرة ذلك الحجر وسهولة استخراج مقادير كبيرة من الزيت والاموفياك والجير والسمنت بصاريف قليلة صدق رأي المهندس ودهش من هذه الثروة العظيمة في سوريا وفلسطين

قلت للمهندس ولكن المكان غير صحي وهيهات ان تتمكن من جلب العمال الى هذا المكان بعد الحرب ولا يغرنك الآن ما تراهُ من كثرة اليد العاملة لان هؤلاء ما كانوا اتوا الى هذا المكان لولا خوفهم من الجندية والذهاب الى ساحة الحرب وان ما تعطيهم اياه من اجرة كبيرة الآن لا يقبلون اضعاف اضعافهِ في زمن السلم — كانت اجرة العامل البسيط بين ٤٠ — ٧٥ غرشاً تركياً في اليوم ومضاعف هذه القيمة اذا اشتغل ليلاً مع ١٠ ٪ عملة ذهبية وكيلو واحد من الخبز وبعض الايام كيلو ونصف وغرف المنامة تقدم مجاناً للعملة — والعامل في سوريا الآن لا ينال الا نصف هذه القيمة او ثلاثة ارباعها

وقلت لهُ انت ترى ان حمّى الملاريا تفتك فتكاً ذريعاً بالعمال فقال : العلم يستطيع كل شيء وانهُ بالامكان ان نحول وادي جهنم هذا الى فردوس بهيج . الا ترى برلين فانها كانت وضواحيها منذ سنوات من اخبث المستنقعات . وشجر الدفلة حيث يكثر البعوض نستطيع استئصالهُ في مدة قصيرة ونزرع مكانهُ شجر اليوكالبتوس المفيد الصحي . ومتى زال البعوض زالت الملاريا ايضاً

ليست هذه البقعة الوحيدة في سوريا وفلسطين حيث نجد هذا الحجر بل نجدهُ — ولكن ليس بهذه المقادير الكبيرة قرب المرمل في سوريا وقرب النبي موسى على ٢٠

كيلومتراً من القدس الى ناحية اريحا وبحيرة لوط . ويعرف هناك بحجر النبي موسى واهل البلاد يصنعون منهُ آنية جميلة وزخارف جمة يبيعونها من السياح بامعار باهظة . وهو يحوي من ١٥ — ١٧ ٪ من الزيت . اي انهُ افضل من حجر المقارن انما استثمارهُ صعب نوعاً

هذه اعظم ثروة في سوريا اتيت على ذكرها على بعض المتمولين من الوطنيين ينتهون اليها ويسعون الى استثمارها قبل ان يسبقهم الصهيونيون اليها واني اشير عليهم اذا فعلوا ان يستقدموا ذلك المهندس من المانيا اذ هو وحدهُ يمكنهُ ان يفعل ذلك . هذا عدا ما لهُ من الحق الاول في استثمار هذا المعدن لانهُ مكتشفهُ ومكتشف طريقة استثماره . واني اشير عليهم بالاسراع لان كثيرين من الصهيونيين طلبوا اليَّ حينما كنت في الوطن ان اقدم لهم تقريراً عن الاعمال هناك واطلعهم على كيفية الاستثمار فاحلتهم على المكتشف وهذا يدل على ان في نية البعض منهم استثمار هذه البقعة من الارض واذا فعلوا فليبك الوطنيون ثروة طائلة تذهب من ايديهم ولا يصيبهم منها شيء

وفي فلسطين ثروة اخرى غير هذه وان لم تكن في مقامها ذهبت برفقة هذين العالمين الى جنوب بحيرة لوط وكان دليلنا كتاب المانيّ مؤلفهُ جيولوجي المانيّ يهودي لا اذكر الآن اسمهُ انتدبهُ السلطان عبد الحميد لوضع تقرير جيولوجي عن تلك البقعة من الارض وما فيها من المعادن وعلى الاخص البترول . وصلنا بعد مسير نحو كيلومترين من البحر الميت الى الجنوب الغربي في وادي « محوط » او « محوض » حيث وجدنا في وسط ذلك الوادي الوف الامتار المكعبة من الزفت ظاهراً للعيان و يكاد يكون نقياً اي خالياً من التراب وغيره ومن السهل استخراجه ونقلهُ الى فلسطين . وكنا فعلنا ذلك لولا ان الانكليز كانوا على ابواب اورشليم . فالى هذه الثروة العظيمة الثانية اوجه ابصار المتمولين من الوطنيين ايضاً

هذا وتفضلوا يا سادتي بقبول ازكى تحياتي وواقر احترامي ودمتم المخلص

دكار صنفال شديد باز الحداد

باب الزراعة

انتشار زراعة النخيل

للمستر بول بونو في المجلة الجغرافية الاميركية

ضروب الثروة في البلدان الاسلامية كثيرة ولكن الكتّاب والباحثين قلما يذكرون مقام زراعة النخيل بينها على وجه من التحقيق. ولكن بعد البحث والتنقيب في كتب الاسفار والرحلات وتقارير الحكومات المختلفة والقناصل والاحصاءات الرسمية يستطيع الباحث ان يجمع كثيراً من الحقائق التي كانت تحسب نزرة لا تستحق الاهتمام. وخلاصة بحث كهذا تدل على انهُ يوجد نحو ٩٠ مليون شجرة نخيل منتشرة في مختلف البلدان اكثر من نصفها على شواطئ خليج العجم

في العراق وفارس

جاء في كتاب للمستر دَوسن دعاهُ « النخيل وزراعتهُ في العراق » ان في العراق نحو ٣٠ مليوناً من اشجار النخيل منها نحو نصفها مزروع في شط العرب ونحو خمسة ملايين شجرة على ضفتي قنال الحلّه ومليون في بغداد ونواحيها والباقي منتشر في واحات متفرقة على شواطئ الفرات

واما بلاد فارس فاكثر ما يزرع فيها النخيل على شواطئ خليج فارس وفي بعض الاماكن المرتفعة. ويقدر المستر دَوسن عدد اشجار النخيل المزروعة على الجانب الفارسي من خليج فارس مقابل شط العرب بثلاثة ملايين نخلة وسبع مائة وخمسين الفاً (٣٧٥٠٠٠٠) ويؤخذ من تقرير رفعهُ الدكتور فارنشيلد ان في نواحي ميناب في بندر عباس نحو خمسة ملايين شجرة وفي ناحية تانجستان ٢٥٠ الفاً. ولم اوفق الى الوقوف على تقدير ما عن انتشار زراعة النخيل في سائر بلاد فارس ولكني ارى انهُ اذا حسبنا اشجار النخيل فيها كلها نحو عشرة ملايين نخلة لم نبعد كثيراً عن الصواب

في الهند و بلوخستان

يقول المستر اوبرين وكيل المندوب البريطاني في حكومة ملتان بالهند انهُ يوجد

مئات الالوف من اشجار النخيل في ملتان ومظفر جار وديرا غازي خان وديرا اسماعيل خان وباتو وجانغ وبهاو البور والسند ٠٠ يذكر ملن في كتابه « زراعة النخيل في البنجاب ولاهور الذي طبع ١٩١١ » ان الاناث من اشجار النخيل في ملتان بلغت ٣١٥٠٥٥ شجرة وفي مظفر جار ٨٣٨٩٩٩ شجرة وفي ديرا غازي خان ١٢٦٣٨٤ شجرة مجموعها ١٢٨٠٤٣٨

فاذا حسبنا تخمينا ان مضاعف هذا المجموع يشمل كل اناث اشجار النخيل في شمال الهند الغربي كان هناك نحو مليونين ونصف مليون شجرة نخيل انثى. وقد ذكر المستر ملن ايضاً ان في اكثر البلدان التي زارها في الهند كان نصف الاشجار كلها ذكوراً لذلك اذا ضاعفنا العدد ثانية كان عدد اشجار النخيل في تلك البلاد اي خمسة ملايين شجرة

واكبر مزارع النخيل في بلوخستان تقع في وادي بانش غور حيث يقال ان هناك نحو نصف مليون شجرة وفي كاش بكران . وقد لا يقل عدد اشجار النخيل في بلوخستان عن مليون شجرة ولا يزيد على مليونين

في بلاد العرب وسوريا وفلسطين

قيل ان الحسا كان فيها نحو مليوني شجرة على ما جاء في الاحصاء العثماني لسنة ١٨٧٧ ويقدر الدكتور فارتشيلد عدد الاشجار في القاطف بمليون و ٢٥٠ الفاً فيبلغ المجموع لتلك الناحية نحو ٣٢٥٠٠٠٠ شجرة

ويقدر الدكتور فارتشيلد عدد الاشجار في البحرين بنصف مليون شجرة وقد يكون هذا العدد مبالغاً فيه بعض الشيء

ويؤخذ من بعض التقارير القنصلية ان في مقاطعة عمان في بلاد العرب اربعة ملايين شجرة نخيل اكثرها في منطقة الشاطىء المعروفة ببطينة وهي ممتدة الى ١٥٠ ميلاً شمال مسقط . وفي وادي اسماعيل نحو نصف مليون شجرة

ويزرع النخيل في حضرموت على الشاطىء وفي الداخلية ولكني لم اقف على تقرير يذكر عدد الاشجار ولكني اظن ان عددها لا يقل عن ٢٠٠ الف شجرة . واما عدن فلا يزرع النخيل فيها كثيراً ولكنها من اكبر الموانىء لتصدير الرطب (التمر) . ويزرع النخيل ايضاً على شواطىء ارتريا المستعمرة الايطالية في افريقية وفي بلاد الصومال والبلدان المجاورة لها ولكن ما يزرع هناك لا شأن تجاري له

ومعظم النجد البحتي لا يصلح لزراعة النخيل لارتفاعه ولكنك تجد مزارع نخيل زاهرة في الجوف ونجران وبعض الاودية في الداخل واظن ان عدد اشجارها معاً لا يقل عن ١٠٠ الف شجرة . اما الاصير فيقال ان فيها بعض المزارع ولكن محصول التمر فيها لا يكفي لسد حاجات اهلها لذلك لا شأن تجاري لزراعة النخيل فيها

وقد جاء في روايات العرب ان الحجاز هو موطن النخيل الاصلي والعناية بزراعته هناك كبيرة جداً واعظم مزارعه تجدها في العلا والمدينة وتيماء وخيبر وليس من اثر لاشجار النخيل في مكة وانما تجد في المدينة نحو ٣٠٠ الف شجرة على ما جاء في تقرير لمحل جلالتلي وهانكي وشركائهم وهو بيت تصدير في جدة . ولا اظن انك تجد في كل الحجاز اكثر من نصف مليون شجرة

ونجد بعض الحقائق عن جبل شمّر في كتاب الاميرالية الانكليزية عن بلاد العرب فقد جاء فيه ان بقعة تدعى اكدا فيها نحو ٧٥ الف نخلة وان في الجوف ٥٠ الفاً وقد لا يزيد مجموع الاشجار في كل هذه الولاية على ٢٥٠ الفاً . ويقال ان زراعته في القاسم بلغت شأواً بعيداً من الرقي وقد يبلغ عدد اشجاره في مزارع بوريده وعنزه والقصيبه ١٠٠ الف شجرة

اما سلطنة نجد فتستورد اكثر الرطب التي تؤكل فيها من الحسا . واعظم المراكز لزراعة النخيل في نجد الوسطى (العريض) هي الرياض ودارية . ويؤخذ من الصور الفوتغرافية التي رأيتها ان اشجاره هناك لا تزيد على بضعة آلاف . والى الجنوب وادي يدعى وادي الدواسير زاره حديثاً المستر فلبي وذكر حقائق مختلفة عن الضرائب التي تجمع هناك يستنتج منها ان محصول الرطب هناك يبلغ نحو ٥ ملايين رطل . ويمكن الحصول على هذا المقدار من نحو ٥٠ الف نخلة الى مائة الف . وفي الاخبار العربية ان زراعة النخيل في وادي جبرين متسعة جداً حتى لتضارع الحسا . وقد زارها المستر تشيزمن سنة ١٩٢٥ وكتب عنها في الجورنال الجغرافي مقالاً مسهباً لكنه لم يذكر ارقاماً عن انتشار زراعة النخيل فيها انما يؤخذ من صوره الفوتغرافية انها لا تزيد على بضعة آلاف . واذا جمعنا كل ما في نجد من اشجار النخيل لم تزد على ٢٥٠ الفاً . ولا شأن كبير لاواسط بلاد العرب في زراعة النخيل وهذا امر معروف لدى علماء الجغرافية مع انه يناقض الروايات الشائعة بين العرب . ولا يخفى ان اكثر الارقام التي مرّ ذكرها عن زراعة النخيل في بلاد العرب تقديري الاّ انها اقرب الى الصواب مما نشر قبلاً واذا جمعنا كل ما يزرع في بلاد

العرب من النخيل بلغ تسعة ملايين شجرة ثلاثة ارباعها في شواطئ خليج فارس الغربية وفي عمان والحسا

ويزرع النخيل في جنوب وادي الاردن وغزه وترب بيروت وطرابلس ولكن ما يزرع منهُ قليل لا شأن لهُ في احصاء عام

في مصر وليبيا والقيروان

جاء في احصاء الحكومة المصرية لسنة ١٩٠٧ انهُ كان في مصر ما يزيد على عشرة ملايين شجرة نخيل يضاف اليها نحو ٤٧ الف شجرة في العريش و ٣٩٧٤ شجرة في سينا ونحو نصف مليون شجرة في الواحات الغربية ومجموعها نحو ١١ مليون شجرة

ويؤخذ من بحث مسهب للعالم تشلس الايطالي ان مستعمرة طرابلس الغرب فيها نحو ٩ ملايين شجرة او مثل ما في الجزائر وتونس معاً ومعظم هذه الاشجار في الواحات التي على حدود الصحراء وكثير منها لا يخضع لحكم الطليان ولذلك فقد يكون هذا العدد اكثر من العدد الحقيقي

اما القيروان ففيها نحو مليون ومائتي الف شجرة منها ٢٠ الفاً على الشاطئ . وقد جاء في كتاب الاميرالية الانكليزية عن صحراء ليبيا ان هنالك ٤٠ الف شجرة في جيلة ومائة الف في جالو و ٤٠ الفاً في وداي و ٣٠ الفاً في لكز ومائة الف في سلاّ . والراجح انهُ لا يوجد في واحات انكنرة معاً اكثر من ٧٥٠ الفاً . وقد ثبت الآن ان تقدير الرحالة رولنس كان بعيداً عن الصواب . ولم تذكر روزيتا فوربس ولا حسنين بك تقديراً ما عن زراعة النخيل في تلك الواحات

في افريقية الفرنسوية

في تونس ٢١٣٨٠٧٥ شجرة نخيل حسب احصاء ١٩٢٠ اكثر من نصفها في واحات صحراوية كالجريد ونفزاوى . وهنالك مزارع نخيل كبيرة في جابس وجفسا وجربا فيها نحو ٩٠٠ الف شجرة

وفي الجزائر ما يزيد على سبعة ملايين شجرة . وهذا التقدير مبني على حقائق جمعت من مكتب الحاكم العام سنة ١٩٢٤ :

وفي مراكش اكثر من مليون شجرة قليلاً حسب تقدير ادارة الزراعة برباط سنة ١٩٢٤

واظن ان اشجار النخيل في المستعمرات الفرنسوية بافريقية الغربية لا تقل عن نصف مليون شجرة

ويزرع النخيل في اسبانيا في بلدة الشي نحو ١٠٠ الف شجرة . كذلك يُزرع في استراليا وجنوب افريقية واميركا الجنوبية والمكسيك وجنوب كاليفورنيا بالولايات المتحدة وارزونا وغيرها . ويقال ان لزراعته في برازيل وبيرو والارجنتين مستقبلاً باهراً

يؤخذ مما تقدم ان عدد أشجار النخيل المزروعة الآن يبلغ نحو ٩٠ مليوناً

وبعض هذه الارقام مبني على التخمين ولكن ما يتعلق بالبلدان التي فيها معظم النخيل بنيت الارقام على احصاءات رسمية للحكومات التي تحكمها كما في العراق ومصر وطرابلس الغرب وشمال افريقية الفرنسوية . ومتى اجري احصاء دقيق لزراعة النخيل في مختلف البلدان قد لا نجد في هذا العدد من الخطاء اكثر من ٥ في المائة زيادة او نقصاً

من صحراء جرداء

الى جنة نضرة

مشروع ري الجزيرة وخزان سنّار

منذ عشرين سنة امتطيت هجيناً من هجن السودان المعروفة بالصهب واخترقت سهل الجزيرة بالقرب من ود مدني عاصمة مديرية النيل الازرق فشاقني ما رأيتهُ من تربة الارض ومقدار ما فيها من خصوبة يشعر بها الراكب من تشقق الارض وتقلص اجزائها في زمن الجفاف وهو دليل عند الفلاح المصري على قوة الارض وجودة معدنها . وقد سرت عدة اميال قطعت فيها مئات من الافدنة لم يكن فيها من النبات سوى الذرة الرفيعة المعروفة عند السودانيين باسم الفتريتة وهي لا تميل لها بين اصناف الذرة المصرية . وكانت زراعة الذرة محصورة في بعض مناطق من الارض وما بقي تمت فيهِ حشائش واعشاب مختلفة تتخذ كلأً للماشية طول ايام السنة

وقد اطلقت لفكري العنان في تصور هذه الاراضي التي وصلت الى نتيجة واحدة هي ان اتساع نطاق الاعمال القطنية في انكلترا وكثرة الطلب على الاقمشة لا بد ان تدفع بذوي المال من الانكليز الى استثمار هذه الاراضي خصوصاً وان الحكومة المصرية في ذلك العهد كانت قد حتمت على حكومة السودان ان لا تروي اكثر من ٢٠ الف فدان ريّاً مستديماً بالآلات الرافعة

وبعد مضي عشر سنوات من ذلك التاريخ اي قبل شبوب الحرب العالمية ببضعة اشهر اخترقت سرة اخرى هذه البقعة وما بعدها بقطار سكة الحديد الذي كان يسير من الخرطوم مخترقاً الجزيرة الى سنار ثم يتعطف غرباً مارّاً فوق النيل الابيض بواسطة جسر (كوبري) الى ان يصل الى بندر الابيض عاصمة كردوفان. في ذلك الوقت بدئ العمل الزراعي في سهل الجزيرة اذ أُنشئت مزرعة على مسيرة ستة اميال شمال ود مدني بلغت مساحتها خمسة آلاف فدان وكانت تروى بالآلات الرافعة التي نُصبت على النيل الازرق. ومما يستحق الذكر ان اليد التي غرست اول شجرة قطن في سهل الجزيرة كانت يداً مصرية فان جماعة الصعايدة الذين جيء بهم وقتئذٍ الى السودان لمد السكك الحديدية اشتغلوا في زرع المزرعة الجديدة المشار اليها بطريقة تقسيم المحصول فربح الواحد منهم من الزرعة الاولى ١٥٠ جنيهاً الى ٢٠٠ جنيه فلم يطيقوا البقاء وهذه المبالغ في جيوبهم بعيدين عن الاوطان فحنّوا اليها حنيناً جعلهم ينسلّون تحت جنح الظلام عائدين الى بلادهم لا يلوون على شيء ولا يحرضون غيرهم على ارتياد تلك البلاد النية الغنية

وقد قضت سنّة العمران ان يخو سكان السودان بعد الفتح الاخير نموّاً لا مثيل لهُ في بلاد اخرى. فقد ذكر الباحثون ان سكان تلك البلاد بلغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نحو عشرة ملايين نفس. فلما اجتاحت المهدية البلاد وحكمت اهلها بالسيف والنار وجمعت معظم القبائل الكبيرة في ام درمان حتى فاق عدد سكانها في ايام خليفة المهدي أكثر من مليون نفس فتلت الزراعة المطرية وانتشرت الامراض والاوبئة في البلاد خصوصاً مرضا الجدري والحصبة وما كان من الجوع والقحط عام ١٨٨٨ — كل هذه العوامل مع الحروب الاخيرة التي وقعت عند فتح السودان حديثاً انزلت عدد السكان الى مليوني نفس ثلاثة ارباعهم من الاناث والربع من الذكور

فتح السودان سنة ١٨٩٨ واهلهُ كالطبيل الذي ادنفتهُ المرض وانهكت قواهُ الادواء فمد لهُ النظامي يد العون واسعفهُ بالعلاج فتماثل الى الشفاء وساعدتهُ طبيعة البلاد و بقاؤهُ على الفطرة الاصلية على الابلال من مرضهِ فدخل في دور النمو السريع وكان نموهُ مدهشاً لم توقفهُ الامراض والاوبئة ولا شلت حركتهُ الحاجة الشديدة الى الطعام

ولما تولى فضيلة الشيخ محمد شاكر رآسة القضاء الشرعي في السودان اصدر منشوراً بتحديد الصداق فجعلهُ للفتاة ١٠٠ قرش وللثيب ٥٠ قرشاً فاقبل الاهالي على زواج الارامل وكنّ كثيرات فولدن البنين بكثرة كان يشعر بها من يمر في القرى السودانية بعد

سنة ١٩٠٢ اذ يرى اطفالاً كثيرين يلعبون في جوانبها وهم اصحاء الابدان عراتها

هذا الجيل الذي ولد في ذلك العهد بلغ افرادهُ الآن سن الرجولية وقد شبوا على غير ما كان عليه آباؤهم فقد كانوا يعتمدون على الرقيق في الحصول على اقواتهم فنشأوا على حب الكسل والميل عن العمل. فلما اوقفت الخاسة وبطل الرق واباحت الحكومة للرقيق القديم شيئاً من الحرية عمدت الناشئة الحديثة الى الاعتماد على نفسها وصار الشبان يسعون للحصول على عيشهم بعرق جبينهم ثم تطلعوا حولهم الى جيرانهم من مصريين وسوريين وافرنج فرأوهم يجاهدون في سبيل العيش ويعيشون عيشاً رغداً فمالوا الى تقليدهم وهذا يقتضي مالاً والمال يحتاج الى الكد والكدح وهذان يقويان الاجسام ويفتلان العضل ويخلقان في المرء روح الاقدام ولما رأيت الجيل الذي انا بصدده وقد بلغ افرادهُ الآن الخامسة والعشرين من اعمارهم يشتغلون في سهل الجزيرة ليلاً ونهاراً وقد أقطع كل شخص منهم ٥٠ فداناً يزرع ١٠ منها قطناً و١٠ «ياقاً» ويترك العشرة الثالثة بوراً ليزرعها قطناً في العام التالي وهكذا

وقد رأيت بعض هؤلاء المزارعين في مكوار وشهدت عمل غيرهم اثناء مرورنا في بركات فاذا هم نشطون مجدون واذا اجسامهم صحيحة قوية لم يتطرق اليها مرض البلهارسيا او الانكلستوما كما تطرق الى الفلاح المصري فاضعفهُ وقلل قوة الانتاج فيهِ. وقد قال لي احد اليكتر يولوجيين ان هذين المرضين يرافقان الري المنتظم كما يشاهد من شدة انتشارهما في الوجه البحري وقلتهِ في الوجه القبلي بين القطر المصري وان على حكومة السودان واجباً محتماً هو مقاومة هذين الداءين قبل انتشارهما واتخاذ الطرق الفعالة لدرء خطرهما

***

زرع في سهل الجزيرة في شهر يونيو الماضي ٨٠ الف فدان من القطن السكلاريدس وبدء الجني فيها في شهر يناير الماضي. وقد قدر الخبير محصول الفدان الواحد من $3\frac{1}{4}$ — $3\frac{3}{4}$ القنطار أي من ٣٨٠ الف الى ٣٠٠ الف قنطار. وفي السودان مزارع اخرى للافراد يزرع فيها هذا الصنف من القطن والصنف الاميركي وهي تنتج نحو نصف هذا المحصول. وهناك القطن الذي يزرع في طوكر وكسلا ومجموع كل هذه الاصناف لا يزيد على ٦٠٠ الف قنطار. ولكن هذا المقدار آخذ في الزيادة التدريجية البطيئة لان حكومة السودان لا تنوي التوسع في ري الجزيرة لسببين اولهما عدم اتمام مشروعات الري التي تخص القطر المصري فقد قر الرأي مؤخراً على ترك مياه النيل الازرق على حالتها

الحاضرة الى ان تستغني مصر عنها بالنيل الابيض . والسبب الثاني عدم كفاية الايدي العاملة في السودان لتوسع كبير وان حكومة السودان مصرة على ابقاء الاراضي لاهلها ليزرعوها والاقتصار عليهم وعدم وهم الآن يكادون لا يكفون للمشروع الحاضر

وتختلف زراعة القطن في السودان عن زراعته في مصر اختلافاً كلياً اوجدته طبيعة الارض فهم يزرعونه هناك في شهر يوليو كما اسلفت و بعد ان يبذروا البذار في الارض و يسقونها للمرة الاولى تمطرها السماء غيثاً مدراراً في ذلك الفصل من السنة فتنمو مع القطن بعض الحشائش البرية . فاذا جفت الارض اقتلعها الزراع بآلة بسيطة و بطريقة سهلة . وتكون شجيرات القطن حينئذ قد اخذت الارض فتعيق نمو تلك الحشائش فلا يبقى امام الفلاح سوى ملاحظة ري القطن عند مجيء دوره الى ان تنضج لوزاته ويبدأ في جمعه . فلا عزيق ولا ترقيع ولا خف ولا سماد ولا شيء مما يقوم به الفلاح المصري في خدمة قطنه . اذاً فلا غرابة اذا استطاع الرجل والفراد عائلته ان يقوموا بزراعة عشرة افدنة قطن بدون حاجة الى مساعدة من الخارج الاّ في وقت الجني عند ما يكثر مجيء الفلاتة من غرب السودان قاصدين الحجاز مشياً على الاقدام فيقومون بعملية الجني باجور زهيدة

وقد حسبت اثناء وجودي بالخرطوم مع كبير مفتشي مصلحة الزراعة هناك حساب العمل لزرع الذرة المطرية وقارنته مع مقدار العمل في زرع القطن في مشروعات الجزيرة فلم نجد فرقاً بين العملين يعني ان الفلاح السوداني لم يزد حمله الزراعي سوى من باب الكمية وهي اكثر من الاولى وهو يريد ذلك لانه اصبح ميالاً الى الكسب والحصول على مال فوق حصوله على قوته اليومي

وقد اتبعت حكومة السودان في معاملة المزارعين في مشروع الجزيرة التقاليد الوطنية المتبعة بين الاهالي بعضهم مع بعض . فهم لا يؤجرون اراضيهم بعضهم لبعض بل يزرعونها بطريقة تقسيم المحصول بين المالك والمزارع . وعلى هذه القاعدة تعطي حكومة السودان للزارع ٤٠ في المائة من محصول القطن وتأخذ لنفسها ٣٥ في المائة وتعطي لشركة السودان الزراعية ٢٥ مقابل ما تقوم به هذه الشركة من اعداد الاراضي للزراعة والبذرة ومراقبة سير العمل . اما محصول «الباق» فيأخذه المزارع كله دون ان يدفع شيئاً مقابله

واذا رجعنا الى تقدير المحصول الذي اشرت اليه في هذه المجالة نرى ان معدل محصول الافدنة العشر من القطن يبلغ ٣٦ قنطاراً ومعدل ثمنها كلها ٢٧٠ جنيهاً باعتبار

سعر القنطار سبعة جنيهات ونصف جنيه يأخذ المزارع منها ١٠٨ جنيهات هذا علاوة عما يأخذهُ من الاقدنة العشر الاخرى من ذرة لمؤونة بيته وعلف لماشيته لا تقل قيمتها عن ٤٢ جنيهاً

ويستطيع المزارع ان يربي ماشيتهُ في مزرعته وينتفع من البانها ويربح من بيعها بعد تسمينها ربحاً لا يكلفهُ نفقة ما لانهُ يطعمها من الحشائش التي يلتقطها من زراعة القطن ومن اغصان اللوبيا التي تعتبر هناك سماداً جيداً للارض

والخلاصة ان مشروع وادي الجزيرة الذي انفق عليهِ الراسماليون الانكليز نحو ١١ مليون جنيه اذا عاد بالفائدة على مغازل لانكشير وفربول ومنشستر فانهُ سيعود بالرخاء والثروة على اهالي السودان وانهُ كلما توسعت حكومة السودان في هذا المشروع كلما اتسعت موارد الرزق لاهلهِ الذين سيأخذون بعد نصف قرن مكاناً لائقاً بين الشعوب الناهضة الفتية

حلوان اسكندر تادرس

خزان سنار والقطن في السودان

الجزيرة اراض واسعة مثلثة الشكل بين البحر الازرق والبحر الابيض اي بين فرعي النيل الاصليين جنوبي الخرطوم تبلغ مساحتها اكثر من ثلاثة ملايين فدان اي نحو مساحة الاطيان التي تزرع الآن في الوجه البحري . لكنها كانت محرومة من الري فلا يزرع منها الاَّ القليل بماء المطر . رآها السر وليم غارستن فاشار في اوائل هذا القرن بانهُ يمكن ريها ريًّا صناعيًّا فتأتي بخيرات كثيرة وخطهُ السر مردوخ مكدونلد فاشار باسلوب لريها وهو ان يبنى سد على البحر الازرق في مكوار على بضعة اميال من مدينة سنار جنوباً ولكن لم تدبَّر الاموال اللازمة لذلك الاَّ سنة ١٩١٣ فشرع في بناء هذا السد سنة ١٩١٤ وجاءت الحرب فتوقف اكثر العمل ثم أعيد بعد الحرب. وتمَّ بناء هذا السد فحزن الماء وراءهُ وفتحهُ اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في ٢٠ يناير مع انهُ تمَّ منذ يونيو واستعمل في الخريف الماضي للري والسد بناء عظيم طولهُ ٣٠٠٠ متراً مبني بحجارة الغرانيت والسمنت فيهِ ٤٣٢٤٤٠ متراً مكعباً من الحجر والسمنت ومعظم ارتفاعهِ ٣٩ متراً ونصف متر وفي الجزء الاوسط منهُ وطولهُ ٨٠٠ متر ٨٠ فتحة كبيرة فوقها ٢٢ فتحة اصغر منها وعلى جانبي هذا الجزء الاوسط عشرون فتحة اخرى وقد بلغت نفقات هذا البناء والترع الممتدة منهُ ٨٥٠٠٠٠٠ جنيه واذا تمَّ العمل لارواء كل الجزيرة بلغت النفقة ١٣ مليون جنيه

والخزان الحاصل من بناء هذا السد يسع ٦٣٦ مليون متر مكعب من الماء يطير بعضها بالتبخر فيبقى منها ٤٨٥ مليون متر مكعب للري. ويقدَّر هذا الخزان في توفير ويستعمل ماؤهُ للري من اواسط يناير الى اواسط ابريل. والارض المعدة للزراعة الآن من الجزيرة ومساحتها ٣٠٠٠٠٠٠ فدان تبعد عن الخزان ٥٧ كيلو متراً فتصل اليها المياه بترعة طولها ١١٤ كيلو متراً فيزرع ثلثها اي ١٠٠٠٠٠٠ فدان قطناً كل سنة و ٥٠٠٠٠٠ فدان ذرة طعاماً للفلاحين و ٥٠٠٠٠٠ فدان لو بياء علفاً لمواشيهم وتترك ١٠٠٠٠٠٠ فدان براً لتزرع في السنة التالية وهلم جرًّا

ولا يراد ان يتم ري الجزيرة كلها الاَّ اذا بنت الحكومة المصرية سدًّا آخر على البحر الابيض عند جبل الاولياء على ثلاثين ميلاً من الخرطوم جنوباً لتخزين به المياه الكافية لري القطر المصري كلهِ وعليهِ فيحتمل ان يزرع في الجزيرة مليون فدان قطناً كل سنة اذا بنت الحكومة المصرية خزان جبل الاولياء وضمنت الماء الكافي لري القطر المصري كلهِ

اوراق النبات المنيرة

يظهر احياناً في الاوراق المتعفنة من الاشجار نور ابيض فسفوري ولاسيما اذا دبَّ فيها البلى . ويظهر مثل ذلك في الخشب البالي وجذور الحشيش وكان المظنون ان هذا النور يحدث من تولُّد نوع من القطر المنير عليها وان هذا القطر يولد مادة اذا اتصلت بالاكسجين الهواء والماء انارت لانهُ يحدث حينئذٍ فيها احتراق كهادي بطيء خالٍ من الحرارة . الاَّ ان الاستاذ بوز من اساتذة كلية الطب بكلكتا تحقق بعض هذه الاوراق والاخشاب المنيرة بعد ان اضاف اليها ماءً بارداً او سخناً فبطلت انارتها دلالة على ان القطر المنير فيها لا يفرز مادة تنير اذا اتصلت بالاكسجين او بالماء بل ان هذا القطر نفسهُ ينير ما دام حيًّا. وايَّد ذلك بانهُ وضع الاوراق المنيرة في اناء وادخل اليهِ اكسجيناً صرفاً فزاد نورها بهاءً . وابدل الاكسجين بغاز الهدروجين والنترجين فبطلت الانارة ثم ادخل الاكسجين فعاد النور. وضع الاوراق في اناء واخرج الهواء منهُ فبطلت الانارة ثم ادخل الهواء فعادت . واذا وُضعت هذه الاوراق في الكلوروفورم او الالكحول بطلت الانارة وكذلك اذا وضعت في مكان جاف تماماً دلالة على انها تنير ما دام قطرها حيًّا فاذا مات القطر بطلت الانارة

باب تدبير المنزل

قد قصدنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة راعية البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شبهات الذكاء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

انتقال العدوى وحاملو المكروب

تدل المباحث العلمية الحديثة والتجارب الطبية على ان اكثر الامراض المعدية تنتقل من المريض الى السليم مباشرة اذا كان احدهما قريباً من الآخر ولا يراد بذلك لمس الصحيح للمريض او لمس ثيابه واغطية سريره بل مجرد التقرب منهُ كاف لانتقال العدوى لان مكروبات اكثر الامراض تخرج من رئتي المريض او حلقه او انفه او فمه حين الكلام او السعال او العطاس . فاذا اضفت الى ذلك المصافحة والتقبيل ولمس ثياب المريض او الاشياء التي لمسها قبلاً ككتاب كان يقرأ فيه او مرآة كان ينظر اليها اجتمعت لديك ابسط الوسائل وافعلها في نقل مكروبات الامراض المعدية . ومتى اتصلت المكروبات باليدين سهل اتصالها الى الفم والانف وسائر الاعضاء

كان يظن قبلاً ان العدوى تقيم زمناً طويلاً في ثياب المريض واثاث غرفته والغبار العالق بجدرانها ولكن المباحث الحديثة اثبتت ان المكروبات المرضية اي التي تسبب الامراض المعدية تكون في الغالب قصيرة العمر لا تستطيع ان تحتفظ بقوتها طويلاً خارج الجسد يستثنى منها مكروبات الانثراكس والتتانوس وسبب ذلك ان مكروبات هذين المرضين تكوّن لها قشرة متينة بعد انفصالها عن الجسم تعيش فيها فلا تفعل فيها التواعل التي تميت المكروبات الاخرى كنور الشمس والحرارة وما اليهما . ولذلك يكاد جمهور الباحثين يجمع الآن على ان العدوى تنتقل مباشرة من المريض الى السليم بالطرق التي ذكرناها الاَّ في مرضي الانثراكس والتتانوس وفي الامراض التي من نوع الحمى المعدية كالكوليرا والدوسنطاريا . فان المكروبات التي تسبب هذه الامراض تكون في براز المريض وتنتقل عن طريق اللبن والماء وما اشبه من مواد الشراب والطعام متى تلوثت بها . ومع ذلك فانتقال العدوى مباشرة في هذه الامراض ليس نادراً

وقد كان الرأي القديم القائل بانتقال العدوى عن طريق الثياب والاثاث ناجماً عن الجهل بوجود اناس يحملون مكروب احد الامراض من غير ان يصابوا به فيكونوا واسطة لنقل العدوى الى الاصحاء ويدعى هؤلاء حاملو المكروبات Carriers . وقد عرف الاطباء وجود « حاملي المكروب » في كثير من الامراض المعدية كالدفتيريا والتهاب الدماغ النخاعي والانفلونزا وحمى الامعاء والكوليرا والدوسنطاريا

وللاصابات الخفيفة التي لا يُدعى الطبيب لمعالجتها شأن كبير في نشر العدوى. ذلك لان المصاب باعراض خفيفة لا تحملهُ على دعوة الطبيب فلا يُشخَّص مرضهُ تشخيصاً صحيحاً ولذلك يبقى حاملاً للمكروب يلوّث بهِ من يتصل بهِ من الناس من غير ان يدري لذلك اذا أُريد عزل المصابين عزلاً تامّاً فعّالاً وجب ان لا يقتصر العزل على المصابين الذين تظهر عليهم كل اعراض الداء بل على المصابين اصابات خفيفة لا تحتاج في الظاهر الى معالجة الطبيب وعلى « حاملي المكروب » الذين لا تظهر عليهم اعراض مرض ما . وهذا العزل التام متعذّر ولذلك تبقى بعض الحوادث دائماً مصدراً للعدوى وهذا هو السبب في عدم استئصال بعض الامراض المعدية في المدن التي بلغ فيها نظام الصحة العامة شأوا بعيداً من الدقة والاحكام

فساد الاطعمة

تضطر ربة البيت احياناً كثيرة ان تبقي جانباً من اللحم من يوم الى آخر فاذا كان الفصل بارداً فالغالب انها تجدهُ سليماً ولكن اذا كان الفصل حارّاً فالغالب انها تجدهُ قد فسد واذا طبختهُ فقلما يسلم من يأكلهُ من الضرر . فلماذا يسلم اللحم في الفصل البارد ويتعفن في الفصل الحار . يظن لاول وهلة ان الحرّ نفسهُ يفسدهُ لكن ذلك غير صحيح كما يظهر بادنى نظر فان اللحم يشوى على النار ولا يفسد ويطرح في الصحراء المحرقة فيجف ويبس ولا يفسد ايضاً فليس الحر سبب فساده وكذلك قد يفسد اللحم ولو كان الفصل بارداً فما هو اذاً سبب الفساد

خذ اللحم الجديد وضعهُ في اناء من الصفيح والحمهُ حالاً بعد ان تحتهُ واتركهُ يوماً او يومين وشهراً بل شهرين فلا يفسد ثم افتح الاناء وعرضهُ للهواء يوماً او يومين فالغالب انهُ يفسد . ويظهر من ذلك كأن الفساد اتاهُ من الهواء ولكن اذا فتحت الاناء وسددتهُ بقطعة من القطن النقي التي لا تمنع دخول الهواء اليهِ فانهُ لا يفسد فالفساد ليس من الهواء

نفسه بل هو من شيء في الهواء علق بين الياف القطن . وهذا هو الصحيح . وكما يفسد اللحم من شيء في الهواء يفسد من اتصال لحم فاسد به وسبب الفساد في الحالين واحد وهو مكروب الفساد فان هذا المكروب يكون في الهواء عادة و يلصق بجوانب الآنية والاقفاص التي يوضع اللحم فيها ولاسيما اذا لصق بها قليل من اللحم فاذا كان الفصل بارداً جداً تأخر نموهُ كثيراً لان الحرارة المستدلة لازمة لنمو مقوية لهُ واما البرد الشديد فيوقف نموهُ او يمنعهُ ولهذا ينقل اللحم الآن من استراليا او من اميركا الى بلاد الانكليز من غير ان يفسد لانهم يضعونهُ في غرف مبرَّدة جداً حتى يصير ما فيها كالثلج او ابرد فلا تتكاثر فيها المكروبات و يبقى اللحم سليماً منها

ولا تستطيع ربة البيت ان تبرد هواء بيتها الى درجة تمنع فساد اللحم ولا تستطيع ايضاً ان تمنع الهواء عن اللحم ولكنها تستطيع منع الفساد بالمحافظة على نظافة الاقفاص والآنية التي تضع فيها اللحم فانها اذا كانت نظيفة جداً خالية من كل آثار اللحم المنتن بقي اللحم فيها يوماً او يومين من غير ان ينتن ولو كان الفصل حاراً واما اذا كان فيها اثر من اللحم الفاسد اتصل ميكروب الفساد منهُ الى اللحم الذي يوضع فيها وافسدهُ حالاً

اللباس والنور والصحة

كتبنا في مقتطف يونيو سنة ١٩٢٤ مقالة عنوانها « نور الشمس الشافي » وصفنا فيها الطريقة التي يجري عليها الدكتور رولييه في ليزان بسويسرا في معالجة حوادث التدرن العظمي. والمقالة الثانية من مقالات هذا الجزء تدور على فعل النور في الاحياء . وقد تلقينا بعد كتابتها الجزء الاخير من مجلة العلم العام فاذا فيه مقالة عنوانها « هل نكثر من لبس الثياب » اقتطفنا منها ما يلي

في اوربا حركة جديدة شعارها « اخلعوا الثياب » وقد انضم اليها مئات الالوف من الناس فهم يسبحون ويجرون و يلعبون الالعاب الرياضية عراة. وقد بدأت هذه الحركة في المانيا بعد عرض شريط سينماتوغرافي على عنوانهُ « السبيل الى الصحة والجمال » مثَّل فيهِ صانعوهُ احدث الاراء العلمية فيما للنور من الاثر في الصحة . وشهد هذا الشريط الوف من الذين لم يستمعوا قبلاً بالاشعة الكيماوية اي الاشعة التي فوق اللون البنفسجي التي تزيد قوة الجسم على مقاومة الامراض . ورأوا فيهِ ايضاً ان كثيراً من الامراض كالاكزيما والكساح والتدرن لا تعالج الاَّ بنور الشمس وادركوا ان زجاج الشبابيك يحجب هذه

الاشعة المفيدة فلا تدخل البيوت - وما يفعله الزجاج تفعله الثياب ايضاً

ولذلك اخذ الناس يؤلفون جمعيات غايتها تحرير الناس من قيود الملابس وسبيلها القيام بالرياضة البدنية في الهواء الطلق تغمر اجسادهم اشعة الشمس المنشطة المفيدة. وقد انعقدت هذه الجمعيات الآن ومجلس اتحادها يدير الآن ١٨٠ حديقة و٩٠٠ ملعب و٣٠٠ حمام يلعب فيها الناس ويستحمون بنور الشمس والقانون الاساسي الذي يجري عليه جميع الاعضاء هو خلع الثياب حين الدخول الى احد هذه المنشآت

وقد احتج رجال البوليس اولاً على هذه الاعمال ولكن الحركة اخذت تنتشر انتشاراً سريعاً حتى خرجت عن طاقتهم فهم يكتفون الآن بمنع الناس من المشي في الشوارع عراة ولكنهم لا يتعرضون لهم اذا لعبوا كذلك في اندديتهم الخاصة

وقد امتدت هذه الحركة الى بلاد الانكليز وسويسرا واسوج واعترض رجال البوليس الانكليزي ايضاً اعتراضاً شديداً عليها ولكنهم سمحوا في العيد الماضي لهواة السباحة ان يلبسوا اثواباً قصيرة تستر العورة فقط

وقد كتب الدكتور ليونارد هل مدير المعهد الوطني للبحث الطبي في لندن واحد كبار الثقات في موضوع فائدة نور الشمس في العلاج اشار فيه على الرجال بان يقللوا ملابسهم مثلما تفعل النساء واشار على النساء اللواتي يردن ان يكنّ جميلات وان يتمتعن بصحة جيدة ان يلبسن اثواباً قصيرة وجوارب من الحرير الصناعي ويعرين اذرعتهن ورقابهن وهذا الرأي الطبي ينطبق كل الانطباق على ما تستدعيه الازياء الحديثة

وقد ثبت الآن ان الرجال يعرضون للاصابة بالزكام وما اليه من الادواء اكثر مما تعرض لها النساء لانهم يكثرون من الملابس. فقد اجرى الدكتور سميلي احصاء دقيقاً في جامعة كورنل باميركا مدة اربع سنوات فوجد ان الشبان من الطلبة فيها معرضين للزكام اكثر من البنات. وشركات التأمين على الحياة في اميركا اثبتت ان عدد الرجال الذين ماتوا من النزلة الصدرية يفوق عدد النساء في ربع القرن الماضي الذي حتمت فيه المودة على المرأة ان تقلل ثيابها. وقد وجدت احدى الشركات التي يبلغ عدد المؤمنين على حياتهم فيها ستة ملايين ان ٩٤ رجلاً من كل مائة الف مؤمن ماتوا بالنزلة الصدرية يقابل ذلك ٦٧ من النساء

وسبب ذلك ان في الجسم جهازاً عصبياً خاصاً عمله تعديل ورود الدم الى سطح الجلد حسب تغير حرارة الهواء. وان هذا الجهاز العصبي لا يبقى في حالة صحية الا

بالرياضة المنتظمة واتساع المجال امامهُ ليقوم بوظيفته. فاذا غطينا الجسم بالاثواب الدافئة لم يعد الجسم يحتاج الى عمل هذا الجهاز فيستولي عليهِ الضعف و يصبح غير قادر على تلبية مطالب الجسم لحفظ حرارته الطبيعية التي تتغير بتقلب حالات الهواء . وكما ان الملابس تحجب نور الشمس عن الجسم كذلك تمنع حركة الهواء حولهُ. وقد جرّب احد الاطباء في شيكاغو تجارب في اجراء الكلاب ليعرف ما هو اثر التعرض للهواء الطلق في الصحة فالبس بعض الاجراء اثوابًا كثيفة من الفلانلا يغطي الثوب منها كل جسم الجرو عدا رأسهُ ورجليهِ ووضع الاجراء في مستنبت ومعها اجراء اخرى لم تلبس شيئًا واطلق الهواء في المستنبت فماتت الاجراء التي كانت لابسة ولم تصب الاخرى باذى

وقد ثبت للباحثين ان الاشعة التي فوق البنفسجي وهي الاشعة المفيدة صحيًا تنفذ من الحرير الصناعي اكثر مما تنفذ من الاقمشة الاخرى لذلك ينصح الاطباء السيدات بلبس جوارب الحرير الصناعي . وكما قلّت طبقات الثوب قلّ ما يصيبهُ من القصر بحجب هذه الاشعة

و يقول الدكتور هس من مشهوري اطباء نيو يورك انهُ جرب تجارب كثيرة فيما للاشعة التي فوق البنفسجي من الاثر في الكتاكيت والجرذان فعرّض بعضها للاشعة التي فوق البنفسجي ولاحظ ما يلزمها من الوقت حتى يكسبها هذا التعرض مناعةً ضدّ مرض الكساح . ثم البس هذه الحيوانات اثوابًا رقيقة من قطن النانسوك فوجد ان زمن التعرض اللازم يزداد بزيادة الملابس

حشرات البيت

حشرات البيت كثيرة كالجرذان والفيران والذبان والصراصير والبراغيث والبق والنمل والبعوض وكلها مما يمكن التخلص منهُ بالنظافه واحكام مرتفقات البيت لان هذه الحشرات لا تتولد ولا تكثر الاّ حيث تجد لها طعامًا والاقذار طعامها في الغالب فاذا كان البيت نظيفًا تمام النظافة وكانت مرافقهُ محكمة كلها ولم يكن فيهِ شقوق وثقوب تأتي منها الجرذان والفيران والصراصير والنمل ولا ماء راكد يتولد فيهِ البعوض سلم من الحشرات الاّ ما يأتيهِ من الخارج كالذبان التي تتولد فيما يلقى حول البيت من الزبل. ولذلك تجد المدن الاوربية التامة النظافة خالية من الحشرات

باب التقريظ والانتقاد

الصحافة ورجال السياسة

Politicians and the Press.

اهدى الينا لورد بيفر بروك صاحب جريدة الديلي اكسبرس والصندي اكسبرس وغيرها من الصحف الانكليزية نسخةً من كتابه الجديد الذي عنوانهُ « الصحافة ورجال السياسة » . ولا يخفى ان لورد بيفر بروك ابن قسيس كندي من اصل اسكتلندي ولد في كندا سنة ١٨٧٩ واشتغل بالتجارة فيها فاثرى وهو لا يزال في مقتبل العمر ثم انتقل الى بلاد الانكليز فانتخب عضواً في البرلمان من سنة ١٩١٠ الى سنة ١٩١٧ ثم عين وزيراً لدوقية لانكستر فوزيراً «للاخبار» سنة ١٩١٨ ورقي الى مصاف الاعيان فاعتزل الاشتغال بالسياسة مباشرة مؤثراً الاشتغال بها عن طريق الصحافة فاشترى جريدة الديلي اكسبرس ثم انشأ الصندي اكسبرس وقد كتب هذا الكتاب ليبين موقف جريدتهِ في اهم الشؤون السياسية بعد عقد الهدنة كالانتخاب العام الذي تلاها والمعاهدة مع ارلندا وسقوط وزارة لويد جورج بعد حادثة جناق قلعة وتصفية الدين الانكليزي الاميركي والانتخاب العام الذي اجراهُ المستر بلدون على مسألة «حماية التجارة» فخسر فيهِ اكثرية المحافظين وادى الى تربع العمال في دست الوزارة وميزانية المستر تشرشل والصهيونية

ويظهر من سياق الحوادث في كتابهِ هذا ان على الصحيفة الراقية ان تقف ازاء رجال السياسة موقفاً مستقلاً عن الاحزاب لا تحركها الاَّ الغيرة على المصلحة القومية والخير العام . فهي تجرب ان تقنع السياسي بصحة موقفها وهو يحاول ان يقنع اصحابها بصحة رأيهِ ليكسب تعضيدها . فتعضدهُ اذا اتفقا وتنتقدهُ اذا اختلفا وقد تعضدهُ في امر وتنحاز الى خصومهِ في آخر ولا يعاب عليها هذا التقلب لانها لا تخدم الاشخاص بل المبادئ والقواعد السياسية

ولا يخفى ان هذا الاتجاه جديد في الصحف وهو اتجاه حميد لانهُ يجعل الصحيفة حرةً في ان تطلع قراءها على الحقائق مجردة عن صبغة الاحزاب وتطلع الحكام على ما يعتقدهُ الناس وتقف سداً في وجه كل حكومة تسير بسفينة الدولة على الصخور . انما يقحم عليها لكي تنجح

في عملها هذا ان تكون مترفعة عن الرشوة بعيدة عن التحزب الاعمى بصيرة بالمصالح القومية

هذه خلاصة رأي لورد بيثر بروك في مهمة الصحافة الحديثة. واذا صح ان تتخذ انتشار الصحيفة قياساً لفائدتها ومقامها كانت جريدة الديلي اكسبرس من اعلى الصحف مقاماً لانها وجريدة الديلي ميل في مقدمة الصحف الانكليزية بل صحف العالم انتشاراً . وقد زاد ما يوزع منها نحو ثلاثة اضعاف بعد ما اشتراها لورد بيثر بروك وجرى فيها على الخطة التي لخصناها فيما تقدم

تربية الذوق السليم

واثر الفنون الجميلة فيها

« التربية الصحيحة هي التي ترمي الى غايات ثلاث : حب الحق الذي هو نتيجة التربية العقلية . وحب الخير الذي هو نتيجة التربية الخلقية . وحب الجمال الذي هو نتيجة التربية الذوقية . ولكل غاية من هذه الغايات الثلاث سبيل يوصل اليها . فسبيل التربية العقلية العلم وسبيل التربية الخلقية الدين والاخلاق وسبيل التربية الذوقية الفن الجميل »

بهذا البيان البديع والتبويب السهل افتتح الاستاذ احمد فهمي العمروسي بك محاضرته في تربية الذوق السليم . وقد القاها على جماعة من رجال التعليم في مؤتمر التعليم الاول الذي التأم بالقاهرة في يوليو سنة ١٩٢٥ . وقد طبعت المحاضرة الآن وزينت بالصور الاثرية والفنية البديعة لتقريب ما ذكر فيها من الحقائق والمبادىء من تناول القراء

والخطبة تشتمل على ثلاثة اقسام مقدمة ثم كلام على الرسم والتصوير وعلاقته بتربية الذوق السليم ثم كلام على الموسيقى . ويليها « كلام على الفنون الجميلة عند العرب » منها كلام للمقريزي يظهر منهُ ان المصورين من العرب كانوا يعرفون التصوير الذي تجسم به الاشخاص حتى تظهر ذات طول وعرض وعمق معاً. قال المقريزي

« كان البازوري سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبد الرحمن احد وزراء الفاطميين مشغوفاً بالنظر الى الصور والكتب المزوقة ولوعاً بالتحريض بين المصورين واغراء بعضهم ببعض . وقد حدث مرة ان استدعى ابن عزيز المصور العراقي لمنافسة المصور المصري المعروف بالقصير لانهُ كان يشتط في اجرته ، فلما احضر الاثنين في مجلسهِ قال ابن عزيز « انا اصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط » وقال القصير « لكن انا اصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلة في الحائط »

«فقال الوزير هذا العجب وامرهما ان يصنعا ما وعدا به فصوّرا صورتي راقصتين في حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه تُرَى كأنها داخلة في الحائط ، وتلك تُرَى كأنها خارجة منهُ . صوّر القصيرُ الراقصةَ بثياب بيض وقد دهن الحنيّة بالسواد فكانت كأنها داخلة فيها . وصورها ابن عزيز بثياب حمر وقد جعل الحنية صفراء فكانت كأنها خارجة منها . فاستحسن اليازوري ذلك منهما وخلع عليهما ووهب لهما كثيراً من الذهب »

عامان في عمان

خير الدين افندي الزركلي اديب اشتغل بالسياسة واتحفنا بكتابين سياسيين الاول وصف فيهِ رحلتهُ الى بلاد العرب وعنوانهُ « ما رأيت وما سمعت » وقد ذكرناهُ في حينهِ . وقد نشر الآن كتاباً عنوانهُ « عامان في عمان » وصف فيهِ ما شهدهُ او علم بهِ في خلال اقامتهِ بعمان عاصمة حكومة شرقي الاردن . والكتاب ليس تاريخاً ولكنهُ رواية شاهد عيان يصح ان تكون مادة يستخرج منها المؤرخ ما يقارنهُ بغيرهِ من الروايات حتى تجيء احكامهُ اقرب الى الصواب . وقد عني بنشره حضرة الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

جبل الدروز وسلطان باشا الاطرش

شغلت الثورة الدرزية افكار الشرقيين وصارت مدار احاديثهم وموضوع اخبار الصحف والتلغرافات فلا بدع اذا اهتم الاستاذ حنا ابي راشد صاحب مجلة القاموس العام بوضع كتاب مسهب يبحث فيهِ في تاريخ الدروز واخلاقهم ونسبهم وعاداتهم واعتقاداتهم واشعارهم وحروبهم وآثارهم . وقد وقف جانباً منهُ على سيرة سلطان باشا الاطرش زعيم الثورة الاخيرة واسبابها ووصف بعض معاركها ونشر وثائقها المهمة . والكتاب مزدان بالصور الكثيرة والخرائط وفيهِ ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير . وقد طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر وثمنهُ ٢٠ غرشاً صاغاً

﴿ ذو اليد الحديدية ﴾ مأساة تاريخية لشاعر الالمان المشهور غوته . وقعت حوادثها في المانيا الجنوبية في القرون الوسطى وفيها وصف لاحوال الناس حينئذٍ واخلاقهم وامورهم السياسية وعقائدهم وخرافاتهم . وقد نقلها الى العربية الاديب شديد باز الحداد من تجار السوريين في السنغال . وقد طبعت بمطبعة الصفاء بعبيه لبنان

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته اصلاه واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله واذ لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) اسباب البرقان وعلاجه

غزه - محمد افندي فرج الفالوجي . ما هو مرض البرقان وعن اي شيء يتسبب وما دواء الحكة التي تنشأ عنهُ وما هي انجع الادوية في علاجهِ وما هي الاغذية التي يجب على المريض ان يتعاطاها في هذا المرض وما هي الاعراض التي تدل دلالة واضحة عليهِ وهل تنطبق فيهِ الوصفات العربية المأخوذة عن كتب الطب القديم

ج . ان افضل ما نراهُ جواباً لسائلكم هذه ما نشرناهُ في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٣ بعنوان «الكبد والصحة» حيث قيل في الصفحة ٢١٨ وما يليها ما نصهُ

البرقان من اوضح ادواء الكبد وسببهُ في الغالب شرب الماء الآسن واكل الطعام الفاسد او الملوث بالجراثيم المرضية او مرضٌ في الامعاء ناتج من شرب ذاك الماء واكل هذا الطعام . والمسكرات من اضر المواد بالكبد لانها تؤثر في المادة الدهنية التي فيهِ وتضعف مقاومتهُ لجراثيم المرضية

ومادة البرقان تنتشر في الجسم كلهِ ولكنها لا تظهر واضحة الاَّ في الجلد واصلها من كريَّات الدم الحمراء فان هذه الكريَّات تندثر من وقت الى آخر وتدفن فضلاتها في الكبد فيحلها و ينزع المادة الملونة منها و يصبُّها في المرارة فتجري مع الصفراء الى الامعاء وتخرج مع البراز و يجري بعضها الى الكليتين و يخرج مع البول فتلون البراز والبول بالوان مختلفة من الاحمر الى الاخضر فالبرتقالي فالاصفر وذلك تجد ان من يُضرَب ضرباً مبرحاً يحمرُّ جلدهُ ثم يزرقُّ ثم يصفرُّ من تمزق كريات الدم الحمراء حيث يقع الضرب وهذا التلوُّن ناتج من فعل الحديد الذي في الكريات الحمراء

فاذا اندثرت كريات الدم الحمراء لسبب من الاسباب باسرع مما يستطيع الكبد ان يرسل فضلاتها الى الامعاء والكليتين لتخرج منها او اذا اصاب الكبد ما يضعفهُ عن القيام بوظيفتهِ او اذا حدث الامران معاً في وقت واحد بسبب حمَّى او مرض آخر

مكروبي ولو كان زكاماً بسيطاً انتشرت المواد الملونة من الكريات الحمراء المتدثرة في البدن وصفّرت الجلد

وقد يصفرّ جلد من يصاب بالانيميا لان كريات دمه الحمراء يتلف الكثير منها حينئذٍ فتنتشر مادتها في جلده وتصفّره. ومن اسباب اليرقان ايضاً الزكام اليرقاني فانهُ يكون فيهِ مادة سامّة تتلف كريات الدم الحمراء وتحدث التهاباً في الكبد وتسد القناة الصفراوية ولذلك يسمّى بالزكام اليرقاني. ومن اعراضهِ الخاصة القبض وسوء الهضم وفقد الشهية للطعام لانهُ يتعذر حينئذٍ وصول الصفراء الى الامعاء لتساعد الهضم وتقوي الامعاء. ومن اعراضهِ ايضاً الصداع لان الصفراء تكون في الدم حيث لا داعي لها. ومنها الحكة في الجلد لان الهموغلوبين وهو المادة التي تلون الكريات الحمراء شديد التهييج حيث يصل اليهِ النور وهو سامٌّ ولكن الكبد يبطل ضررهُ

ومن اشكال الانيميا او نقر الدم شكل يكثر فيهِ تلف كريات الدم الحمراء لسبب مرضي حتى لا يبقى منها فيهِ الاّ ثلثها او اقل من الثلث فيصفرّ الجلد او يخضرّ من فعل الحديد الذي في الكريات التالفة وهذه الكريات تذهب الى الكبد وتخزن فيهِ واكثر حديدها فيها وهو نصف الحديد الذي في الجسم كلهِ وخزنها في الكبد لا يُقصد بهِ نزعها من الجسم بل حفظها هناك الى اليوم الذي يزول فيهِ السبب المرضي الذي يتلف كريات الدم وحينئذٍ يعود الجسم الى هذا الحديد المخزون ويتناولهُ من الكبد ولذلك يبقى الجسم على صفرتهِ في داء اليرقان لا تنفع فيهِ الادوية الحديدية الى ان يزول السبب المكروبي الذي أحدث اليرقان من الانف والاثة واللوزتين او من حيث يوجد

فاليرقان سببان مباشران إما اندثار الكريات الحمراء باسرع مما يستطيع الكبد على نزعها من الجسم والتخلص منها او خلل في الكبد حتى يعجز عن نزع الكريات المندثرة. وقد يحدث هذان السببان المباشران بفاعل واحد اي بمكروب سام يتلف الكريات الحمراء ويوقع الالتهاب في الكبد فتنسد القناة الصفراوية. ومن اعراض هذه الآفة سوء الهضم وفقد الشهية للطعام والقبض السبب من عجز الصفراء عن الوصول الى الامعاء وهي لازمة هناك لتنبه الامعاء وتساعد على الهضم ويحدث الصداع حينئذٍ من تكاثر الصفراء في الدم حيث لا داعي لوجودها. ثم تحدث حكة في الجلد لان بعض ما يحلّ اليهِ هموغلوبين الدم مادة تتهيج تهيجاً شديداً من وقوع النور عليها وهذه المادة يكفينا الكبد شرها

واهمية اليرقان تتوقف على اهمية العلة

التي تسببهُ فاذا كانت زكامًا بسيطًا او اسهالاً خفيفًا فلا شأن لهُ لانهُ يزول بزوالها وانجع دواء لهُ حينئذٍ تنظيف الامعاء بمسهل بسيط وتنظيف الكليتين بشرب الكثير من الماء النقي ولكن اذا كان سببهُ مكروب الحمَّى الصفراء فهناك الطامَّة الكبرى لان هذا المكروب يتلف كريات الدم الحمراء ويسبب القيء الاسود الحاصل من انحلال الدم و يسمم الكبد . وبين هذين الطرفين اليرقانُ الحاصل من انسداد القناة الصفراوية بما يسمى بالحصاة الصفراوية . وهي في الحقيقة تطرُّف في النفع فانها ليست حصاة بمعنى بل مادة شحمية او الكحول متجمد كاقراص الالكحول التي تستعمل الآن وقوداً بدل الالكحول السائل . وفي كل اجزاء انسجة الجسم شيء قليل من هذه المادة الشحمية ولاسيما في الدم حيث عملها وقاية كريات الحمراء من المكروبات وسمومها . فاذا انحلت كريات الدم ووصلت الى الكبد التقطها مع هذه المادة الشحمية المتصلة بها وحولت منهُ الى الصفراء واستقرت في المرارة والظاهر انها تكون قد سئمت السير فتلقي عصا التسيار و يطيب لها المقام . ويتفق في ساعة شؤم ان يتبعها الى هناك بعض مكروبات التيفوئيد او الاسهال فتحيط بها لتمنع ضررهُ وكلما وصل الى هناك جانب جديد من الشحم احاط بالذي قبلهُ والتصق بهِ اي تبتدىء الحصاة الصفراوية بالتكون وقد ثبت ذلك من شطر الحصوات الصفراوية فوجد في كل حصاة منها نواة من المكروبات ونحوها . وعليهِ فالحصاة الصفراوية تتكون في المرارة كما يتكون اللؤلؤ في البحر

ومن اشهر العلاجات التي تعالج بها هذه الحصوات المرارية شرب زيت الزيتون فانهُ يزيد افراز الصفراء بعض الزيادة ويلين العضلات فيسهل على الحصوات الخروج من القناة الصفراوية انتهى

اما الوصفات العربية المأخوذة من كتب الطب القديم فبعضها مفيد كالسابق وبعضها لا تعرف حقيقتهُ فان فيهِ اسماء غريبة لا نعرف ماهيتها وهي كثيرة جدًّا تملأ صفحات من المقتطف حسب انواع اليرقان واسبابهِ

(٢) الجوهر والجوهر الفرد

زنجبار . السيد رشيد بن احمد رشيد . ما معنى الجوهر والجوهر الفرد والجوهر البسيط وما معنى العرض في قولهم الفعل عرض يوجد مع الاستطاعة . وما معنى الشكل المسمر بالهيئة الحاصلة للجسم بسبب حد واحد وبالمقدار كما في الكرة او حدود كما في المضلعات من المربع والمسدس

ج . يراد بالجوهر الشيء القائم بنفسهِ و يقابلهُ العرض وهو الشيء القائم بغيرهِ

فالورد جوهر ولونهُ ورائحتهُ عرضان قائمان بهِ. والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ وذلك مبنيٌّ على رأي القائلين ان الاجسام كلها مؤلفة من اجزاء صغيرة جدًّا لا يمكن قسمتها فعلاً. وقد اتضح الآن ان كل جسم مؤلف من دقائق صغيرة جدًّا من الكهربائية. والجوهر البسيط كالجوهر الفرد. ويظهر لنا ان كلة الكرة حقها ان تكون «الدائرة» فان لها حدًّا واحداً وان جاز ان يحسب مؤلفاً من اضلاع كثيرة متناهية في صغرها وبذلك عرف محيطها. والمضلعات التي تحيط بها اضلاع كالمربع فانَّ لهُ اربع اضلاع والمسدس فانَّ لهُ ست اضلاع. وهذا الكلام كلهُ مبهم لأن الذين ترجموا كتب العلم والفلسفة من اليونانية الى العربية لم يكونوا يحسنون اليونانية او العربية فجاء تعريبهم غاية في الابهام وتابعهم الذين جاءوا بعدهم في الغالب

(٣) معنى بلشفك

ومنهُ ما معنى كلمة بلشفك الروسية.

ج. معناها الاكثرية كأن الذين ادعوها حسبوا انفسهم اكثرية

(٤) بياض الشعر وسببه

ومنهُ. كيف يظهر بياض الشعر في المتقدمين في السن دون الشباب الاَّ نادراً وكيف ينشأ هذا البياض بعد ان كان الشعر اسود ولا ينقلب دفعةً واحدة من السواد الى البياض ولماذا لا يحدث مثل ذلك في اجسام الحيوانات

ج. الاصل في الشعر البياض اي ان مادة الشعر بيضاء وهي تسودُّ من وصول مادة سوداء اليها من الدم ورسوبها فيها فاذا انقطع وصول هذه المادة السوداء اليها وهي نامية صار ما يزيد في نموها خالياً من المادة السوداء. وبعض الحيوانات يبيضُّ شعرها او صوفها في البلاد الباردة اذا جاء فصل الشتاء وغطى الثلج الارض اي بطل رسوب المادة الملونة فيه. وبطل تكوُّن هذه المادة او رسوبها في شعر الانسان في شيخوخته كما يبطل نمو اعضائه. ولنا في ذلك رأيٌ لا يزال قطيراً وهو ان كان الانسان يمثل في نمو جسمهِ من اول تكونهِ جنينًا الى ان يولد الدرجات التي مرَّت عليها اجناس الاحياء التي نشأ منها نوع الانسان حسب مذهب التشوه فهو يمثل في تغير لون شعره الدرجات التي مرَّ عليها نوع الانسان في العصور الجيولوجية الغابرة وتغير الحر والبرد فيها. فقد رأينا اولادنا يولدون وشعرهم اسود حالك السواد كشعر سكان الاقاليم الحارة ثم يشقرُّ رويداً رويداً حتى يصير ذهبيًّا كشعر سكان الاصقاع الباردة ثم يعود الى ما بين الاسود والاشقر كسكان المنطقة المعتدلة كأنهم يمثلون اسلافهم قبل العصر الجليدي الاخير وفيهِ وبعدهُ او

كأن اسلافنا كانوا يسكنون بلاداً حارة ثم انتقلوا الى بلاد باردة ثم الى بلاد معتدلة

(٥) جزيرة سرنديب وحكومتها

ومنهُ . هل لسكان جزيرة سرنديب حكومة منتظمة وملك مستقل ولهُ وزراء وكم يبلغ عددهم وما لغتهم وهل هم تحت حماية دولة اوربية

ج . جزيرة سرنديب وتسمّى الآن جزيرة سيلان استولت عليها بريطانيا نهائياً سنة ١٨١٥ بعد ان خلعت آخر ملوكها ولها الآن حاكم انكليزي وجمعية تشريعية وعدد سكان الجزيرة الآن اربعة ملايين ونصف مليون ولغة اكثرهم آرية الاصل مثل البهارية لان اسلافهم جاءوا سيلان من وادي نهر الغنجس (الكنج) نحو سنة ٥٤٣ قبل المسيح

(٦) تمثيل الطرب بالموسيقى

بغداد . علي افندي الوائلي

لماذا نطرب لسماع النغمات الموسيقية وهل تُطرب انساناً لم يسمعها في حياته للمرة الاولى وهل طربنا للنغمات اكتسابي كما في بعض اقسام الشعور وكيف ذلك

ج . الصوت المتواتر ينقلهُ الهواء الى الاذن فيصل الى الياف عصبية دقيقة وبهزها فيصل تأثيرها الى مركز الشعور بالاصوات في الدماغ . ففي النوبة الاولى تجد هذه الالياف العصبية شيئاً من التعب في تحركها كأنها غير مستعدة لهُ وفي النوبة الثانية يكون تعبها اقل منهُ في النوبة الاولى وهلمَّ جرًّا الى ان تعتاد تلك الحركة ولا سيما اذا كانت قيامية فتصير تنتظرها وترتاح اليها . وهذا يشبهُ الارصاد او التوشيح في البديع كما في قولهِ

فان قليل الحب بالعقل صالح
وان كثير الحب بالجهل فاسدُ

فان قارئ هذا البيت او سامعهُ يعرف كلة فاسد قبل الوصول اليها فيرتاح الى ذلك كمن كشف شيئاً جديداً

وقد ألف الانسان الانغام الموسيقية الشائعة في بلدهِ منذ طفوليتهِ بما يسمعهُ من امهِ فترتاح اذنهُ اليها ولا سيما اذا كانت مصحوبة بكلمات تلذ لهُ فاذا لم يألف غير الانغام البسيطة المؤلفة من صوتين او ثلاثة كانغام البرابرة تعذر عليهِ فهم الانغام الكثيرة التركيب في الموسيقى الاوربية فلا يطرب لها كما لا يسرُّ من يقرأ شعراً لا يفهم معناهُ ولكنهُ اذا تمرَّن على سماع تلك الانغام زماناً طويلاً حتى الفتها اذنهُ وصارت تنتظر النغمة الواحدة من سماع التي قبلها صار يرتاح اليها ويطرب بها . فالطرب اكتسابي ولكن الاستعداد لهُ صار وراثيًّا في طوائف الناس

(٧) احتواء البزرة للشجرة

ومنهُ . هل تحوي بزرة الخوخة مثلاً

صورة مصغرة لشكلها التام بعد ان تستنبت وتنمو باغصانها وثمارها وكيف ذلك

ج - كلاّ ولكنها تحوي جرثيم قبيلة فيها استعداد للنمو على صور مختلفة حتى يتكون من مجموعها شجرة الخروب باغصانها واوراقها وازهارها واثمارها

(٨) تعليل التمدد

ومنهُ . كيف تعللون تمدد المادة وما ماهية التمدد

ج - الجسم مجموع جواهر صغيرة جدًّا وهي على درجات الحرارة العادية بعيد بعضها عن بعض بعداً شاسعاً ومتحركة دواماً فاذا زادت حرارة الجسم زادت حركتها فيزيد تباعدها بعضها عن بعض فاذا كان الجسم جامداً فقد يسيل بهذا التباعد او يصير بخاراً واسع الحجم جدًّا

(٩) استقلال مصر

اتاجو بي بالبرازيل . اخواجه سخائيل كساب . ما هو استقلال مصر وما هي الحرية التي نالتها لاننا نسمع من الوجه الواحد ان مصر نالت الاستقلال وصار لها سفراء في الخارج . ومن وجه آخر نرى الجيوش الانكليزية والسيطرة الانكليزية باقية كما كانت ونرى ان الحزب الذي هو الاكثرية الساحقة لا يقدر ان يستلم الوزارة بخلاف ما هو في اوربا حيث يستلم الوزارة الحزب الذي يفوق غيرهُ عدداً

ج - اما كون مصر نالت استقلالها السياسي فهذا امر لا شبهة فيهِ ولكن انكلترا احتفظت بامور ليعبر الاتفاق عليها مع مصر وكان في الامكان ان يتم الاتفاق عليها قبل الحوادث الاخيرة ولكن اخّرت الحوادث حلها ومتى حلّت على ما نرجو لا يبقى ما يظهر انهُ مناقض للاستقلال . ثم متى تم الانتخاب لمجلس النواب فالوزارة تكون من الحزب الاكبر لانها لا تستطيع ان تعمل عملاً حينئذٍ ما لم تؤيدها اكثرية النواب

(١٠) رتي الصينيين

ومنهُ . اي الشعبين ارقى عرب الحجاز ونجد واليمن او الصينيون

ج - لقينا من الصينيين رجالاً لا مثيل لهم في بلاد العرب من حيث معارفهم العلمية والفنية . تجار الصين وعمالهُ الصين ووزراء الصين . ومديرو معاملها وقواد جيوشها لا يفوقهم امثالهم من الاوربيين والاميركيين . واوربا كلها تخطب الآن ود الصين وتخشى بأسها لا لان شعبها كلهُ متمدن كالشعب الاوربي بل لان زعماءهُ لا يقلون الآن عن غيرهم حنكة ودهاء ولا يفوقهم الاّ زعماء اليابانيين ولكن هؤلاء صاروا الآن ارقى من امثالهم في اوربا واميركا

(١١) زراعة التين في مصر

ومنهُ . لاي سبب لا يزرعون التين في مصر مع ان طقس مصر مثل طقس ولاية

سان باولو على ما اظن . وهل جرب احد زرعهُ ام لا

ج . انما يجود البن في الاراضي الجبلية او المرتفعة عن سطح البحر اكثر من ١٥٠٠ قدم. والاراضي المصرية سهول كلها وليس فيها ما ارتفاعهُ ٥٠٠ قدم . وقد زرعت وزارة الزراعة اشجاراً قليلة من البن للزينة او لترى الطلبة ما هي

(١٢) نظام انكلترا المالي

ومنهُ . قرأت مقالة لاحد الكتاب يقول فيها ان انكلترا اذا استوفت ما لها من الديون من بقية الدول استعادت مركزها المالي قبل الحرب فهل هذا صحيح وهل من الممكن ان يعود الجنيه الى نسبتهِ السابقة الى الريال الاميركي

ج . لا تزال انكلترا في مركزها المالي القديم وقد عادت نسبة الجنيه الى الريال كما كان قبل الحرب تقريباً

(١٣) ديون انكلترا

ومنهُ . لاي سبب لا ترى انكلترا تطالب بما لها من الديون عند دول اوربا مع ان الولايات المتحدة طالبتها واستوفت منها ولقد ضيقت الخناق على فرنسا

ج . لم تهمل انكلترا المطالبة بما لها من الدين وقبيل كتابة هذه السطور رأينا صورة الوفد الايطالي الذي ارسل الى انكلترا ليساوم في كيفية ايفاء دين ايطاليا لانكلترا ولكن الحلفاء من دول اوربا يقولون ان الحرب كانت مشتركة بيننا وكان على كل دولة ان تقدم لها كل قواتها من مال ورجال واساطيل فهل يحق للتي انفقت من اموالها اكثر من غيرها ان تطالب الغير بدين ولا يحق لتلك التي قتل من رجالها اكثر مما قتل من رجال غيرها ان تطالب ذلك الغير بما يقابل من قتل من رجالها زيادة على غيرها ولذلك تجد انكلترا غير ملحة في طلب مالها من الدين وقد لا تطالب من يتعذر عليهِ الايفاء

(١٤) دائرة معارف القرن العشرين

زبير . السيد سعد بن احمد الربيعة . هل تم تأليف دائرة معارف القرن العشرين للاستاذ وجدي وهل طبعت طبعة ثانية وهل فيها رسوم

ج . بلغنا انهُ تمَّ طبعها وان ليس فيها رسوم

(١٥) ثمن مجلدات المقتطف

ومنهُ . كم ثمن مجلدات المقتطف من اول صدوره الى ختام سنة ١٩٢٥ مجلداً مجلداً افرنجياً خالصاً اجرة البريد

ج . اربعون جنيهاً مصرياً ولكن ينقصها مجلدان او ثلاثة

(١٦) المكاتب السياسي الشرقي

ومنهُ . من هو المكاتب السياسي الشرقي لجريدة المقطم

ج . هو احد المحررين فيها ولو اريد ذكر اسمه لذكر في المقطم

(١٧) حمل الزيتون كل سنة

وجه الحجر بلبنان . فائز الندي عساف . طالعت في مقتطف يناير من المجلد الثامن والثلاثين صفحة ٨١ فصلاً بعنوان الزيت والزيتون جاء فيه ما يأتي

« وقد طرأ على شجر الزيتون في ساحل بيروت طارئ جعله يحمل سنة وينقطع عن الحمل اخرى ومنه ضرر لان السنة التي يكثر حملها يرخص زيتونها فيقل ربح اصحابه والزيت الذي يبقى منها الى السنة التالية لا يبقى جيد الطعم غالباً كالزيت الجديد . ويمكن ان تعالج هذه الآفة بمنع حمل بعض الاشجار في السنة التي يكثر حملها فتحمل في السنة التالية فيصير بعض الشجر يحمل هذه السنة وبعضها يحمل في السنة التالية دواليك فلا تخلو سنة من زيت وزيتون »

فما هي الواسطة لمنع حمل بعض الشجر في السنة التي يكثر حملها . وهل من واسطة لجعل شجر الزيتون يحمل كل سنة

ج . الطريقة في ذلك انهُ حينما يظهر الزهر تقطع كل الاغصان التي فيها زهر من رؤوسها حيث يوجد الزهر . والعمل متعب كثير النفقة ولكن نتيجتهُ تفي بالتعب والنفقة

(١٨) تيمورلنك

سنتمرال فوز رودايلند . الخواجه يورغاكي مشاطي . قرأت في احدى الجرائد عن تيمورلنك انهُ بنى قلعة من الجثث في حلب فمن هو تيمورلنك هذا وفي اي زمن ظهر وما هو الدافع الذي دفعهُ الى هذا العمل الفظيع

ج . تيمورلنك فاتح من اعظم الفاتحين الذين نشأوا في اسيا ولد في كش على نحو ٥٠ ميلاً من سمرقند سنة ١٣٣٦ للميلاد وتغلب على خصومهِ وجلس على عرش سمرقند ودوّخ الهند ووصل سيفهُ فتوحهِ غرباً الى دمشق واسر السلطان بايزيد العثماني وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء وحاميًا رؤوفاً محبًّا للعلوم والفنون . ولكن ابن عرب شاه صاحب كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور نسب اليهِ فظائع كثيرة لا يقرهُ عليها المحققون

(١٩) كبر المكاتب العمومية

نيو يورك . احد المشتركين . هل تعدُّ مكتبة نيو يورك العمومية بين المكاتب الكبرى في العالم

ج . نعم ومكتبة الكنغرس بوشنطن اكبر المكاتب في الولايات المتحدة وكل منهما فيها ما يزيد على مليوني مجلد ولكن تفوقهما المكتبة الوطنية بباريس ومكتبة المتحف البريطاني بلندن ففي كل منهما ثلاثة ملايين مجلد

باب الاخبار العلمية

مقتطف مارس

افتتحنا هذا الجزء من المقتطف بمقالة جعلنا عنوانها «اللباس وارتباطهُ بمصالح الناس» وفيها بيان علمي تاريخي للاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في دمشق عن «اللباس في الاسلام»

وبعدها كلام على النور وفعلهِ في الاحياء ابنا فيهِ فعل الاشعة التي فوق البنفسجي

ويليهِ وصف احدث المكتشفات الاثرية في سقّارة وصورة سبع الاعمدة المفلعة التي عثر عليها قرب هرم زوسر المدرّج

ثم جانب من رسالة تاريخية الاديب انيس زكريا النصولي موضوعها «اسلوب المؤرخين العرب في كتابة التاريخ»

فالقصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية وعنوانها «الصراع»

وبعدها مقالة مسهبة للدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في الجامعة المصرية موضوعها «النثر العربي في خمسين سنة»

ثم الفصل الثاني من الفصول العلمية الفكاهية التي تنشئها في كنوز البحار وغرائب انشائها وهذا الفصل يدور على مخاطر الغوص ومعدات الغوّاص

ويليهِ مقالة فلسفية لاسماعيل مظهر بك عنوانها طابع المدنية الحديثة قارن فيها بين مدنية اليونان وعنايتها بالفرد والمدنية الحديثة واهتمامها بالجمهور

وبعدها كلام موجز على انتشار التعليم العالي في فنلندا

ثم خطبة تاريخية نفيسة لمرقص سميكة باشا عن «الآثار المصرية والمتحف القبطي»

ويليها فصل عن اشهر ملوك البترول في اوربا وابعدهم نفوذاً نريد بهِ السر هنري دترديغ مدير شركة الرويال دتش وهو معروف بتمويلون البترول او ركفلر اوربا وفيهِ صورتهُ

ثم تحقيق تاريخي علمي عن اصل الشعوبيين واحوال بلاد العرب في الزمن السابق للتاريخ لعالم عراقي كبير

وبعدهُ وصف لآثار البتراء وهي المدينة التي نحتت صخرها وقصورها ومدافنها في الصخر وقد كانت من اكبر محطات القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وفيهِ صورة بعض آثارها

ويليها مقالة للدكتور حسن كمال عنوانها الفنون الجميلة والبناء عند قدماء المصريين وفيها صورة للفراغ المعماري الذي يعود بفخر السبق اليه على المصريين القدماء يليها ثم سيرة دوتي الرحالة الانكليزي الذي رحل الى بلاد العرب بين سنة ١٨٧٦ الى ١٨٧٨ والف كتاب صحراء بلاد العرب المشهور Arabia Deserta

وبعده كلام علمي فكاهي عن طبائع الافاعي الكبيرة و بعض الاوهام الشائعة عنها وفيه صور لافعى اضربت عن الطعام فصارت تطعم غصباً وصورتا افعيين احداهما تبتلع طائراً كبيراً والثانية تضغط على فريستها لتميتها

ويلي ذلك سيرة مجلان اول من طاف حول الارض وفيها صورته وصورة السفينة فتوريا وهي اول سفينة اتمت الطواف حول الارض

ثم مقالة للاستاذ حسن حسين عنوانها « مذهب تناسخ الارواح » اتى فيها على ذكر بعض الحوادث والآراء التي تخص اصحاب هذا المذهب على اختلافه

ويلي ذلك ابواب المقتطف فباب المراسلة فيه مقالتان نفيستان الاولى عن « الدروز وحرب ابرهيم باشا » والثانية عن « حجارة البترول في فلسطين » . وباب الزراعة فيه مقالة عن انتشار زراعة النخيل في الارض وزراعة القطن في السودان ووصف خزان سنار

اوجه القمر في شهر مارس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٧	١	٤٩	مساء
الهلال	١٤	٥	٢٠	صباحاً
الربع الاول	٢١	٧	١٢	«
البدر	٢٩	٠	١	مساء
الاوج	٢٥	٦	٥٠	صباحاً
الحضيض	١٣	١	٣٠	«

السيارات في مارس

عطارد - كوكب مساء في اول الشهر ولا يرى في آخره

الزهرة والمريخ والمشتري كواكب صباح

زحل - يشرق الساعة ١١ ليلاً

الاسماء الكيماوية القديمة

يجب العامة من غرابة الاسماء الكيماوية الحديثة وطول بعضها مع ان الكيماويين ارادوا ان تدل على تركيب المسميات فاذا قلنا الحامض الكبريتيك اردنا السائل المركب من جوهرين من الهدروجين وجوهر من الكبريت واربعة من الاكسجين اما اسمهُ القديم وهو زيت الزاج فغاية ما يدلُّ عليهِ انهُ مستخرج من الزاج . والزاج نفسهُ لا يدلُّ الاَّ على مادة جامدة سميت بهذا الاسم واما اسمهُ الكيماوي الحديث وهو

كبريتات الحديد فيدل على انهُ متولد من الحامض الكبريتيك والحديد ويدل ايضاً على نسبة ما فيهِ من الاكسجين والهيدروجين والكبريت والحديد وزناً . واغرب من ذلك ان الكيماويين الاقدمين اطلقوا على كل عنصر من العناصر التي عرفوها وركباتها اسماء كثيرة . قال الباحثان ودمن ورسكا في رسالة نشراها حديثاً بالالمانية ان كيماويي العرب سموا الذهب ٢٣ اسماً مختلفاً والزئبق نحو ٦٠ اسماً وقد استخلصا هذه الرسالة من كتاب خطي للطغرائي الشاعر المشهور في صناعة الاكسير . ومن اغرب هذه الاسماء « الكاتب » « وحياة الاجساد » للزئبق . « والملح الطيار » « والفضل الارمني » للنوشادر « وطائر سقراط » للكبريت . والغرض من هذه الاسماء التعمية حتى لا يفهم احد المراد بها الا اصحاب الكيمياء . اما الاسماء الجديدة اي اسماء المركبات الكيماوية المعروفة بها الآن فالمراد بها معرفة العناصر الداخلة في تركيب كل مادة ومقدارها

مصدر البترول

اختلف العلماء في تعليل تولد البترول في الارض . ومن الآراء الشائعة انهُ متولد من دهن الاسماك اي ان اسماكاً كثيرة تجمعت في بعض الاماكن في العصور الجيولوجية وماتت وطمرت فتحلل ما فيها من المادة الدهنية او الزيتية وتحول الى بترول على مرور الزمن . وقد استدل بعضهم الآن على صحة هذا الرأي بما عُرف من طبائع الانكليس (ثعبان البحر) فانهُ اذا حانت وقت مزاوجته وتوليده هبط من انهار اوربا الى البحر وسار الى بقعة عميقة في الاوقيانوس الاتلنتيكي فتزاوج هناك وعادت صغارهُ رويداً رويداً الى ان تبلغ انهار اوربا . ومن المؤكد ان الانكليس الكبير الذي يولد في تلك البقعة لا يعود منهُ شيء الى الاماكن التي ذهب منها . والظاهر انهُ يموت كلهُ وتبقى اجسامهُ في تلك البقعة . فاذا فرضنا ان المدة التي كانت لتكوين ما في الولايات المتحدة من البترول عشرة ملايين من السنين وكان مقدار هذا البترول ثلاثة آلاف مليون طن وكان انزيت الذي في الانكليس الواحد يبلغ ١٠٠ جرام وفرضنا ان عدد الانكليس الذي يهاجر سنوياً ثلاثة ملايين كفت لتوليد كل البترول الذي يوجد في الولايات المتحدة

البحث العلمي في البترول

في اميركا معهد لدرس كل ما يتعلق بالبترول علمياً اهدى اليهِ المستر ركفلر الصغير خمسين الف جنيه واهدت اليهِ الآن شركة البترول العمومية خمسين الف جنيه اخرى ليجري في مباحثهِ هذه

تاريخ مدفن عبراني في بيروت

جاء في مجلة المشرق لشهر فبراير ما خلاصتهُ ان المهندس ادمون افندي بشاره اوى عمر رها حجراً كلسيًّا طولهُ ٣٨ سنتمتراً وعرضهُ ٣٦ وسمكهُ ١٥ طيه الكتابة العبرانية التالية وقد ساعد ادارة المشرق على فك معانيها حضرة الاب سبستيان روتزقال وهي

(١) النصم (الى آبائهِ) تميم
(٢) هلو (ي) بن منسا
(٣) رأس الطائفة
(٤) فاستناح في الفردوس سنة ١٤٠١
(٥) دين العبور

وسنة العبور ١٤٠١ المذكورة هي سنة تاريخ السلوقيين وتوافق سنة ١٠٨٩ — ١٠٩٠ للمسيح ويستدل من ذلك على ان هذا المدفن سبق عهد الرحالة اليهودي بنيامين التودلي الذي زار سواحل الشام وحط الرحال في بيروت سنة ١١٧٠ م وقد ذكر ما وجدهُ فيها من الموسويين فاحصاهم خمسين نفساً وفي اللاذقية ١٠٠ وفي جبيل ٢٠٠ وفي صور ٥٠٠ وبين ما لكل مدينة من الاعيان المتولين على الملة اليهودية والدفين الذي ورد ذكرهُ آنفاً وهو تميم هلوي كان احد هؤلاء الاعيان ويشار اليهِ برأس الطائفة. وقد وجد هذا الاثر غربي دار القنصلية الاميركانية عند حدود الرمل. انتهى باختصار

هبة روكفلر للآثار المصرية

عرض المستر جون روكفلر الصغير ابن المستر روكفلر الثري والمحسن الاميركي الشهير ان يهب مصراً عشرة ملايين دولار تبقى بها متحفاً يضم مجموعتها الاثرية النفيسة يكون من اهم المتاحف في العالم ويتصل به معهد لمباحث الاركيولوجية

وقد قال الدكتور برستد المؤرخ المشهور ان الباعث للمستر روكفلر على اهداء هذا المال الطائل هو ان العالم كلهُ ولاسيما العالم الجديد مدين لمصر في التهذيب والحضارة ديناً ظهر شأنهُ بالتدريج على اثر المكتشفات الاثرية في السنين الاخيرة. وقد علم ان كنوز مصر من آثارها القديمة البديعة قد زادت زيادة لا يتسع لها متحف القاهرة

الشهير . فبتبرعه لانشاء معهد للمباحث الاثرية ومتحف جديد عظيم يعتقد ان التسهيلات المنتظرة لا تنتصر فائدتها على علماء العالم اذ تمكنهم من القيام بمباحث دقيقة تؤدي الى التعمق في درس تاريخ الحضارة بل تتناول ايضاً الشبان المصريين الراغبين في الحصول على تثقيف علمي يجعب منهم مؤرخين لبلادهم العجيبة

وقد فهمنا ان ما يشترطهُ المستر روكفلر لهبته هذه لا يخرج عما يراهُ رجالهُ لازماً لحفظ المتحف والمعهد وصيانتهما لذلك يقترحون انشاء لجنة مختلطة تتألف من اميركيين ينتدب احدهما متحفُ المتروبوليتان بنيويورك والآخر الاكادمية الوطنية بوشنطن وانكليزيين احدهما من قبل المتحف البريطاني والثاني من قبل الاكادمية الملكية وفرنسويين احدهما من متحف اللوفر والثاني من اكادمية الزخارف ومصريين احدهما وزير الاشغال وهو رئيس اللجنة الدائم ووزير المعارف الاّ اذا كان مدير مصلحة الآثار مصرياً فيكون بحكم وظيفتهِ العضو المصري الثاني في اللجنة. وسيطرة هذه اللجنة على المتحف والمعهد المتصل به تمتد الى ثلاث وثلاثين سنة . وذلك لان الاميركيين رأوا بالاختبار انهُ اقتضاهم مثل هذا الوقت في اميركا لاعداد علماء وباحثين يعتمد عليهم في هذه العلوم كبرستد وريسنر وغيرهما ولذلك يرون ان هذه المدة لازمة لاعداد علماء مصريين يستطيعون في نهاية هذه المدة ان يتولوا شؤون المتحف والمعهد معاً

ان الروح التي اظهرها روكفلر في كل هباتهِ لا تدع مجالاً للشك في انهُ يهبها خالصة لوجه العلم لا يرمي من ورائها الى نفع او ذكر حتى بلغنا عن احد المطلعين انهُ لا يريد ان يذكر اسمهُ في اختيار اسم للمعهدين الجديدين في مصر. فعسى ان ترى الحكومة المصرية السبيل الى قبول هذه الهبة عهد آفان فائدتها العلمية عظيمة جداً

وصل بحر الروم ببحيرة لوط

نشرنا في مقتطف يناير هذه السنة مقالة موضوعها الاحوال في فلسطين اشرنا في آخرها الى مشروع كبير يراد به استعمال كل مياه نهر الاردن للري وحفر ترعة تصل بحر الروم ببحيرة لوط تجري فيها المياه جرياً محدوراً الى تلك البحيرة يقوم مقام ما يتبخر منها من الماء . ولما كان سطح البحيرة اوطأ من سطح بحر الروم ١٢٩٢ قدماً فيكون من انحدار الماء في هذه الترعة قوة تساوي ٦٧١٠٠٠٠٠ حصان تحوّل الى كهربائية كافية لفلسطين وسورية. وقد نشر المقطم في ١٩ فبراير لمكاتبهِ من صيدا تفصيلاً مهماً لهذا المشروع قال فيهِ انهُ للمهندسين الفرنسويين كارشي وفانديين من باريس وقد قدما

طلبًا بالمصادقة على مشروعها هذا الى الحكومة البريطانية في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٥ نمرة ٢٢٠ و٢٢٩ فاجابتهما عليه بالموافقة ويحفظ الحق لها بملكيته . وكان المشروع موضوع اهتمام اكاديمية العلوم في باريس على اثر الرسالة التي قدمها اليها عنهُ المسيو ادوار امبو المدرس في مدرسة الكباري والسدود الوطنية . ومما جاء في هذا الرسالة ان ماء البحر الميت ملح جدًّا بمعدل ٢٤٠ غرام ملح في الليتر وماء بحيرة طبرية وأعالي نهر الاردن حلو فيمكن استخدامه للري واذا اقتضى الامر تستعمل الطلمبات الكهربائية لرفع المياه ومن المستحسن جعل بحيرة طبرية مستودعًا للتدفق من نهر الاردن وتنظيم امر الباقي منهُ ببناء سدود على النهر جنوبي بيسان واقامة سدود أخرى في مواضع موافقة على جوانب النهر وهكذا يمكن استخدام هذه المياه لري سبعين الف هكتار الى مائة الف

خريجو الجامعات والبحث العلمي

اعطى الامناء على تركة المستر جون ستزلنج الاميركي جامعة ييل الاميركية مليون ريال ليعطى ريعها لخريجي تلك الجامعة وغيرها الذين يرغبون في البحث العلمي والانقطاع لهُ فيعطى الواحد منهم ٢٠٠ جنيه الى ٣٠٠ في السنة

تذهيب المكروبات

من اغرب ما نقلهُ الينا البريد في هذا الاسبوع خبر اكتشاف سيكون لهُ شأن كبير في علم المكروبات فان السر وليم هاردي الطبيب الانكليزي المشهور كان قد عهد اليهِ مجلس الابحاث الطبية في الحكومة البريطانية في درس صفات الهيموغلوبين وهي المادة التي تكسب الدم لونهُ الاحمر فوجد في اثناء بحثهِ انهُ اذا سلط مجرى كهربائيًّا سلبيًّا على الذريات الصبغية اتحدت هذه الذريات مع بعض المعادن . فاتخذ الاستاذ نجولد الالماني هذا الاكتشاف قاعدة لمباحث عديدة اجراها حتى وفق الى طريقة لتذهيب المكروبات تذهيبًا يمكن الباحثين من رؤية ذريات جسمها اصغر الف ضعف من حجم الذريات التي صورها المستر برنارد بالنور الذي فوق البنفسجي . وقد ابتدأ الاستاذ مباحثهُ بمكروبات كبيرة كمكروب الباراتيفوئيد الذي يرى بالمكرسكوب العادي فكان يضعها في حمام من محلول كلوريد الذهب فتطلى بقشرة من الذهب كما تطلى المعادن بالكهربائية ومن ثم اخذ يتدرج في تجربة طريقته في مكروبات اصغر من تلك فاصغر حتى وفق الى تذهيب البكتريوفاج الذي اكتشفهُ دورل وجعلهُ يرى بالمكرسكوب

امرأة تلد اربعة اطفال معاً

نشر المقتطف في ١ فبراير خبراً اكتفيه في منتورس قال فيه

دعي حضرة الدكتور فريد بك محمد طبيب مركز منتورس لاسعاف امرأة كانت تلد في بندر منتورس وكانت دهشة الناس عظيمة لما علموا ان المرأة وضعت اربعة اولاد ثلاثة ذكور وانثى واحدة واما دهشة الناس لامرين الاول ان المرأة ما كانت يبدو عليها في اثناء الحمل ظاهرة غير عادية والثاني ان اولادها ولدوا احياء واستنشقوا نسيم هذه الحياة حيناً من الدهر

معالجة لدغ الافعى

جاء في مجلة الترق الادنى التي تصدر في باريس بالعربية والفرنسوية انهُ يجب الامتناع عن استعمال جميع الطرق القديمة كامتصاص الجرح او كيه بحديدة محماة او بوضع الشادر عليه او صبغة اليود او غير ذلك فان فعل جميع هذه المواد الكاوية ضار بحسب اعتقاد الدكتور رو من مختبر باستور

فحين تلدغ الافعى شخصاً ينبغي :

١ — الاسراع بربط العضو الملدوغ ربطاً شديداً فوق الجرح

٢ — فصد الجرح وتوسيعه بمديه او بآلة جارحة

٣ — استعمال الحجامة اذا امكن حول الجرح

٤ — حقنه الى ٢٠ غرامات من محلول برمنغانات البوطاس من عيار ١ الى مائة في الجرح بعد توسيعه ويحسن ان تكون الاماكن التي تحقن فيها قاصية عن تلك الاماكن ٢٠ سنتيمتراً على الاقل من ذلك الجرح

٥ — شرب المتلدغ قهوة مخففة وشيئاً من القهوة ومقداراً من الكحول

كلف الشمس

ظهرت على الشمس كلفتان كبيرتان تريان بالعين المجردة اذا نظر الى الشمس من خلال لوح من الزجاج مورّد بالدخان. واحدى هاتين الكلفتين من اكبر الكلف التي ظهرت على وجه الشمس منذ خمسين سنة الى الآن وقد بلغ طولها في التاسع عشر والعشرين من يناير نحو ٦٠٠٠٠ ميل

سكان اميركا الاصليون

استنتج الدكتور مردلكا بعد البحث الدقيق ان سكان اميركا الاصليين (هنود اميركا) هاجروا اليها من شرق اسيا وان ذلك كان منذ عشرة آلاف سنة على الاقل وخمسة عشر الف سنة على الاكثر والدكتور ليو ويز [illegible] من جامعة

هارفرد كتاباً كبيراً اثبت فيه انه كان لعرب اسبانيا وافريقيا معاملات تجارية مع سكان اميركا الاصليين قبل كولمبوس بمئات من السنين وسنأتي على خلاصة ذلك في بعض الاجزاء التالية

الزجاج الآلي

صنع عالمان فيزيائيان مشهوران وهما الدكتور فرتز بولاك والدكتور كرت وبرمن اعالي فينا نوعاً جديداً من الزجاج وهو شفاف وصلب كالزجاج العادي ولكنه ابين ايضاً حتى يسهل ليه ونشره وخرطه وخرقه ويلون بكل الالوان ويبقى شفافاً ولا يؤثر فيه الحر ولا البرد ولا يحجب اشعة النور التي فوق البنفسجي كما يحجبها الزجاج المعروف . فهو افضل من الزجاج من كل وجه . ولم تعلن المواد التي يتركب منها ولكن يظهر لنا من تحليل الزجاج الآلي انه يصنع من مواد سيليسية او بورقية كالرمل والزلال والطلق . وقد فاز مخترعاه الامتياز لعمله في البلاد الانكليزية وغيرها . فالظاهر انه سيكون رخيصاً كالزجاج العادي

علاج السل

اشار الاستاذ مولغرد Mollgard من اساتذة جامعة كوبنهاغن باستعمال الستوكزين Sanocrysin (ثيولفات الصرديوم والذهب) علاجاً للسل الرئوي . وقد كتب الاستاذ اليوت الآن في مجلة اللانست الطبية انه امتحن هذا العلاج في احدى عشرة حادثة فوجد انه اذا استعمل بالتأني افاد اكثر من كل علاج آخر

استعمال الجراد

عرب البادية يأكلون الجراد ونحن نعرف من شوى الجراد واكله وقال ان طعمه مثل طعم السراطين المشوية . وقد بليت به البلاد في جنوب افريقية فتألفت شركة تجمعه وتصنع منه طعاماً للدجاج وسماداً للارض

النحاس للتصوير الشمسي

ابان المسيو بيرشون والمداموازل دمورا انه اذا وضعت صفيحة من النحاس في مذوب كبريتات النحاس وعرضت للهواء تغطت بغشاء رقيق من اكسيد النحاس وصارت حساسة بقبل النور كالواح الفوتوغراف

الاعلان عن اللاسلكي

جاء في جزء فبراير من السينتفك اميركان ان اصحاب صناعات الآلات والادوات اللاسلكية في الولايات المتحدة سينفقون عشرة ملايين ريال على الاعلان عن بضائعهم في السنة القادمة يصيب الصحف منها نحو مليوني ريال ونصف مليون فقط

الجزء الثالث من المجلد الثامن والستين

صفحة

٢٤١ اللباس وارتباطهُ بمصالح الناس

٢٤٦ النور وفعلهُ في الاحياء

٢٤٨ آثار سقارة المكتشفة حديثاً (مصوَّرة)

٢٤٩ اسلوب المؤرخين العرب . لانيس افندي زكريا النصولي

٢٥٤ الصراع . لسليم افندي شحاته

٢٦١ النثر العربي في نصف قرن . للدكتور طه حسين

٢٧٠ كنوز البحار وغرائب انشائها

٢٧٤ طابع المدنية الحديثة . لاسماعيل بك مظهر

٢٨٠ انتشار التعليم في فنلندا

٢٨١ المخف القبطي . لرفص سيكه باشا

٢٨٧ ملوك البترول (مصوَّرة)

٢٩١ العرب في التاريخ . لنهر الجاري

٢٩٧ آثار البقراء (مصوَّرة)

٣٠١ الفنون الجميلة والبناء (مصوَّرة) . للدكتور حسن كمال

٣٠٤ الرحالة دوتي

٣٠٥ طبائع الاقاعي الكبيرة (مصورة)

٣٠٩ محلان (مصوَّرة)

٣١٣ مذهب تناسخ الارواح . لحسن افندي حسين

٣١٦ باب المراسلة والمفاكرة * زوج الدرور الى حيوان (مصورة) : اعظم موارد الثروة في فلسطين

٣٢٦ باب الزراعة * انتشار زراعة التبغ في العراق وفارس والهند وبوخستان و بلاد العرب وسوريا وفلسطين ومصر واليابان والفيرون وافريقية الفرنسوية من صحراء جبرباء لخزان سنار والقطن في السودان . اوراق النبات المنيرة

٣٣٦ باب تدبير المنزل * انتقال العدوى وحشرة المكروب . فساد الاطعمة . اللباس والنور والصحة . حشرات البيت

٣٤١ باب التشريف والاستفتاء *

٣٤٤ باب المسائل * وفيه ١٩ مسألة

٣٥٣ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٩ بلدة